المؤلفان :

دكتور عبد الباقى ابراهيم

أستاذ التخطيط العمرانى بجامعة عين شمس ورئيس قسم العمارة سابقاً . ورئيس مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ورئيس تحرير مجلة « عالم البناء » ورئيس جمعية أحياء التراث التخطيطى والمعمارى وكبير خبراء الأمم المتحدة سابقاً . تخرج من جامعة القاهرة عام ١٩٤٩ وحصل على بكالوريوس العمارة من جامعة ليفربول بانجلترا وفى عام ١٩٥٥ حصل على الماجستير فى التصميم الحضرى من نفس الجامعة ، وحصل عام ١٩٥٩ على دكتوراه فى تخطيط المدن من جامعة نيوكاسل بانجلترا .

أنتدب « مديراً عاماً لإدارة الإسكان والتشييد بالجهاز المركزى للمحاسبات (١٩٦٦ - ١٩٦٨) ثم خبيراً للأمم المتحدة فى الكويت (١٩٦٨ - ١٩٧٠) . عمل كبيراً لخبراء الأمم المتحدة فى المملكة العربية السعودية (١٩٧٣ - ١٩٧٩) ، كما انتدب للتدريس فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة وأستاذاً زائراً فى جامعة تشن بهولندا عام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ .

نشر العديد من البحوث والدراسات فى العمارة وتخطيط المدن والقرى اشترك بها فى عدد من المؤتمرات العربية والدولية ، واشترك فى ترجمة كتاب أسس التصميم من تأليف سكوت لحساب مؤسسة فرانكلين الأمريكية عام ١٩٦٨ ، ونشرت له مطابع الأعلام بالكويت كتابه الأول عن « إحياء التراث الحضارى للمدينة العربية » عام ١٩٦٨ ، كما نشر له كتاب تأصيل القيم الحضارية فى بناء المدينة الإسلامية بالقاهرة . كما دعا إلى قيام اتحاد المعماريين المصريين واشترك فى العديد من المسابقات المعمارية وتصميم العديد من المشروعات المعمارية والتخطيطية فى مصر والخارج .

الدكتور / حازم محمد ابراهيم

استاذ التخطيط العمرانى بقسم التخطيط جامعة الأزهر منذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن - والمدير الفنى لمركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، ومساعد رئيس تحرير مجلة عالم البناء ، وخبير فى المشروع الأقليمى لتخطيط وتنمية الأقاليم الثالث للبرنامج الانمائى لهيئة الأمم المتحدة . تخرج فى كلية الهندسة جامعة عين شمس ١٩٦٤ حاصل على ماجستير (شرف) فى تخطيط المدن ١٩٦٧ وحصل على الدكتوراه فى تخطيط المدن عام ١٩٦٩ من أكاديمية العلوم البحرية ببودابست من المجر .

انتدب لتولى رئاسة قسم البحوث والدراسات بوزارة الشئون البلدية والقروية بالرياض - المملكة العربية السعودية (١٩٧٤ - ١٩٧٦) ثم انتدب كخبير لهيئة الأمم المتحدة للتخطيط الحضرى بمشروع هيئة الأمم المتحدة للتخطيط العمرانى بالرياض المملكة العربية السعودية (١٩٧٦ - ١٩٨٠) . كما أختير كعضو لجنة التوجيه الفنى لوضع التخطيط التنفيذى لكل من مدينتى الرياض والطائف وتولى الأشراف على المشروع .

اشترك فى العديد من المؤتمرات العالمية والمحلية وله العديد من الأبحاث المنشورة والمؤلفات العلمية فى مجالات العمارة والمحافظة على التراث والتخطيط العمرانى . كما قام بوضع العديد من دلائل الأعمال والمعايير التخطيطية فى مصر والسعودية .

وشارك فى اعداد العديد من دراسات الجدوى للمشروعات العمرانية فى مجالات السياحة والاسكان والتعمير كما شارك فى اعداد وتصميم العديد من المشروعات التخطيطية والمعمارية بمصر والعالم العربى

مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية
جامعة الأمم المتحدة ـ مشروع المستقبلات العربية البديلة

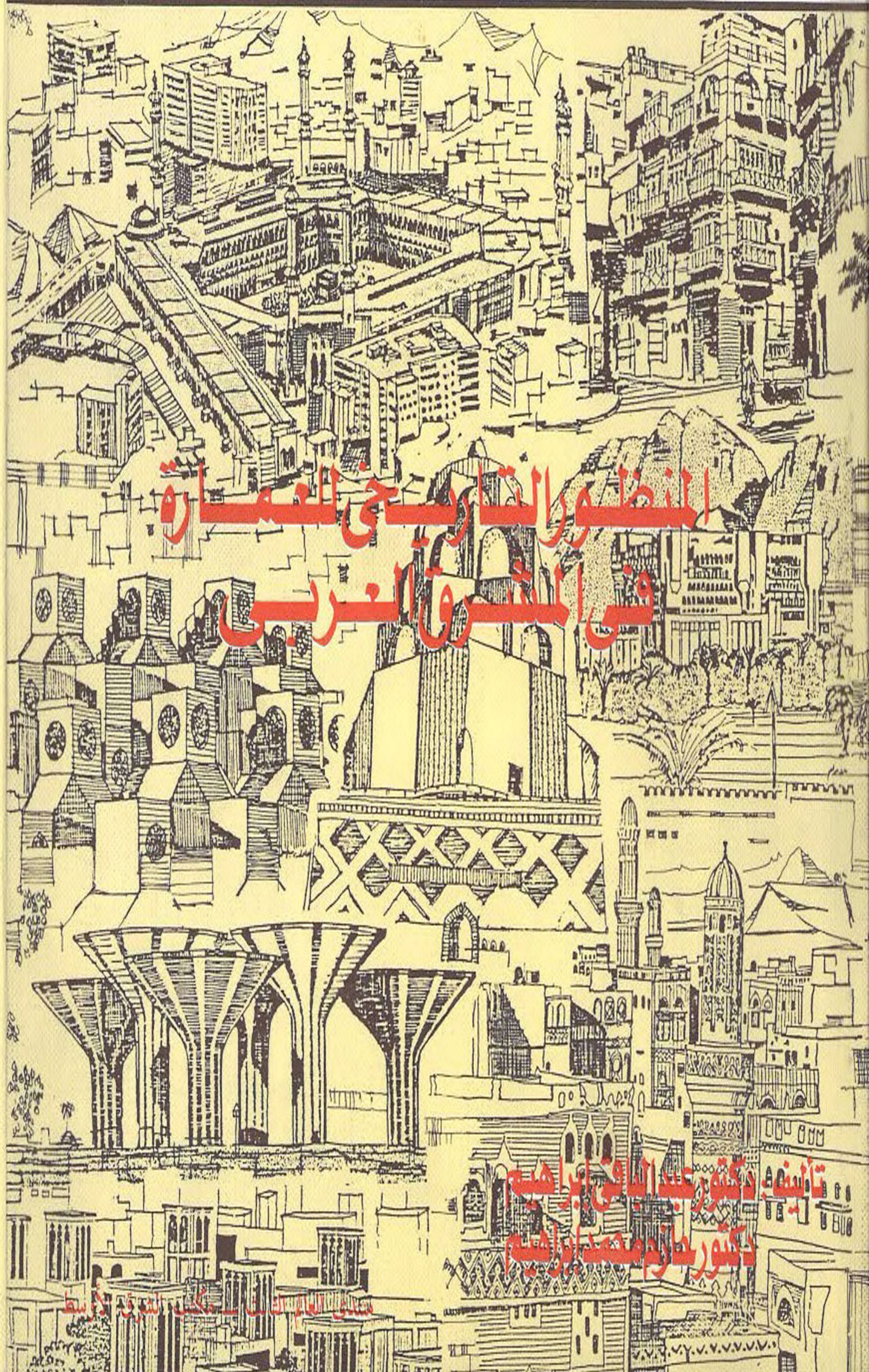

المنظور التاريخى للعمارة فى الشرق العربى

تأليف دكتور عبد الباقى ابراهيم
دكتور حازم محمد ابراهيم

منشئ العالم الثالث ـ مكتب الشرق الأوسط

الناشر : مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية
الطبعة الأولى : فبراير ١٩٨٧ م ــ جمادى الثانى ١٤٠٧ هـ
مطابع انترناشيونال برس تليفون : ٣٤٧٤٢٥٩

تقديم

يعتبر هذا الكتاب قراءة جديدة للتاريخ الحضارى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى لمنطقة المشرق العربى مع التأكيد على إبراز المعالم المعمارية التى شهدتها مراحل هذا التاريخ كإفراز طبيعى للتفاعلات الحضارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى كل مرحلة ، منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، ومن ثم يمكن استقراء طبيعة هذه التفاعلات مستقبلاً وما سوف تفرزه فى المستقبل . وتعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها التى تربط المراحل التاريخية بالوقت الحاضر والمستقبل فى تسلسل علمى واضح وبأسلوب سهل اعتمد على الكلمة والصورة الموضحة حتى تعم فائدته على دارس العمارة والمعماريين وكل المهتمين بحضارة المشرق العربى ، كما تعتبر الدراسة الأولى من نوعها التى تربط بين عمارة المناطق العربية المختلفة فى المشرق فى صورة متكاملة تعبر عن الارتباط الحضارى لهذه المناطق على مر العصور وتؤكد مصيرها المشترك فى المستقبل .

أعد مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية هذا الكتاب تطويراً للدراسة التى كلف بها الأستاذ الدكتور/ عبد الباقى ابراهيم من جامعة الأمم المتحدة بطوكيو تحت موضوع مستقبليات العمارة فى المشرق العربى وقد أسهم فى إعداد البيانات الأساسية لهذه الدراسة فريق عمل برئاسة الأستاذ الدكتور/ حازم محمد ابراهيم ، المدير الفنى للمركز ، وساعده الدكتور خالد السلطانى من جامعة بغداد فى تجميع البيانات الأساسية عن العمارة فى العراق ، والأستاذ الدكتور/ صالح لمعى فى تجميع البيانات الأساسية عن العمارة فى الشام ، والمهندسة سهير صالح فى تجميع البيانات الأساسية عن العمارة الإسلامية فى مصر ، كما ساعده فريق من الباحثين فى المركز وهو المهندس صلاح عبد اللطيف ، والمهندسة هالة عمر والمهندس خالد أبو بكر والمهندسة إيمان بركات والمهندسة هدى فوزى . كما أسهم فريق العمل بالمركز المهندس عادل عبد المنعم ومحمد أيمن عاشور فى إعداد الرسومات المعمارية من مراجعها الأساسية بحيث تظهر فى صورة موحدة تعرض على طول صفحات الكتاب بالتوازى مع العرض المكتوب حتى يمكن للقارىء متابعة الموضوع بالكلمة المكتوبة والصورة المرسومة على مدى الفصول المختلفة للكتاب .

والمركز بهذا الإنجاز يستمر فى نشاطه فى مجال التأليف والنشر المعمارى لسد الفراغ الذى تعانى منه المكتبة المعمارية العربية بحيث تكون المادة العلمية نابعة من الحضارة العربية وتراثها الفكرى بعد أن كانت المادة المستوردة تكاد تطمس الشخصية الحضارية للعمارة والمعماريين العرب .

هذه خطوة أخرى على طريق الخير لخير أمة أخرجت للناس
والله ولى التوفيق ،،،

« المؤلف »

« الملك بالجند . والجند بالمال . والمال بالخراج . والخراج بالعمارة . والعمارة بالعدل . والعدل بإصلاح العمال . وإصلاح العمال باستقامة الوزراء . ورأس الكل بتفقد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه » .

(من كلام أنوشروان – فى مقدمة
ابن خلدون – باب طبيعة العمران فى الخليقة) .

المحتوى العام :

رقم الصفحة

- مقدمة ٧
- الموقع الحضارى للمشرق العربى ١١
- التفاعلات الحضارية فى عمارة المشرق العربى ١٤
- العوامل المشكلة للعمارة العربية فى المشرق العربى ١٧
- المخزون الحضارى فى العمارة المصرية القديمة ٢٠
- صمود الشخصية المعمارية فى مصر للغزوات اليونانية والرومانية ٢٤
- بناء الشخصية المعمارية فى مصر بعد الفتح الإسلامى ٢٨
- تراجع الإبداع المعمارى فى الساحة المصرية ٣٥
- دور المعمارى فى العمارة المصرية ٣٩
- البحث عن الذات فى العمارة المصرية المعاصرة ٤٤
- مستقبل العمارة المصرية ٥٠
- الظروف البيئية التى شكلت عمارة الجزيرة العربية ٥٣
- مستقبل العمارة فى الجزيرة العربية ٦٨
- بناء مقومات العمارة العربية فى العراق على مر العصور ٧٠
- بعث الأصالة فى العمارة العربية المعاصرة بالعراق ٧٦
- الخصائص البيئية التى شكلت عمارة الشام ٨٢
- العمارة فى ظل الحضارة الإسلامية فى الشام ٨٥
- تباين الأنماط المعمارية على أرض السودان ٩٢
- العمارة العربية فى الفكر المعاصر ٩٧
- الوحدة والتنوع فى العمارة المعاصرة ١٠٢
- الإنسان ومستقبل العمارة فى المشرق العربى ١٠٨
- المراجع ١١٧

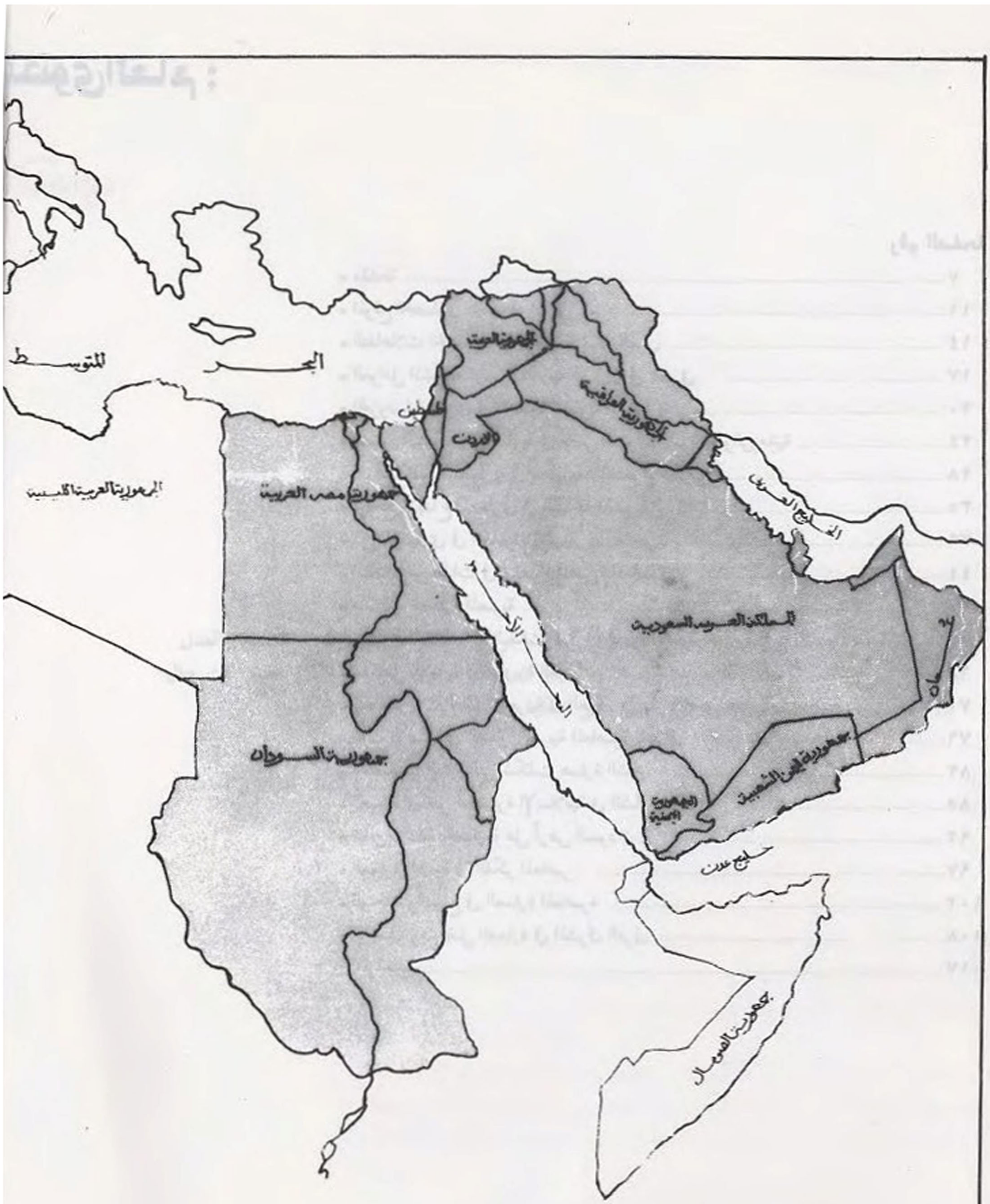

• خريطة توضح نطاق الدراسة (المشرق العربى)

مقدمة

يهدف هذا الكتاب إلى محاولة البحث عن العمارة العربية فى المشرق العربى ، فى إطار المنظور التاريخى لهذه المنطقة بما فيها من مؤثرات سياسية واجتماعية واقتصادية على مر العصور فى الأنحاء المختلفة لهذه المنطقة ، باعتبار أن العمارة كانت نتاج لكل هذه المؤثرات التى تفاعلت مع بعضها على طول البعدين الزمنى والمكانى فى أنحاء المشرق العربى . والكتاب بذلك يمكن أن يعبر عن تاريخ النظرية المعمارية فى المشرق العربى أكثر مما يعبر عن تاريخ العمارة نفسها فى هذه المنطقة . والكتاب بهذا المنهج قد يعبر عن بداية علمية لوحدة الفكر المعمارى العربى النابع من قلب الأمة العربية ومن تاريخها .

فقد عولجت عمارة المشرق العربى من قبل فى إطار البحث الأثرى ، كما عولجت أيضا فى إطار البحث العلمى لمقومات العمارة الأثرية ، وذلك بهدف استخلاص قيمها التصميمية والتشكيلية المحلية وذلك دون الربط بين المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية المؤثرة على عمارة المنطقة على مر العصور من فجر التاريخ حتى التاريخ المعاصر ؛ وكما نهج الغرب فى دراساته لتاريخ النظرية المعمارية الغربية ، حيث بدأت من العصر الفرعونى ثم انتقلت إلى العصر اليونانى ثم العصر الرومانى ثم العصور الوسطى ثم عصر النهضة حتى الثورة الصناعية وما بعدها فى العصر الذرى ، وهكذا أخذ الخط التاريخى للنظرية المعمارية الغربية اتجاهه التاريخى من الشرق إلى الغرب عبر أوروبا ولم يكن للمنطقة العربية فى هذا النهج أى أثر أو تأثير . فقد جاء ذكر العمارة الاسلامية فى كتب تاريخ العمارة الغربية كحدث عابر خارج عن التسلسل التاريخى الغربى . ويحاول هذا الكتاب أن يتبع نفس المنهج معتمدا على التسلسل التاريخى فى المشرق العربى كمنظور تاريخى لتطور النظرية المعمارية العربية . أو بمعنى آخر توجيه المنهج العلمى للنظرية المعمارية الغربية وجهة عربية نابعة من تاريخ العرب وتراثهم الحضارى .

لقد كانت العمارة على مدى العصور هى المرآة التى تنعكس عليها حضارات الشعوب بخصائصها الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية التى تتغير من زمان لآخر ومن مكان لآخر صعوداً أو هبوطاً مع حركة التاريخ بمؤثراته الداخلية والخارجية . ومع حركة الحياة المتغيرة تتطور الخصائص الحضارية للمجتمع يثبت منها ما يثبت ويتغير منها ما يتغير ، وذلك فى وجود خط الربط الحضارى الذى يصل فيما بين المراحل التاريخية المتتالية ، وهو الخط الذى يرسب فى وجدان الانسان وتكوينه الثقافى أو يظهر فى الخصائص البيئية للمكان أو فى تأثير المادة على البنيان وهو الخط الذى يحدد عوامل الوحدة فى العمارة المحلية لكل مكان .

وإذا كان خط الربط الحضارى يصل بين المراحل التاريخية المتتالية لكل دولة أو مكان فهناك خطوط ربط حضارية أخرى تصل ما بين الدولة المعنية والدول المحيطة بها فى كل مرحلة من مراحل التطور التاريخى ، وهذا ما يعبر عنه بالمؤثرات الخارجية على الخصائص الحضارية فى كل فترة من الفترات التاريخية ، وهذه المؤثرات تضعف بضعف وسائل الاتصال الثقافى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى وتقوى بقوتها ، وهنا يمكن متابعة الخصائص المعمارية لكل مرحلة من واقع الخط الحضارى الرابط للمراحل التاريخية لكل منطقة والخطوط العريضة المؤثرة من الخارج فى كل مرحلة .

وتتميز المراحل التاريخية المتتالية بزيادة مطردة فى معدلات التحول الحضارى وذلك بسبب الطفرات العلمية والتكنولوجية التى تتعرض لها البشرية . وإذا كانت معدلات التطور فى عصور ما قبل الاسلام كانت بطيئة نسبياً فانها بدأت تسرع بزيادة حركة الاتصال بين شعوب المنطقة ومن ناحية أخرى زادت معدلات هذا التطور بعد ذلك بزيادة منجزات التكنولوجيا سواء أكانت محلية أو خارجية ، الأمر الذى يجعل عملية التبصر بمستقبل العمارة فى العالم العربى عملية معقدة تتفاعل فيها العديد من العوامل ، لذلك فإن قرائتنا لتاريخ الحضارة فى منطقة المشرق العربى لابد وأن تتخذ أسلوباً آخر أو تعتمد على منهج آخر من المتابعة والتقويم والربط بين الانسان والعمران فى جميع مراحل تطوره حتى يمكن التبصر بمستقبله .

من هذا المنطلق فإن دراسة هذا الموضوع تتم على أساس ربط المقومات الحضارية فى كل منطقة جغرافية من المشرق العربى على مدى الحقبات التاريخية المتتابعة بالخصائص المعمارية لكل منطقة وفى كل حقبة ، ذلك لأن الخلفية التاريخية للتطور الحضارى المعمارى فى المنطقة لابد وأن تشمل كل من المكون الدينى للمجتمع ثم المكون السياسى ونظام الحكم ومصادر الدخل والانتاج ثم المكون التكنولوجى خاصة فى صناعة أو حرفية البناء ثم المكون الخارجى والمؤثرات الدولية وأخيراً المكون الجغرافى أو البيئى للمكان ، ثم متابعة التطور التاريخى فى كل حقبة زمنية لكل من العمارة الشعبية والرسمية والدينية من حيث مكوناتها الوظيفية والانشائية والتعبيرية أو التشكيلية والعناصر المعمارية والمعطيات التكنولوجية المتوفرة ، ومع التحول المطرد فى سرعة التحولات الحضارية فإن الاهمال وارد بالنسبة للمراحل التاريخية الشديدة القدم بحيث يزيد تفصيلاً كلما قربت المرحلة التاريخية حتى الوقت الحاضر الذى تظهر فيه المعالم التاريخية والمعمارية أكثر وضوحاً وأشمل تفصيلاً .

والعمارة فى كل المراحل هى الصورة العمرانية التى تتميز بها التجمعات السكنية وليست بالضرورة النماذج المختارة للمبانى ذات الأهمية الخاصة التى تشير إليها كتب التاريخ فى كثير من الأحيان ، فالعمارة هنا هى عمارة المجتمع بكل طبقاته وفئاته ، هى العمارة الشعبية والرسمية معاً .. هى عمارة المعماريين وغير المعماريين معاً .. هى عمارة المدينة وعمارة القرية التى تمثل الغالبية العظمى لمجتمع ما فى حقبة زمنية معينة والتى من صورتها يمكن استقراء الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية لهذا المجتمع .

عاش المشرق العربى دولاً متفرقة فى مراحل ما قبل التاريخ ، وكانت المؤثرات العرضية بين دول هذه المنطقة لم تتضح معالمها إلا فى المراحل المتقدمة من التاريخ حتى ظهور الاسلام ليس كديانة فقط ولكن كحضارة متكاملة متحركة ربطت بين دويلات المنطقة وشعوبها ، هنا تتأكد الخطوط العريضة التى ربطت بين عمارة المشرق العربى فى هذه الفترة التاريخية الهامة إلا إن الخط الحضارى الرابط بين المراحل السابقة فى كل دولة لم ينقطع ، وفى كل الحالات كانت للبيئة المحلية لكل مكان فى المشرق العربى بصماتها المميزة على العمارة المحلية وخاصة العمارة الشعبية التى ارتبطت دائماً بالبيئة الطبيعية ، فلم تظهر السمات المعمارية المميزة لمرحلة ما بعد ظهور الاسلام إلا فى المراحل المتأخرة عن صدر الاسلام ، فلم يكن للدعوة الاسلامية فى مراحلها الأولى هدف إلا نشر الدعوة لبناء الانسان الفاضل قبل بناء العمران أو الجاه والسلطان . من هنا فإن ربط العمارة بالاسلام فى المراحل التالية للعصر الاسلامى يعتبر من باب الاصطلاح أو التمييز حيث ظهرت نماذج فريدة من العمارة الدينية فى المساجد أو المبانى التجارية فى الأسواق أو المبانى التعليمية فى المدارس أو المبانى العامة فى الخانات ومبانى الخدمات أو المبانى السكنية فى القصور أو الوكالات ، ويعنى ذلك أن اقتصار هذا الاصطلاح يربط العمارة بالاسلام على مرحلة فترة زمنية محددة ليس له سند علمى قوى .. فالاسلام كحضارة متحركة تصلح لكل زمان ومكان لم يتوقف بانتهاء الفترة التاريخية المتميزة .. بل هو مستمر كحضارة وإن كانت قد أضعفته الغزوات الغربية أو الشرقية سواء أكانت هذه الغزوات عسكرية أو ثقافية أو اقتصادية الأمر الذى لا تزال تعانى منه منطقة المشرق العربى حتى الآن . وهو ما تظهر أثاره على العمارة المعاصرة الممثلة لكل المستويات والقطاعات الخاصة والعامة ، فالمؤثرات الخارجية هنا وضحت أثارها على الانسان العربى قبل أن تظهر على عمارته الأمر الذى يؤكد أن التأثير الحضارى على العمارة يبدأ بعد التأثير الحضارى على الانسان . من هنا يتضح المنهج العلمى لهذا البحث . فالتبصر بمستقبل العمارة العربية فى المشرق العربى يبنى فى ضوء التبصر بمستقبل الانسان العربى فى هذه المنطقة أولاً وبعد ذلك يمكن تصور الملامح المستقبلية للعمارة فيها .

وإذا كان الاسلام الذى ظهر فى منطقة المشرق العربى قد خط خطاً عميقاً بين فترتى ما قبل الاسلام وما بعده ، ولما كان الاسلام الذى شمل المشرق العربى كحضارة قد ارتبط بالعربية كلغة ونسب وانتماء فإن المسمى للعمارة فى المرحلتين التاريخيتين الأساسيتين فى المشرق العربى يمكن أن يكون عمارة المشرق العربى قبل الاسلام والعمارة العربية بعد الاسلام حتى اليوم وغداً ما دام الاسلام حضارة مستمرة لكل مكان وزمان فى المشرق العربى ، وهو موضوع الدراسة .

إن الدراسة بهذا المنهج وهذا المفهوم لن تحاول أن تدعو إلى ضرورة العودة إلى المقومات الحضارية للانسان العربى فى الدولة الاسلامية المعاصرة بهدف تأصيل القيم الحضارية فى العمارة المعاصرة واتصال ما انقطع منها بين الماضى والحاضر ، ولكنها سوف تحاول متابعة المسار الحضارى الذى تأثر به الانسان

فى المشرق العربى مع متابعة المسار الذى تأثرت به العمارة فى هذه المنطقة بهدف استنباط الملامح المستقبلية لهذا الانسان ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً ومن ثم استنباط الملامح المستقبلية للعمارة وظيفياً وإنشائياً وتشكيلياً وتكنولوجياً .

والعمارة فى منطقة المشرق العربى فى الوقت الحاضر – كما هو فى كل مكان – تتأثر مباشرة بالعديد من العوامل ، فتتأثر العمارة الشعبية بالوعى الحضارى لدى الجماهير وهو يختلف من مكان لآخر باختلاف المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية معاً . وهنا تظهر التباينات بين هذه المستويات فى المجتمع العربى ، فهناك مثلاً ارتفاع فى المستوى الثقافى مصحوب بانخفاض فى المستوى الاقتصادى ، وهبوط فى المستوى الثقافى مصحوب بارتفاع فى المستوى الاقتصادى وهكذا .. وهو ما ينعكس بالتبعية على المستوى المعمارى خاصة فى الاسكان الخاص الذى تتجاذبه متطلبات المالك ومستواه الحضارى من ناحية ونزعات المعمارى ومستواه الثقافى والعلمى من ناحية أخرى . وهكذا تعبر العمارة العربية المعاصرة فى المشرق العربى عن مجموعة كبيرة من التباديل والتوافيق بين هذه المتغيرات وتنمحى بذلك الشخصية العامة التى تتجانس فيها المستويات الثقافية بالمستويات الاقتصادية والاجتماعية عند الجماهير . وبالتبعية تتجانس المستويات العمرانية شكلاً وموضوعاً .

أما العمارة الرسمية فتتأثر بالوعى الحضارى لدى متخذى القرارات من ناحية والمستوى الثقافى والعلمى للمعمارى من ناحية أخرى بغض النظر عن الجانب الاقتصادى الذى لا يمكن اعتباره مؤثراً أساسياً على المستوى المعمارى من ناحية الشكل أو الآداء . والمستوى الثقافى والعلمى للمعمارى يتأثر بالتبعية بالمنهج التعليمى الذى سلكه من ناحية والتنظيم المهنى الذى ينتمى إليه من ناحية أخرى قوة أو ضعفاً . وهذا مجال آخر لابد من متابعته بين الماضى والحاضر لتحديد ملامح المستقبل .

وبهذا المفهوم تحدد المنهج العلمى لمعالجة هذا الموضوع وبدأت الدراسات التفصيلية لكل منطقة فى المشرق العربى ، والمناطق هنا قد تحددها المعالم الجغرافية أو الحدود السياسية أو كليهما معاً . من هنا تم تقسيم المشرق العربى إلى عدة مناطق متميزة حضارياً وهى :

المنطقة الأولى : مصر والسودان .

المنطقة الثانية : سوريا والأردن وفلسطين ولبنان .

المنطقة الثالثة : السعودية واليمن وحضرموت والكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية وعمان (الجزيرة العربية) .

المنطقة الرابعة . العراق .

الموقع الحضارى للمشرق العربى

يحتل المشرق العربى موقعاً هاماً من العالم ، فهو يمثل الربط بين قارتى آسيا وأوربا بما تحتويه من حضارات ومقومات اقتصادية وطبيعية وبشرية . ويمثل المشرق العربى جزءاً هاماً من العالم القديم ، فهو مهبط الديانات السماوية ، فقد ظهر على أرضه أنبياء اليهودية والمسيحية والاسلام وضم مواطن الرسل والأنبياء بالاضافة إلى احتوائه الأراضى المقدسة لدى كل الديانات السماوية .

وبالنظرة المتفحصة لمنطقة المشرق العربى ، نجد أنها حتى مرحلة ما قبل الاسلام كانت تجمع فى طياتها كافة المتناقضات الحضارية واللغوية والعرقية والدينية ، فقد كان المشرق العربى مهداً للحضارات القديمة خاصة الفرعونية فى أرض مصر – والتى بحكم موقعها القريب من أوربا – انتقل منها الاشعاع الحضارى ليضىء الطريق أمام الحضارة الوليدة فى الجزر اليونانية والتى تمخضت عنها الحضارة الاغريقية ، التى أثرت بدورها فى تكوين الحضارة الرومانية القديمة ، تلك الحضارة التى تعتبر النواة الحضارية لما شهدته أوربا من تقدم وازدهار فيما بعد . أما بلاد الشام ، فقد كانت مهداً لحضارات الحيثيين والفينيقيين ثم الاغريق والرومان بعد ذلك ، والعراق كانت مهداً لحضارات بابل وآشور ثم الفرس أما الجزيرة العربية فعلى اتساعها كانت مهداً لحضارات بائدة ذكرت فى القرآن الكريم مثل حضارة عاد ارم وثمود وسبأ قوم تبع وأصحاب الأخدود وغيرهم من الحضارات البائدة القديمة .

بالإضافة إلى هذا التباين والتنوع الحضارى فى بلاد المشرق العربى ، نجد أنها أيضاً ترجع إلى أصول عرقية مختلفة ، فمنها ما هو أصل سام كدول الجزيرة العربية ومنها ما هو من أصل حام كمصر ، كما تجد أنها تختلف وتتباين فى اللغات وأسلوب الكتابة ، كما تختلف وتتباين فى العقائد ، فمنها ما هو وثنى ، يعبد الأصنام أو الشمس أو النار أو الأشجار ، ومنها ما هو سماوى على الديانة اليهودية أو المسيحية .

والناظر إلى المشرق العربى ، يجد أنه متحد فى سماوات حضارية واحدة ، فى الدين واللغة . ويرجع ذلك إلى بزوغ نور الاسلام على المنطقة والذى كان له الفضل الأكبر فى صهر متناقضاتها الحضارية واللغوية والعرقية والدينية فى بوتقة واحدة واضفاء الصفة الواحدة المميزة عليها التى تميزها عن غيرها من الحضارات . وقد انعكس هذا بالطبع على العمارة والمدينة ، وحتى أصبحت مدن المشرق العربى ككل تتميز عن غيرها من المدن الأخرى ، حيث تتحد وتتميز مدن القاهرة وبغداد ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة فى صفات حضارية واحدة تميزها ككل عن مدن كباريس ونيويورك وبكين وكلكتا . وبالطبع فإن هذا التميز هو نتاج طبيعى للحضارة الاسلامية التى أشرقت على منطقة المشرق العربى وامتدت شرقاً حتى وصلت إلى مشارف الصين وغرباً حتى سواحل المحيط الأطلسى ثم جنوباً فى عمق القارة الافريقية وشمالاً فى الأناضول وجنوب أوروبا والأندلس بأسبانيا .

وبالإضافة إلى هذا المخزون الحضارى فى منطقة المشرق العربى فتجدر الاشارة هنا إلى ما تحتويه من ثروات طبيعية كبرى كان لها الفضل فى التقدم والازدهار المادى الذى شهدته المنطقة وإن كانت أيضاً سبباً من ضمن الأسباب فى الكبوة الحضارية التى تمر بها المنطقة أولاً بسبب الأطماع الاستعمارية للاستفادة من هذه الغزوات الطبيعية وثانياً بسبب توفر ثروات مادية كبرى فى أيدى غير مؤهلة لتوظيف هذه الثروات فى أفضل صورها ، وبالتالى اندفعت ناقلة عن الغرب كل جديد بلا روية وبدون التمعن والبحث فى ملائمة ما هو مستورد لما هم قائم سواء اجتماعياً أو اقتصادياً أو عمرانياً .

وإن كان لا يمكن اغفال أهمية الثراء المادى فى النهضة العمرانية التى شهدتها المنطقة مما مكنها من تعمير وتطوير المرافق والخدمات وغير ذلك من الأعمال . وحيث أن التقدم الذى شهدته أغلب مدن المنطقة حديثاً كان مرتبطاً ومعتمداً على الثروة المادية من عوائد البترول ، فإنه من المشاهد ، بعد تراجع أسعار البترول – إنه حدث أيضاً تراجع فى أعمال التطوير والتعمير بهذه المنطقة ، وهو ما قد يكون له تأثير سلبى أيضاً على تطوير ونمو حركة التعمير بمنطقة المشرق العربى .

وإذا كانت منطقة المشرق العربى قد شهدت مرحلة من الوحدة الاسلامية التى ذابت فيها شعوب المنطقة تحت راية واحدة ولغة واحدة وعقيدة واحدة فهى الآن تشهد فرقة سياسية بعد أن قسمت إلى دويلات تحكمها نظم سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة تكاد تعيد فرقتها الحضارية القديمة بالرغم من ثبوت عاملى اللغة والدين .

كما أثرت حضارة منطقة المشرق العربى فيما حولها من مناطق ، فقد تأثرت هى أيضاً بالمؤثرات الحضارية الواردة إليها .. وقد انصهرت هذه المؤثرات الحضارية فى حضارة واحدة شكلت أنماطاً حضارية متميزة إلا أنها تربطها خيوطاً حضارية واضحة امتدت إلى جذور التاريخ ولم يتوقف التأثير الحضارى لمنطقة المشرق العربى مداً وجزراً بالأخذ أو بالعطاء وإذا كان التاريخ القديم للمنطقة قد شهد مرحلة طويلة من العطاء فإن التاريخ المعاصر يشهد مرحلة طويلة من الأخذ ، الأمر الذى كاد يغير من الملامح الحضارية للمشرق العربى ، تلك الملامح التى توارثها على مر العصور . قديماً كانت المنطقة قادرة على استيعاب المؤثرات الحضارية الخارجية وهضمها وصياغتها فى صورة تتوائم مع القيم الذاتية والثقافية للمكان ، ولكنها فى المرحلة الأخيرة – ومع استمرار الأخذ ومع سرعة عجلة التطور العالمى – لم تستطع المنطقة استيعاب هذه المؤثرات الحضارية الخارجية وبالتبعية ضعفت عن اظهار المقاومات الحضارية التى تميزت عما سواها ، بل أصبحت عاكسة ومقلدة لغيرها من الحضارات – وإن كانت أخيراً قد بدأت فى البحث عن شخصيتها ومحاولة استرجاعها لتراثها بعد أن كادت تذوب فى حضارات العالم المختلفة شرقه وغربه ، فقد تعرضت المنطقة لغزوات اتخذت فى مراحلها الأولى صورة الغزوات الحربية مثل غزوات الصليبيين والمغول والفرنسيين والإنجليز ، ولكن بعد فشل الاحتلال الأجنبى كأسلوب لطمس الوجه الحضارى للمنطقة تغلغل أسلوب الغزو الفكرى كبديل للغزو العسكرى خصوصاً وأن الفكرى دائماً ما يكون مغلفاً بأغلفة الشعارات البراقة والحرية والمدنية ... الخ

لقد أهمل علماء الغرب منطقة المشرق العربى عند كتابة تاريخ العمارة فى العالم واعتبرها منطقة هامشية التأثير على مجريات التاريخ فى العالم وإن كانوا لم يستطيعوا إهمال تاريخ الحضارة الفرعونية التى أثرت على الحضارة اليونانية التى يعتبرها علماء الغرب إنها أم الحضارات الغربية التى تتبعها من العصر الرومانى ثم العصر الوسيط ثم عصر النهضة حتى ظهور الثورة الصناعية حتى الذرة والأقمار . وقد أهمل هذا الخط التاريخى ما كان يجرى فى منطقة المشرق العربى من أحداث ، لم تعد مؤثرة على المجرى التاريخى للحضارات الغربية . وقد انعكس هذا الاتجاه على المناهج المعمارية التى تدرس فى مدارس المشرق العربى خاصة بالنسبة لتاريخ النظرية المعمارية ، حيث انتهج العلماء العرب نفس المنهج الذى وضعه الغرب لتاريخ العمارة وأهمل تاريخ العمارة فى المشرق العربى فى ضوء الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتتالية التى مرت بها المنطقة أثناء فترات التاريخ لتاريخ العمارة فى الغرب .

وقد آن الأوان لاعادة تاريخ هذه المنطقة بنفس المنهج بحثاً عما أفرزته الأحداث التاريخية فيها من عمارة أو عمران على مر التاريخ حتى وقتنا هذا لنخرج بتوقعاتنا عن مستقبل العمارة فيها .

التفاعلات الحضارية في عمارة المشرق العربي

العمارة العربية المعاصرة فى المشرق العربى تعتبر حصيلة التفاعلات الحضارية التى تمت فى المنطقة على مدى تاريخها الحضارى الطويل .. ويظهر هذا التفاعل فى التقسيم المميز للهياكل العمرانية لمعظم التجمعات السكنية فى المنطقة . حيث تنفصل المدينة القديمة بأسوارها وما بقى من مبانيها التاريخية عن المراحل المعمارية المتتابعة خارج الأسوار وإذا كان هذا التقسيم العام واضحاً فى معظم المدن إلا أنه يختلف فى تفاصيله المعمارية من مدينة إلى أخرى تبعاً لموقعها الجغرافى ومراحل تاريخها السياسى والتكوين الحضارى لمجتمعاتها .

ومن ناحية أخرى يمكن تقسيم التفاعلات الحضارية فى عمارة المشرق العربى إلى مراحل تاريخية متميزة ، المرحلة الأولى منها قبل التاريخ وهى مرحلة تهم الأثريين والمؤرخين أكثر مما تهم المعماريين نظراً للبعد الزمنى الكبير لهذه المرحلة . ثم المرحلة المتميزة الثانية وهى المرحلة التاريخية قبل الميلاد أو بعده وهى تتكون من مراحل متتالية تتابعت على فترات زمنية طويلة ارتبطت كل مرحلة فى جذورها بالمراحل السابقة وامتدت آثارها إلى المراحل التالية وذلك فى تفاعلات حضارية طويلة الزمن عميقة التأثير محدودة المكان . وهنا تظهر التفاعلات المعمارية المحلية أكثر وضوحاً من التفاعلات الخارجية .

وتختلف هذه التفاعلات من منطقة جغرافية إلى أخرى تبعاً لتعرضها للتقلبات التاريخية ، فعندما كانت مصر تتأثر بالحضارة الفرعونية ثم اليونانية والرومانية حتى ظهرت الحضارة الاسلامية ، تأثرت المناطق المحيطة بها فى السودان جنوباً بالحضارة الفرعونية وشمالاً فى الشام (فلسطين وسوريا والأردن ولبنان) ببعض مؤثرات الحضارة الفرعونية ثم بنفس المؤثرات الخارجية للحضارة اليونانية والرومانية حتى ظهور الحضارة الاسلامية ، وعلى الجانب الشرق فى أرض ما بين النهرين ظهرت الحضارة الآشورية منفصلة عن ومتزامنة مع الحضارة الفرعونية التى قل تأثيرها شرقاً .. حتى ظهور الحضارة الاسلامية . وفى الجزيرة العربية عاشت المنطقة مراحل تاريخية متتالية محدودة الآثار المعمارية بعيدة عن مؤثرات الحضارات المتزامنة فى مصر والشام أو أرض ما بين النهرين . إلى أن ظهرت الحضارة الاسلامية التى تمثل المرحلة المتميزة الثالثة .

يتضح من التتابع التاريخى أن التفاعلات الحضارية فى عمارة المشرق العربى أخذت الصيغة المحلية إلى أن ظهرت الحضارة الاسلامية كمؤثر عام شمل كل مجتمعات المشرق العربى وبعدها بدأ الارتباط الحضارى بينها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً .. وبدأت تظهر آثار التفاعلات الحضارية الاسلامية على عمارة المنطقة بدءاً بعمارة المساجد ثم بالعمارة الرسمية حتى العمارة السكنية والشعبية ، فانتقلت الملامح المعمارية للدول الاسلامية المتتالية من مراكز الحكم أو الولاية إلى سائر أنحاء الدولة مع انتقال الامارة والولاة التابعين لها .. وهنا

تدخل منطقة المشرق العربى فى حدود الدولة الاسلامية بجناحيها فى الشرق والغرب . وهكذا تظهر التفاعلات الحضارية فى عمارة المشرق العربى واضحة المعالم بين دول المنطقة فى هذه الفترة التاريخية حتى ظهور الدولة العثمانية وما تبعها من غزوات واستعمار سياسى أو اقتصادى أو ثقافى وهو ما يحتل المرحلة المتميزة الرابعة والتى لا تزال اثارها الجانبية مستمرة حتى الآن .

وإذا كانت التفاعلات الحضارية فى عمارة المشرق العربى فى المراحل الثلاثة الأولى قد انحصرت داخل المدن القديمة إلا أن آثار التفاعلات الحضارية فى المرحلة الرابعة ظهرت آثارها على عمارة المدن خارج الأسوار ، ثم انعكست بعد ذلك على العمارة داخل الأسوار ، وازدادت آثار هذه التفاعلات فى هذه المرحلة مع زيادة السرعة فى وسائل الاتصال سواء على المستوى المحلى للمنطقة أو المستوى الدولى مع العالم الخارجى . ومع ضعف الاستمرار الحضارى الاسلامى فى هذه المرحلة بدأت المنطقة تتعرض لغزوات حضارية وثقافية إثر الغزوات العسكرية والسياسية انعكست آثارها على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية وفى مقدمتها العمارة ، حيث انتقلت إلى المنطقة قادمة من الغرب بأساليب جديدة فى البناء وانماط جديدة من التصميمات وعناصر جديدة من المفردات المعمارية تجمعت فى القوالب المعمارية التى تميزت بها كل فترة من هذه المرحلة ، وصحب ذلك دخول الفكر الغربى إلى العملية التعليمية والمهنية ليس فقط فى التصميم المعمارى بواسطة المعماريين الأجانب ولكن دخل أيضاً فى تكوين المعمارى العربى نفسه سواء فى المدارس المعمارية المحلية أو بالانتماء إلى المدارس المعمارية الأجنبية فى فرنسا وانجلترا وإيطاليا .. وانتقل بذلك الفكر المعمارى الغربى إلى المنطقة ليشكل عمارة المدينة العربية المعاصرة خارج أسوار المدن القديمة . وكانت أقرب المصادر المعمارية إلى المنطقة فى فرنسا وإيطاليا واليونان .. حتى انتقلت منها تعابير المهنة وألفاظها .

وإذا كان هناك وحدة فى التعبير المعمارى فى العصور الاسلامية ربطت بين عمارة الأقطار الاسلامية المختلفة فى المشرق العربى ، وإن اختلفت فى تفاصيلها المعمارية التى تأثرت بطرق التشييد ومواد البناء التى استعملت على مر العصور السابقة ، فإن وحدة التعبير المعمارى فى المرحلة التاريخية الرابعة التى ضعف فيها الاستمرار الحضارى الاسلامى جاءت نتيجة لوحدة المصادر الغربية لوسائل البناء والتشييد مع وحدة المتطلبات الاجتماعية الجديدة التى صاحبت الغزوات الحضارية على المنطقة وكادت تقضى على المقومات الحضارية الاسلامية . وإذا كانت وحدة التعبير المعمارى فى العصور الاسلامية المتتابعة قد ظهرت فى المبانى الدينية من المساجد والمدارس فقد ظهرت أيضاً فى المبانى العامة والرسمية كما ظهرت فى العمارة السكنية التى ارتبطت بنسيج عمرانى يعبر عن العلاقات الانسانية المترابطة للمجتمع . فان وحدة التعبير المعمارى فى العصور اللاحقة والتى ضعف فيها الاستمرار الحضارى الاسلامى ظهرت أكثر ما ظهرت فى العمارة الرسمية للمبانى العامة كما ظهرت فى العمارة السكنية التى ارتبطت بنسيج عمرانى جديد يعبر عن العلاقات الانسانية المتحلله للمجتمع بل وساعدت على تفكك هذه العلاقات بالاضافة إلى تدمير وسائل النقل والاتصال الحديث لما تبقى من هذه العلاقات الاجتماعية وبذلك فقدت العمارة العربية أصولها المتوارثة كما فقدت المجتمعات العربية أصالتها الاجتماعية والثقافية .

والعمارة فى كل المراحل التاريخية التى مرت بها المنطقة هى من صنع الأنسان ، سواء المكلف من قبل الوالى أو الحاكم بالنسبة للمبانى الرسمية والعامة ، أو المكلف من قبل الفرد صاحب العقار بالنسبة للعمارة الشعبية . وفى كلتا الحالتين يتحرك الانسان المكلف بالبناء من منطلق رغبات الوالى أو الحاكم أو الفرد صاحب العقار .. وكل يعبر عن متطلباته وتطلعاته من واقع تكوينه الثقافى والحضارى ، وتبدأ عمليات البناء من صنع الانسان سواء بيده التى تعبر عن إحساسه بالمادة أو مقدرته التى تظهر فى اتقانه واخلاصه للعمل وهذا ما تميزت به عصور ما قبل الثورة الصناعية ، أو سواء بالآلة التى ابتكرها غيره لمساعدته على أداء عمله فى البناء توفيراً للوقت والجهد ، والذى أصبح ظاهرة اجتماعية اقتضتها متطلبات السرعة فى الحركة والانتقال والاتصال . ومن هنا فإن التفاعل الحضارى بين المعمارى والصانع والمادة فى ضوء المستوى الثقافى والحضارى لصاحب العقار أصبح مشكلاً للصيغة النهائية للعمارة بكلياتها وجزئياتها بعمومياتها وتفاصيلها . فالعمارة إذن هى نتاج مشترك للمعمارى والصانع وصاحب الأرض .

وعندما تسلل الغرب إلى المشرق العربى كمفترق للطرق بين الشرق والغرب ، وتسللت معه العديد من القيم الحضارية الغربية حاملة معها آثار من الفكر المعمارى الغربى بفلسفته ونظرياته ، وأساليب ومواد البناء كبداية لغزو الغزو السوق التجارى فى المنطقة العربية ، والذى استمر حتى التاريخ المعاصر بالرغم من انحسار الشكل السياسى للتسلل الغربى فى المنطقة ، ولكن لا زال التسلل الاجتماعى والاقتصادى قائما يعكس آثاره على العمارة العربية المعاصرة ويطمس آثار الشخصية العربية والإسلامية اجتماعياً وعمرانياً . فدخلت العمارة الغربية المنطقة العربية بأثوابها الكلاسيكية تارة ، وأثوابها الحديثة مرة أخرى ، حتى أصبح المشرق العربى حقلاً للتجارب المعمارية أو ملعباً للمعماريين الغربيين كما يصفه أحدهم ، وكان دور المعمارى المحلى فى كل هذه المباريات دوراً هامشياً ، فقد فيه أصالته وانخرط فى اللعبة المعمارية الغربية فكرياً ونظرياً مما زاد من تغلغل القيم الاجتماعية الغربية فى المجتمع العربى ، كما زاد أيضاً من تدفق تكنولوجيا ومواد البناء الغربية إلى المنطقة العربية عاكسة آثارها على العمارة العربية المحلية . ومع زيادة الابتكارات التكنولوجية فى عالم البناء فى الغرب ، زادت التخصصات الفنية التى تتكامل فى عمليات البناء وبدأ المعمارى العربى يفقد دوره فى السيطرة على العمل المعمارى ، فزاد بذلك تدخل التخصصات الصناعية وأرست قواعدها فى صناعة البناء فى المنطقة العربية . ففقدت بذلك الدول العربية سيطرتها على اقتصادياتها ومن ثم على صناعة البناء بها ، فى الوقت الذى سيطرت فيه الدول الغربية على مقوماتها الصناعية وكادت تعمل كدولة واحدة تغزو صناعات البناء فيها أسواق العالم العربى ، مضيفة بذلك عبئاً آخر على اقتصاديات المجتمع العربى ومن ثم على مقوماته الاجتماعية الثقافية ثم على مشروعاته العمرانية . ومع قرب نضوب مصادر الطاقة فى المشرق العربى بدأ الفكر يتحرك تجاه التكنولوجيا المتوافقة فى البناء والتى دعى إليها المعمارى المصرى « حسن فتحى » منذ أكثر من ربع قرن من الزمان . فالعمارة فى منطقة المشرق العربى هى فى النهاية نتيجة للتفاعلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تجرى على أرضه فى كل عصر من العصور . فالعمارة فى النهاية هى إفراز حضارى قبل أن تكون فكراً معمارياً محدداً .

العوامل المشكلة للعمارة العربية فى المشرق العربى

لقد ارتبط التشكيل المعمارى فى الفترات الأولى من التاريخ أساساً بمادة البناء المحلية وبتكنولوجيا التشييد التى ابتكرها الانسان فى هذه الأزمان ثم بالتصور الفراغى للمعمارى لهياكل المبانى الرسمية أو الدينية تلبية لرغبات الحاكم أو الوالى أو بالتصور الفراغى لعامل البناء الماهر لهياكل المبانى السكنية تلبية لرغبات صاحب الأرض .. والفن المعمارى فى هذه المراحل كان يخضع إلى المواهب الخاصة التى نمت مع الممارسة الطويلة بالتعامل مع مادة البناء واستيعاب خواصها الطبيعية وخصائصها الهندسية واتقان الصنعة ، فالتشكيل المعمارى وإن كان يبدأ بالرسومات المبدئية فهو يتم باستمرارية التعايش مع المادة أثناء عمليات البناء ، ومن هنا يظهر العامل الانسانى واضحاً فى التعبير التشكيلى أو الفراغى ، كما يظهر واضحاً أيضاً فى دقة التفاصيل وتجانسها ، فالمعايشة المستمرة مع المبنى أثناء مراحل بنائه هى العامل الرئيسى الذى كان يشكل العمارة فى المراحل التاريخية المتلاحقة حتى ظهور الصناعة التى انعكست آثارها على المنطقة من خلال الغزوات العسكرية والسياسية والثقافية .

إذا كان التعايش مع المبنى يتم من قبل المعمارى أو رئيس البنائين المكلف من قبل الوالى أو الحاكم أو صناع البناء المكلفين من قبل أصحاب المبانى السكنية إلا أن لأصحاب المبنى دور بارز فى هذه المعايشة .. فإن كان المعمارى أو رئيس البناء من حاشية الوالى أو الحاكم يتداول معه الرأى ويناقشه فى منجزات الغير من حكام أو ولاة سواء نقلاً عن روايات المبعوثين أو تأثراً شخصياً بما رأوا بأنفسهم من عمارة الآخرين . من هنا خلقت المعايشة المستمرة مع المبنى أثناء مراحل بنائه من قبل المعمارى وصاحب الشأن حساً واعياً لدى كل من المعمارى وصاحب الشأن وهذا هو الأهم فهو صاحب القرار النهائى فى عمليات البناء .

وإذا كانت المعايشة فى عمليات البناء هى صورة من صور وحدة الفكر فى التشكيل المعمارى لعمارة المنطقة فإن عامل التوزيع يتأثر بالمكان وما يوفره من مواد صالحة للبناء . ففى مصر والشام كان لبناء بالحجر الأمر الذى أدى إلى استخدام بحور قصيرة بين الأعمدة كما فى المعابد الفرعونية واليونانية أو العقود والقباب كما فى العمارة الرومانية والاسلامية . وفى أرض ما بين النهرين فى العراق كان استعمال الطابوق ظاهراً فى العمارة الآشورية والاسلامية واستمر تعبيره إلى الوقت الحاضر مع اختلاف الاستعمال فى الحوائط أو التجميل ، وفى الجزيرة العربية كغيرها من المناطق الصحراوية كان استعمال الطين المختلط بالرمل امتداداً رأسياً لطبيعة الأرض بلونها وملمسها وصغرت الفتحات واستعملت الأقبية والقباب فى بعض الأحيان وجزوع الأشجار والنخيل فى أحيان أخرى ،

فظهرت المبانى مكونة كتلاً معمارية متلاصقة تعبيراً عن الترابط الاجتماعى والأمن وتحقيقاً لقسوة المناخ وهى صورة لعمارة الصحراء فى كل مكان .

مع المعايشة المستمرة مع مراحل البناء التى تلعب فيها مهارة الصانع دوراً واضحاً فى التشكيل المعمارى بكلياته وجزئياته ، ومع ارتقاء الوعى الحضارى للبناء الذى نمى عند العامة والخاصة لم يقتصر التشكيل المعمارى على الهيكل البنائى فقط ولكنه ارتبط بصورة متكاملة مع متطلبات المبنى من أثاث مبنى أو مكملات ترويحية أو جمالية ، الأمر الذى ظهر جلياً فى عمارة المجتمع الاسلامى والتى تعبر تعبيراً صادقاً على أن البناء الداخلى للفراغات والمتطلبات المعيشية هى أساس التشكيل المعمارى الذى ينشأ عنه الغلاف الخارجى للمبنى ، فالتشكيل المعمارى هنا كان تشكيلاً داخلياً يبدأ من الداخل إلى الخارج أكثر منه تشكيلاً حجمياً يبدأ من الخارج إلى الداخل كما فى بعض التعبيرات المعمارية المستحدثة . فقد كانت عمليات البناء تتم من الداخل إلى الخارج خاصة مع تلاصق المبانى بعضها ببعض الأمر الذى تختفى معه الواجهات أو التكوينات الحجمية للمبنى ككيان مستقل لا ينفصل . لذلك نجد أن عمارة المجتمع الاسلامى والعمارة الصحراوية غنية من الداخل وأكثر ارتباطاً بسكانها وأقل تجرداً فى الخارج .

بدأت المعايشة المستمرة بين المعمارى أو رئيس البنائين والمبانى التى يشيدوها بالتعاون مع أصحابها ووضوح الجانب الانشائى فيها ، بدأت هذه المعايشة تختفى بظهور الثورة الصناعية وسيطرة الآلة على انتاج الانسان وحركته وسلوكياته الحياتية الأمر الذى انعكس بالتبعية على قيمه الحضارية والفكرية . وباختفاء هذا التعايش بين المعمارى والمبنى اختفت اللمسات الانسانية فى كليات العمارة وجزئياتها وأصبح المبنى مركب تكنولوجى من عناصر انشائية ومواد بنائية وتجهيزات فنية تغلب فيه الجانب الهندسى على القيم الفنية التى انحصرت فى التشكيلات الحجمية والشكلية الخارجية .

مما سبق يتضح أن تشكيل العمارة فى منطقة المشرق العربى كغيرها من المناطق يخضع إلى عوامل مترابطة ومتكاملة وليس لعامل واحد أو أكثر ، وهذه العوامل المترابطة تعتبر مزيجاً من مؤثرات العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والبيئية السائدة التى تنعكس على المعمارى أو رئيس البنائين من جانب وصاحب البناء من جانب آخر .. من هنا يأتى التشكيل المعمارى معبراً عن قدرة المعمارى أو رئيس البنائين وقدره فى المجتمع كما تعبر عن الوضع الحضارى والثقافى لصاحب الملك الممثل للمجتمع الكبير . من هنا يمكن قراءة الملامح السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع من خلال النسيج العمرانى للمجتمع السكنى الذى يعيش فيه . فمستقبل العمارة إذن لا يعتمد على قدرة المعمارى فنياً وعلمياً وتنظيمياً بقدر ما يعتمد على وضع المجتمع حضارياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً مع ما يرتبط بذلك من تقدم علمى وتكنولوجى من ناحية وارتباط بالجذور الحضارية للمجتمع من ناحية أخرى .

وإذا كانت الثورة الصناعية قد أثرت تدريجياً على عمارة الغرب حتى استوعبتها مع مراحل التقدم العلمى والتكنولوجى ، وأصبحت العمارة الغربية بذلك إفرازاً طبيعياً لهذه الثورة ، إلا أن تأثير الثورة الصناعية على العمارة العربية كان تأثيرا فجائيا أو خارجيا لم تتمكن العمارة العربية من استيعابه ، كما لم يتمكن المجتمع العربى من استيعاب التقدم العلمى والتكنولوجى والتفاعل معه . فكما رضخ المجتمع العربى للمقومات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الغرب ، رضخ الفكر المعمارى أيضا لهذه المقومات وأصبح تابعا لها إلى درجة يصعب معها التخلص منها والعودة إلى النظرية العربية النابعة من الواقع المحلى للمنطقة العربية . وفى وجود هذا المأزق الفكرى بدأ الغرب يهتم بمقومات العمارة التراثية فى منطقة الشرق العربى . ويأخذ مقاليد القيادة الفكرية بين يديه بحثا وتأليفا ونشرا واتساعا بما لديه من امكانيات علمية ومادية لم تتوفر بعد فى المنطقة العربية ، إلى درجة أصبح فيها المعمارى الغربى يساهم فى تشكيل العمارة العربية المعاصرة ويساهم فى نقدها فى نفس الوقت بل ويأخذ المبادرة فى البحث فيها وتحليلها والنشر عنها . وفى كل هذا يبنى المعمارى الغربى منهجه على أساس الفكر والنظرية الغربية التى نشأت ونمت وتطورت فى مجتمعات تختلف عن المجتمع العربى اقتصاديا وثقافيا وبيئيا .. وبذلك أخضع المعمارى الغربى العمارة العربية لقيمه الفنية ومقاييسه التشكيلية التى تزخر بها كتبه عن النظرية المعمارية وبهذا هبط تعايش المعمارى العربى مع عمارته فكريا ونظريا وعمليا .

المخزون الحضارى فى العماره المصرية القديمة

لقد رسمت البيئة الحضارية بشقيها الطبيعى والانسانى معالم العمارة الفرعونية فى مصر على طول محور الحياة المتمثل فى نهر النيل كمصدر للخير والنماء والوحدة والاستقرار ، فقد انعكست جيولوجية الصحراء المصرية على مواد البناء ، سواء فى عمارة المأوى فى الحياة الدنيا أو المأوى للحياة الأخرى ، وما ارتبط بذلك من عقائد دينية ونظم اجتماعية وانجازات علمية فى تكنولوجيا البناء أو تعبيرات فنية عن المعالم البيئية والحضارية ، انعكست جميعها على البناء فى العصر الفرعونى الذى كان امتداداً رأسياً للبيئة الصحراوية حيث أقيمت معظم التجمعات السكنية بعيداً عن الأرض الزراعية حفاظاً عليها وتجنباً لفيضان النيل على هذه التجمعات . وقد حرص الانسان فى العصر الفرعونى على تسجيل كل جوانب الحياة التى يمارسها كمصدر للعلم ، ودافعاً للاستمرارية الحضارية ، وهذه هى مقومات الشخصية المعمارية الفرعونية النابعة من تراب الأرض ورمالها وأحجارها وأشجارها .. والتى امتدت لتؤثر على غيرها من الحضارات المجاورة . فقد سبقت حضارة وادى النيل غيرها من الحضارات فى العالم القديم بحيث وصلت إلى درجة النضوج فى الوقت الذى كانت فيه الحضارات والشعوب المجاورة ما زالت فى مرحلة فجر التاريخ . وهذا ما وفر القوة الدافعة للاستمرارية الحضارية سواء من منطلق إحساس المصرى القديم بالذاتية والريادة الحضارية مما دفعه من ناحية إلى المحافظة على طابعه وتراثه ، ومن ناحية أخرى لم يجعله فى موقف المتأثر بحضارات الغير ، وحتى عندما تعرضت مصر إلى الغزوات الشعوبية فى مراحل ضعفها العسكرية فإن قوة حضارتها المادية والفكرية جعلت الغزاة غير قادرين على إحداث التغيير الحضارى فى مصر القديمة بل وجعلتهم ، وهم القادرون عسكرياً ، يتأثرون بالحضارة المصرية القديمة بمكوناتها الوجدانية والمادية ويتطبعون بها وينتسبون إليها ، وذلك مما حافظ على الاستمرارية الحضارية لمصر القديمة حتى وهى فى فترات ضعفها العسكرى .

خريطة توضح المواقع التاريخية فى مصر القديمة

امتد العصر الفرعونى حوالى ثلاثة آلاف عام ، شاهد مراحل من التطورات المعمارية بمعدلات تتناسب مع طبيعة الحياة ، كما ظهر فى التحولات التى طرأت على تصميم المصطبة ومنها إلى الهرم المدرج ثم الهرم المتكامل الشكل والتى لا تزال أهرامات الجيزة منها تمثل انجازاً علمياً وتنفيذياً حتى على المستوى المعاصر ، إذ يعبر الهرم عن التقدم العلمى المتكامل فى مجالات الرياضيات والفلك والهندسة وفنون البناء والبرمجة وإدارة عمليات التشييد . وقد تلازم الابداع المعمارى بالوحدة الوطنية التى استقرت حتى الأسرة السادسة عندما نمت روح الفردية وانقلبت إلى ثورة طبقية انتهت إلى تقسيم الدولة إلى ولايات تتنازعها الانقسامات فضعفت وضعف بذلك انتاجها المعمارى والفنى وهبطت المهارة الفنية وروح الابداع ، وفى هذه الفترة ظهرت الاستراتيجية العمرانية التى تدعو إلى ضرورة بناء المدن وتعميرها فى المناطق المعرضة للغزو الخارجى وتكثيف السكان فيها لتكون قادرة على المقاومة والدفاع عن نفسها .

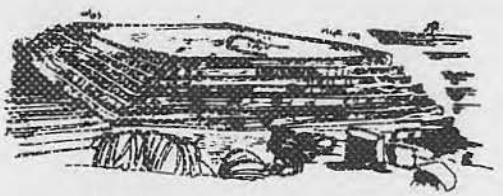

- مصطبة مقبرة من عهد آسب - الأسرة الأولى .

شهد عصر الدولة الوسطى عودة إلى الوحدة الوطنية مع ازدهار اللامركزية واكتسبت بذلك قوة أكبر كان لها أثرها الاقليمى على الدول المحيطة بمصر فى الشرق الأدنى وجزر البحر الأبيض المتوسط ، ومع بزوغ نجم طيبة وفى ظل الاستقرار عادت الحركة الفنية والعلمية والأدبية والتجارية التى انعكست على البناء العمرانى وازدهار عمارة القصور والمكاتب والمصانع والمخازن وسكن العمال . كما شهدت هذه الفترة تحولاً فى التخطيط القومى عندما انتقلت العاصمة الادارية إلى شمال الفيوم وبقيت طيبة فى الجنوب عاصمة دينية وهكذا انقلب ميزان الفرقة والضعف الحضارى إلى وحدة واستقرار وتقدم حضارى شهدته هذه الفترة التى لا تتعدى قرنين من الزمان . ثم انقلب الميزان بعد ذلك مرة أخرى فى الفترة من عصر الأسرة الثالثة عشر حتى الأسرة السابعة عشر والتى شهدت غزو الهكسوس لمصر فانتقل الاستقرار إلى قلق والقوة إلى ضعف والحرية إلى احتلال ، ومع ذلك بقيت روح مصر وتقاليدها الروحية واللغوية والدينية دفينة فى وجدان الانسان المصرى ولم تظهر على السطح فى العمارة أو الفنون ..

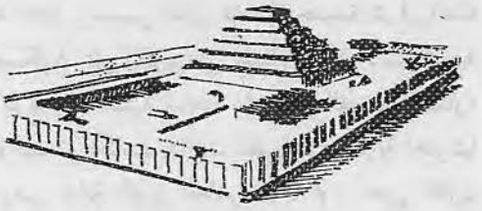

– هرم زوسر المدرج سقارة – الأسرة الثالثة .

– هرم ميدوم بنى سويف – الأسرة الرابعة .

وينقلب الميزان الحضارى مرة أخرى بعد ذلك فى الفترة من عصر الأسرة الثامنة عشر إلى الأسرة الواحدة والعشرين . فيعود الاستقرار والاستقلال بعد طرد الهكسوس وتنبعث روح مصر وتقاليدها التى دفنت فى وجدان الانسان المصرى مرة أخرى أكثر قوة وفعالية ، فبلغت الدولة زروة الرخاء العام فى الفنون والرقى الفكرى وتعدد المذاهب والانطلاق الواسع فى مجالات السياسة والعلاقات الخارجية ، انعكس كل ذلك بطبيعة الأمر على عمارة مصر فأقيمت المعابد الخالدة مثل معبد حتشبسوت فى قلب غرب الأقصر مؤكداً قدرة الفكر المعمارى وانتمائه إلى طبيعة المكان وعظمة السلطان . ومعبد أبو سنبل الذى يعبر عن عمق الفكر العلمى فى توجيه المكان وارتباطه بالحركة الكونية وتوسعات معبد الكرنك التى تحاكى التكوين العضوى للانسان فى مراحل نموه المختلفة ، ومعبد الرمسيوم الذى يعبر عن القوة والسمو ، ومعابد أبيدوس وحابو وغيرها من الصروح المعمارية التى تعبر عن التقدم الاقتصادى والسياسى للدولة . كما شهد هذا العصر حركة واسعة من التعمير ظهرت آثارها فى مدينة تل العمارنة التى بناها اخناتون والتى عبرت عن أحدث الاتجاهات التخطيطية ، فقد بنيت المدينة على سفح هلالى الشكل فى حضن الجبل على الضفة الشرقية للنيل بعيداً عن الأرض الزراعية ، وانقسمت المدينة إلى قسمين الغربى يضم قصر الاقامة والمعبد يطل على النيل والشرق يضم قصر الحكم الذى يرتبط بقصر الاقامة بجسر علوى تنصفه منصة يطل منها الحاكم على شعبه كما يضم الجانب الشرق مناطق الخدمات والمنطقة الصناعية والمنطقة الادارية الغربية من قصر الحاكم ثم مساكن كبار الموظفين ، وفى الجنوب بنيت قرية للعمال . فكان ذلك تعبيراً ناضجاً عن الفكر التخطيطى الملتزم بخصائص المكان ومميزاته حيث يسهل التحكم فى المدينة عند مداخلها الجنوبية والشمالية ويقام البناء فى غرب المدينة لفصل الجانب الغربى للنيل حيث المناطق الزراعية التى تغذى المدينة . وهكذا يظهر الحس التخطيطى الناضج فى تنظيم المدينة الغرعونية .

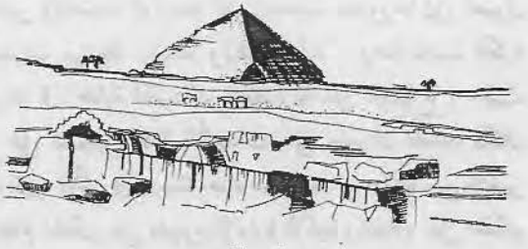

هرم سنفرو المنحنى – بدهشور

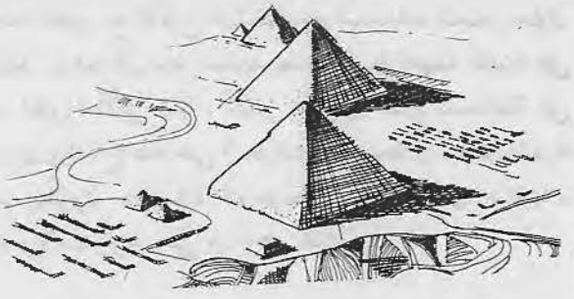

– أهرامات الجيزة – خوفو – خفرع – منقرع – الأسرة الرابعة .

وفى عصر الدولة الحديثة اختار رمسيس الثانى عاصمة جديدة شرق الدلتا فى موقع دفاعى كقاعدة عسكرية على الطريق إلى الشام أملتها الاستراتيجية الدفاعية للدولة وقد سجل تاريخ هذه الفترة شاهداً على تقدم الفنون والعمارة والالتزام بالواقعية فى التعبير والتصميم فكانت بدايات لنظريات معمارية اختزنتها العمارة المصرية القديمة . ومن بداية القرن العاشر ق . م . حتى القرن الرابع ق . م دخلت مصر مرحلة من التذبذب بين مد وجزر فى مجالات السياسة والاستقرار الداخلى ، مرحلة اختلطت فيها الأجناس الأجنبية بالمصريين حتى كان الحكم يتردد بين المصريين وانصاف المصريين أو المتمصرين ، ثم أصيبت مصر بتأرجح فى موازين القوى بين أقطار الشرق والغرب فى ذلك الوقت حتى تعرضت البلاد للغزو والاحتلال أكثر من مرة فى هذه الفترة التى انتهت وانتهى معها الحكم الفرعونى لمصر عندما انتهت الأسرة الثلاثين ودخل الاسكندر المقدونى مصر فى أواخر القرن الرابع ق . م ، وهكذا فتحت مصر أبوابها لمؤثرات العصر اليونانى والرومانى والقبطى بعد ذلك .

على الرغم من سقوط دولة الفراعنة واحتلال الفرس ثم الاغريق ثم الرومان لمصر ، إلا أن المد الحضارى لمصر الفرعونية ظل مستمراً بل واحتوى داخله الغزوات الحضارية الأخرى وصبغه بصبغة تميزت عن جذور الحضارات القادمة . ومن عوامل هذه الاستمرارية الحضارية لمصر القديمة اجتماع الناس على فكر واحد ألا وهو الدين والعقيدة الواحدة التى امتدت جذورها إلى أصول كل العلوم والفنون فصارت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعابد . وهنا لعبت فكرة البعث بعد الموت دورها فى حماية المفردات الحضارية من الضياع ، حيث حرص المصرى القديم على تسجيل كافة الأحداث على جدران المعابد فكان لأعمال التسجيل هذه كبير الأثر فى صيانة هذه المفردات وحمايتها من التغيير والتبديل ، كما أن قيام نظام الحكم على مفهوم الإدارة الآلهية واعتماده على الحكم المركزى الذى تقع مقاليده فى يد الفرعون وكهنة المعابد أوجد نوعاً من الوحدة فى النمط والقالب وأسلوب التعبير للحضارة الفرعونية . وقد كان لاعتماد المصرى القديم فى حياته على الزراعة والنيل تأثيره فى ثبات فنون وتقنية البناء حيث اعتمد فى البداية على استخدام العناصر النباتية فى تشكيل الحوائط والأعمدة ثم استخدام الطين مع الأفرع النباتية ثم مع استخدامه للحجر حاول محاكاة العناصر النباتية . وهذا الارتباط الشديد بعناصر البيئة المحيطة القديمة على حضارات الشعوب المجاورة الأقل شأناً ، تحمس المصرى القديم للمحافظة على طابعه وتراثه الحضارى والدفاع عنه حتى فى فترات الاضمحلال . فكان الغزاة القادمين بحضارتهم يتأثرون بالحضارة الفرعونية وينصهرون فى بوتقتها ، فتمكنت من البقاء والاستمرارية حتى فى أوهن فتراتها .

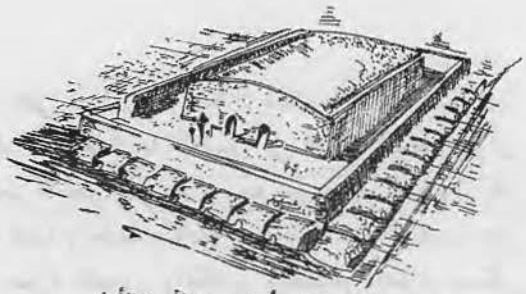

- معبد مرنبتاح بأبيدوس - الأسرة الأولى .

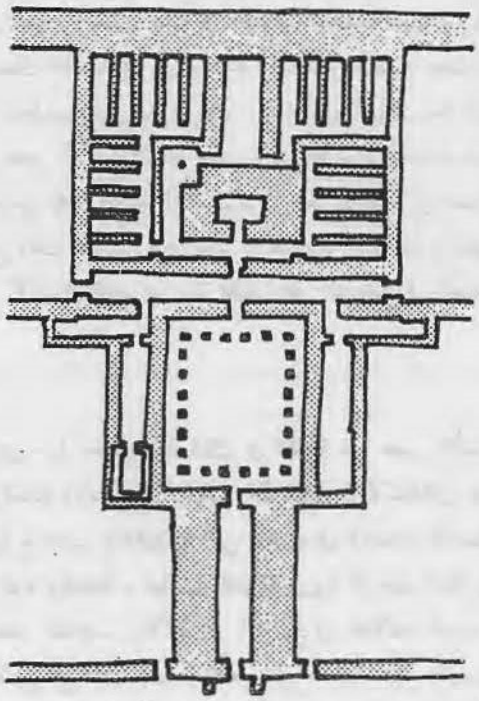

- المعبد الهرمى لسيزوستريس - الأسرة ١٢ .

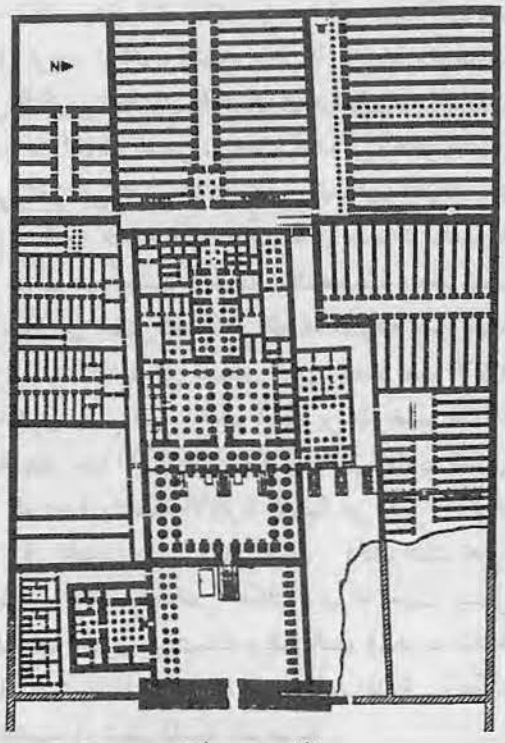

- الرامسيوم - طيبة .

لقد لعبت البيئة دوراً مؤثراً فى تحديد الطابع العام للحضارة المصرية القديمة واستمراريتها ، ذلك على الرغم من تذبذب الدولة – على مدى عصور الأسرات وحتى سقوطها – صعوداً أو هبوطاً من مرحلة ازدهار إلى اضمحلال إلى ازدهار مرة أخرى ، فقد كان لأهمية موقع مصر بين دول العالم القديم وموقعها على البحرين الأبيض والأحمر ثم الرخاء الزراعى دوراً كبيراً فى إيجاد الشعوب المحيطة مما دفعهم إلى تعمير المدن وتحصين مناطق المواجهة مع المحافظة على الطابع والاستمرارية فى أوقات الازدهار والاضمحلال . كما ساعد امتداد نهر النيل على ايجاد الاستمرار المرتبط بالزراعة وتوجيه توزيع المواقع السكنية ووسائل الاتصال فيما بينهما ، كما ساعد من ناحية أخرى على ظهور أول وحدة سياسية وحكم مركزى مستقر . وقد كان لطمى النيل المترسب على جوانب النيل والنباتات البرية دور كبير فى توفير مواد البناء اللازمة لسكنى الناس . وقد ساعد على تمركز السكان فى الوادى جفاف ووحشة الصحراء المحيطة به التى وفرت بدورها الحماية الطبيعية للوادى ضد الغزوات الخارجية كما احتوت هذه الصحارى على معادن مختلفة وحجارة متنوعة الصلابة صارت مصدراً رئيسياً لمواد البناء التى حفظت المعابد والمقابر حتى يومنا هذا . وقد كان للاستقرار البيئى والمناخى دوراً فعالاً فى استقرار الحياة السياسية وصيغ الانتاج الفنى والمعمارى بطابع من البساطة فى الخطوط واستقامتها ووضوح التعبير .

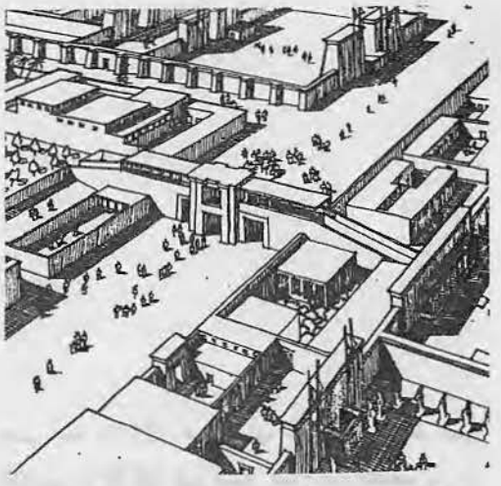

الاتصال بين قصرى الحكم والإقامة عن طريق جسر علوى يعبر الطريق الرئيسى فى مدينة تل العمارنة .

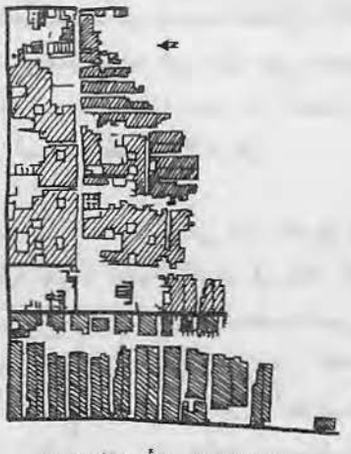

– مدينة كاهون – الأسرة الثامنة عشر .

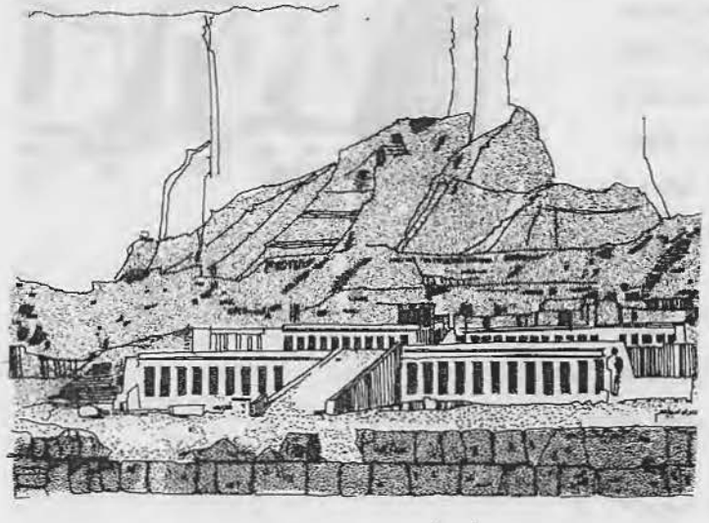

– الدير البحرى – معبد حتشبسوت

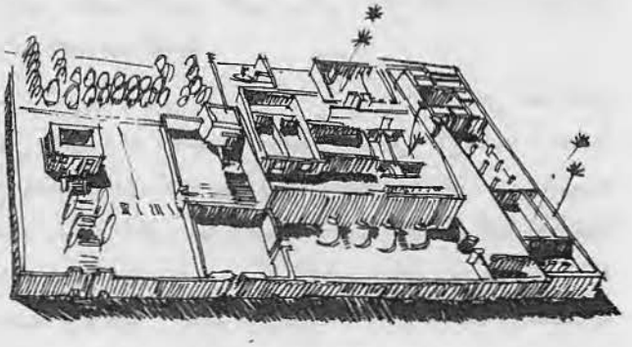

نموذج مسكن فى تل العمارنة

صمود الشخصية المعمارية في مصر للغزو اليوناني والروماني

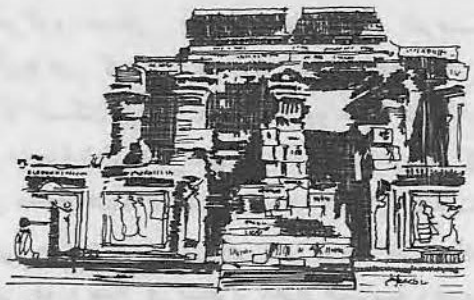

معبد كوم امبو ، أحد المعابد البطلمية ١٨١ ق.م وقد استكملت عناصره المعمارية ابان العصر اليوناني والروماني

فتح الاسكندر الأكبر مصر عام ٣٣٢ق.م ودخلها غازياً ، وكانت مصر في هذه الفترة تحت الحكم الفارسي ، كما كان فيها نسبة كبيرة من المتمصرين من أصل اغريقي . ولهذا لم ينظر إلى جيش الاسكندر الأكبر – من وجهة نظر المصريين – بمعنى الغزو الكامل . وانتهى حكم الفرس لمصر واستبدل بالاغريق الذين كثيراً ما جاءوا إلى مصر من قبل وتعايشوا مع المصريين كتجار أو جنود مرتزقة يعملون في خدمتهم . واستمر المد الحضاري لمصر القديمة وخصوصاً أن الغزاة الاغريق كان ينظرون إلى الحضارة المصرية القديمة على أنها حضارة رائدة ولعل من أبرز البراهين على ذلك قيام الاسكندر الأكبر بتنسيب نفسه إلى الآلهة آمون وزيارته لمعبد آمون بواحة سيوة وإقامته للبوابة التي نحت على واجهتها رسماً يمثله في زي الفراعنة يتعبد إلى الآلهة آمون . وهكذا استمر المد الحضاري لمصر الفرعونية وان تداخل معه بعض العناصر المعمارية الاغريقية

وعندما مات الاسكندر الأكبر ترك بعد دولة البطالمة التي بنت لنفسها في مصر امبراطورية تديرها النظم الأغريقية بقيادة أجنبية ركزت في يدها كل السلطات تساعدها مجموعة من الأجانب ومع ذلك صمدت الشخصية المصرية في الإدارة والقضاء . وفرضت الشخصية اليونانية نفسها على بعض الملامح المعمارية لهذه الفترة ، وعندما انتصر أغسطس الروماني على غريمه أنطونيوس اليوناني عام ٣١ ق . م دخل مصر غازياً بعد عام واحد وضمها إلى امبراطوريته الرومانية وأخضعها لحكمه وسلطانه كمصدر رئيسي من مصادر الغذاء للشعب الروماني وظهر الحكم العسكري بالتبعية في بناء الحصون والحاميات العسكرية . ومع ذلك لم يحاول الرومان تغيير الادارة المنظمة التي احتفظ بها المصريون من عهد الفراعنة وإن كانوا قد أحضروا معهم آلهتهم الرومانية كما أحضر سلفهم الأغريق آلهتهم من قبل ، ومع ذلك استمر المصريون ملتزمون بأسرار حضارتهم القديمة .

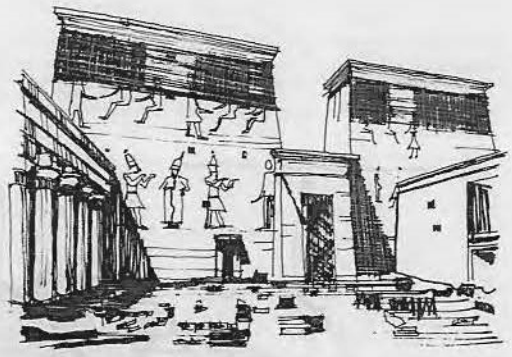

معابد فيله

عندما أسس الاغريق مدينتهم الاسكندرية كمفتاح استراتيجي لمصر طبق المخطط الاغريقي « دينوغراط » أسس التخطيط الاغريقي على المدينة مستعملاً نظام الشوارع المتعامدة الذي كان متبعاً في ذلك الوقت في اليونان ، وقسمت إلى خمس أحياء رئيسية لكل منها وظيفة تخطيطية معينة سكنية أو تجارية أو ادارية . وشهدت الاسكندرية بعد ذلك كعاصمة لمصر نماذج من العمارة الاغريقية الرياضية والترفيهية والدينية والرياسية . وكان سكان الاسكندرية خليطاً من المواطنين المصريين والأجانب الأمر الذي أعطاها سمة اجتماعية

واقتصادية خاصة . انطبعت على ما أقيم فيها من مبانى من الجمنازيوم كمركز اجتماعى والحمامات الرومانية العامة ، وعلى البعد من العمران أقيمت الأديرة المحصنة كملاجىء من الاضطهاد والعزلة الدينية .

لقد كانت من معالم العمارة اليونانية الرومانية مكتبة الاسكندرية ثم منارتها المشهورة وكلاهما علامة من علامات التأثير المعمارى الغربى على العمارة المحلية وإن كانت قد بنيت بالمواد المحلية مثل الحجر الجيرى والرخام والجرانيت الأمر الذى أعطاها بعض السمات المحلية التى انعكست بعد ذلك على عمارة المآذن التى اكتسبت اسم المنارة فى الغرب ، وهكذا بدأ تأثير العمارة الغربية فى التفاعل مع العمارة المصرية ولكن على أطراف الدولة خاصة فى مدينة الاسكندرية حيث مقر الحكم والجاليات الأجنبية والخدمات العامة والامتيازات الخاصة الأمر الذى استمر طويلاً حتى التاريخ المعاصر .

ومن المظاهر التى تعرضت لها الحضارة المصرية صعود أحد أفراد الجيوش الغازية على أنقاض انهيار إمبراطورية ، ظهر « دقلديانوس » فى نهاية الحروب الأهلية فى الامبراطورية الرومانية وبدأ فى مصر مرحلة أخرى من الحكم الأجنبى من عام ٢٨٤ إلى عام ٣٠٥ ق . م . قام فيها ببعض التقسيمات الادارية والانجازات الاقتصادية والاستعدادات الدفاعية لتقوية مكانته أمام الدعوة المسيحية التى لا تعترف بالألوهية لانسان إلى أن جاء قسطنطين عام ٣٢٣ ق . م . ليصبح أول امبراطور رومانى يعترف بالمسيحية ، ثم استقلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية الشرقية وأقامت معالمها المعمارية فى أجزاء متفرقة من المدن المصرية ، وانتهت قوتها فى نهاية عام ٤٤٤ م . وبعد خلافات مذهبية واستيلاء الدولة الفارسية على مصر والشام لعشرة أعوام تمكن هرقل من إعادة الولاية إلى الامبراطورية وعين « المقوقس » المعروف حاكماً لمصر وتابعاً لبيزنطة فى الغرب ، إلى أن ظهرت الدولة الاسلامية فى قلب الجزيرة العربية وامتدت حدودها شرقاً وغرباً ودخل العرب بقيادة عمرو بن العاص عام ٦٤٠ م مصر . وبدأت مرحلة جديدة غيرت من الشخصية المصرية ومن ثم من الشخصية المعمارية فى مصر .

ومع الغزوات الغربية لمصر وارتفاع دولة وهبوطها وارتفاع أخرى على أطلالها ، ومع اختلافات الأجناس والمذاهب المصاحبة لهذه الغزوات تأخر الانتاج الحضارى فنياً وعمرانياً . إلى أن قضى الفكر المسيحى على الفكر الوثنى فى الاسكندرية التى أصبحت مركزاً للمعرفة والتعليم ، حتى القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد حتى دخول الاسلام مصر حاملاً القيم الانسانية والتعاليم الدنيوية ظهرت آثارها بعد ذلك على كل جوانب الحياة الثقافية والسياسية الاجتماعية وانعكست بدورها على المعالم المعمارية .

فى العصر القبطى تأثر العمران المصرى بأنماط الطرز الغربية خاصة فى بناء الكنائس ، بدءاً من الطراز البازيليكى ذو الجذور الرومانية المتأثرة ببعض الملامح الفرعونية بعد تحويل بعض المعابد إلى كنائس فى نهاية القرن الرابع الميلادى ، ثم

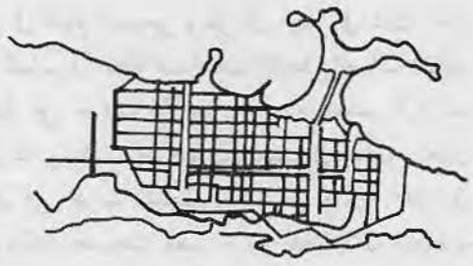

- الاسكندرية فى العصر اليونانى الرومانى (٣٣٢ ق . م - ٦٤٢ م)

- منارة الاسكندرية .

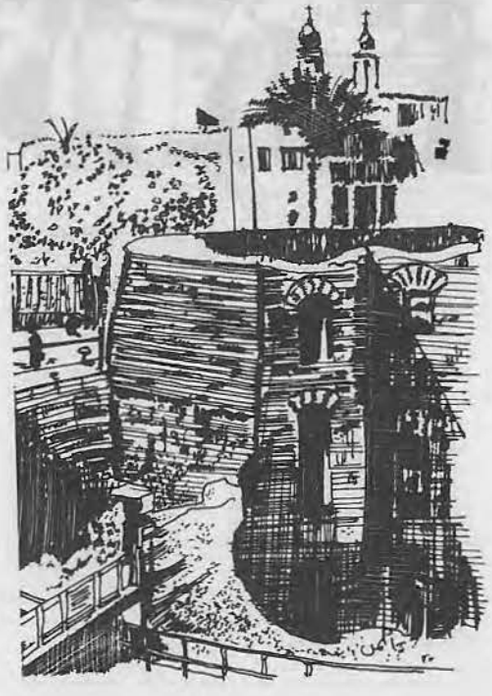

منظر لأحد أبراج حصن بابليون .

الطراز البيزنطى الذى انتشر فى العالم المسيحى ونقل إلى مصر فى ذلك الحين ويمتاز هذا الطراز باستعمال القباب فى تغطية المساحات المربعة وانصاف القباب فى تغطية المساحات المستطيلة على جوانبها الأربعة . وهو ما استمر أثره بعد ذلك فى بناء المساجد فى تركيا وانتقلت ملامحها إلى مصر فى العصر العثمانى وهكذا انتقل الفكر المعمارى من الغرب ليلتحم مع العناصر والمواد المحلية فى بناء الكنائس فى مصر .. وهكذا أصبحت مصر مرتعاً للتفاعلات المعمارية الغربية والمحلية خاصة فى المبانى الرسمية .. أما العمارة الشعبية فاستمرت صامدة فى شخصيتها حتى دخول الاسلام فأزال منها الشوائب التى تتعارض مع التعاليم الدينية .

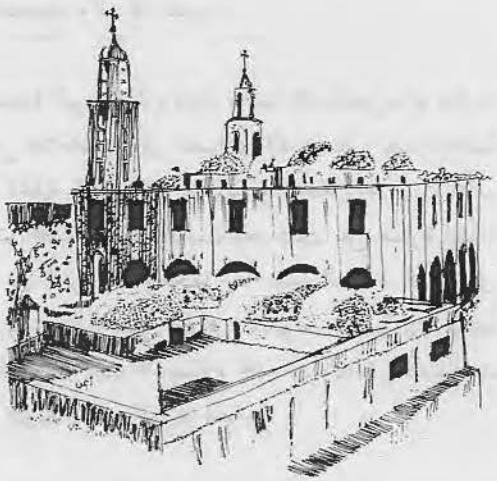

- كنيسة الدير المحروق - أسيوط .

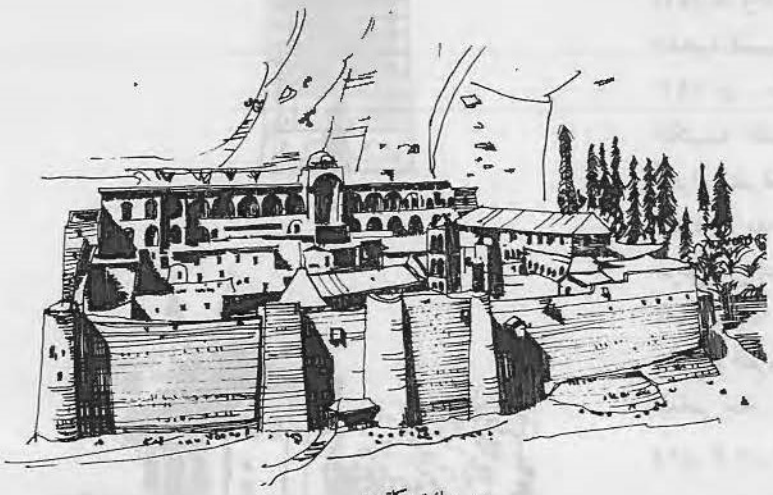

دير سانت كاترين

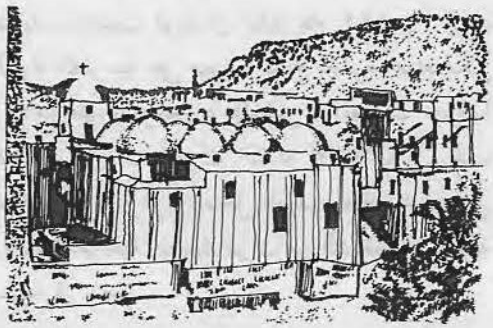

دير سانت بولا - البحر الأحمر

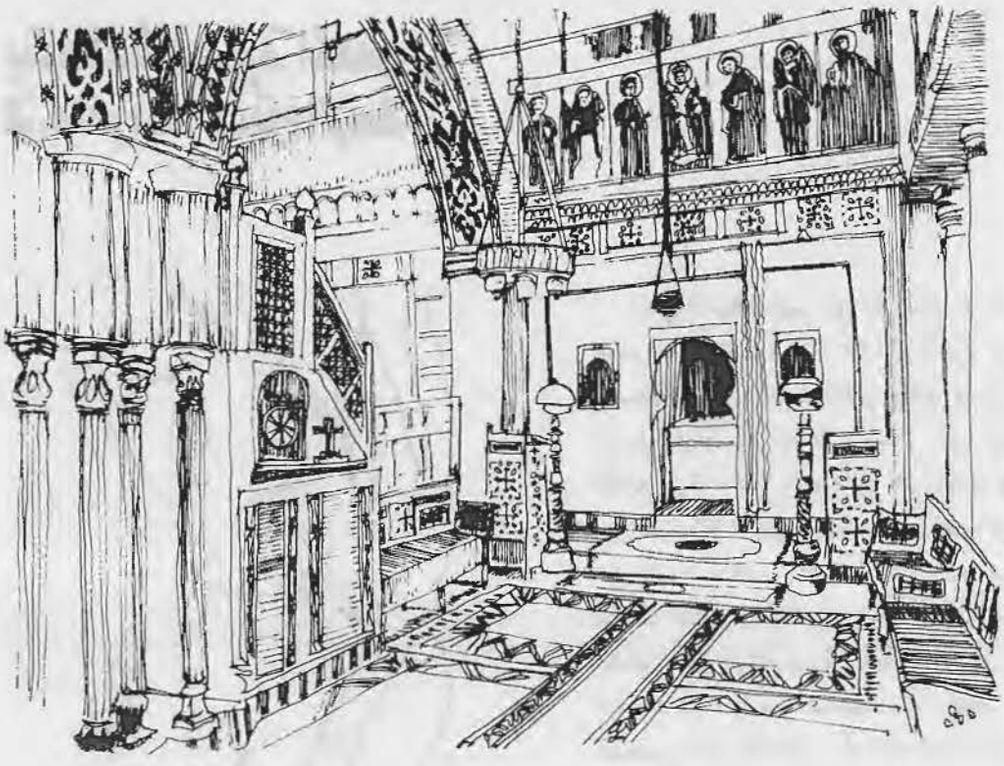

- الكنيسة المعلقة من أقدم كنائس مصر .

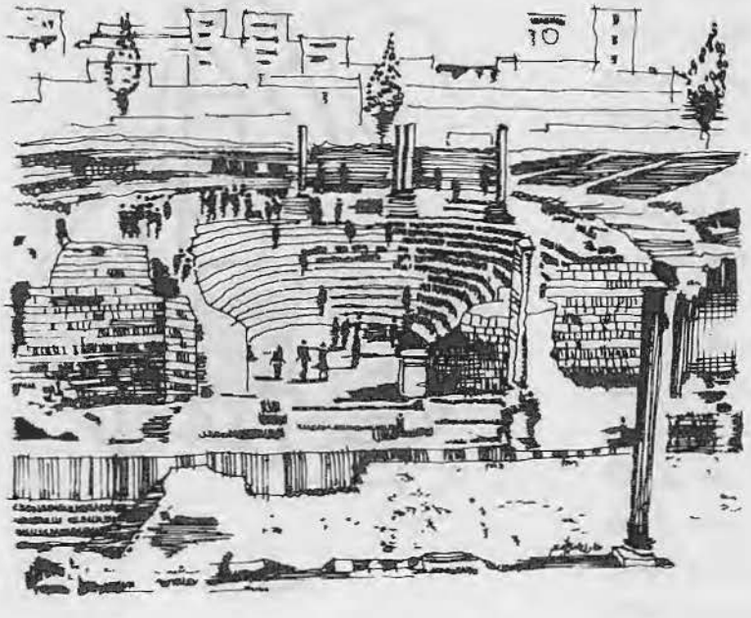

المسرح الرومانى والذى يحمل نقوشاً نادرة من العصرة الرومانى .

بناء الشخصية المعمارية في مصر بعد الفتح الإسلامي

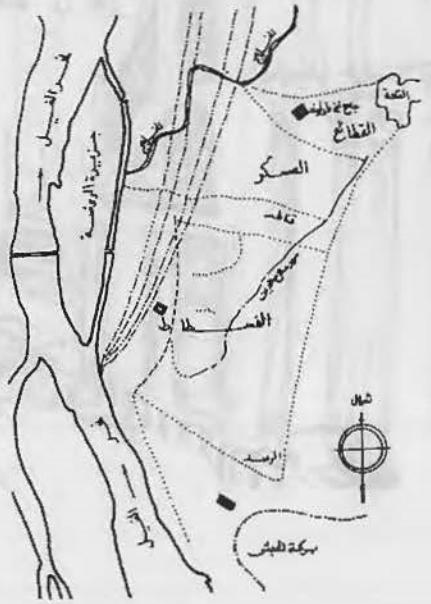

- موقع عواصم مصر الإسلامية .

دخل الاسلام مصر على يد عمرو بن العاص عام ٦٤١ م حيث شيد أول مستوطنة اسلامية فى عام ٦٤٢ م لتكون مركزاً للحكم . وقد خططت مدينة الفسطاط حول الجامع الكبير وأقام عمرو بن العاص بجواره داراً له وأسند توزيع الخطط بين جماعات القبائل التى تكون جنده . وامتدت المدينة حول الجامع شرقاً وشمالاً وجنوباً إذ كان يحدها غرباً نهر النيل وظهرت مبانى المدينة من الطوب أو الحجر واستكملت مرافقها من أسواق ومساجد وحمامات وميناء على النهر . وكانت المدينة للايواء أكثر منها للاستقرار والمغالاة فى البنيان . فكانت الدعوة الاسلامية وارساء قواعد الحكم وغرس القيم الدينية هى الشغل الشاغل عند الولاة ، ولم تتخذ المدينة فى ذلك أية صيغة شكلية مميزة عن التقسيمات التنظيمية للمخيمات أو الخطط . ووصفها بالاسلامية هنا وصف للمجتمع الذى أقام فيها . ثم جاء العصر الأموى فى نهايته وتعرضت المدينة إلى التخريب عندما دخلت جيوش العباسيين لمطاردة آخر ولاة الأمويين الذين عمدوا إلى تخريب هذا العمران حتى لا ينعم به العباسيون ، وبعدها استقر العباسيون فى مصر عام ٧٥٠ م وبدأوا فى إقامة مدينة لهم فى شمال الفسطاط سميت بالعسكر عام ٧٥٢ م لايواء جند العباسيين وعساكرهم . وهنا يقف الفكر فى المعالجة الدينية لهذه الظاهرة التى غزا فيها العباسيون الأمويون وخربت فيها الديار .

وظلت العسكر داراً للامارة العباسية وشيدت فيها الدور العظيمة كظاهرة من مظاهر الأبهة العباسية ، حتى عام ٨٧٠ م حين أسس أحمد ابن طولون فى الطرف الشمالى من العسكر مدينة القطائع لتكون مقراً لحكمه ومقراً لجنده وحاشيته ، وأقام قصره عام ٨٧٠ م ثم بدأ فى تأسيس مسجده وأتم بناؤه عام ٨٧٩ م ، ويعنى ذلك أن هذه المستوطنات السكنية التى أقيمت فى مصر كانت كمتتالية عمرانية تمتد من الجنوب إلى الشمال يختص كل خليفة أو والى بواحدة منها اظهاراً لقدره وإيواءاً لجنده . ولم تشهد هذه المتتالية نمواً مركزياً يعبر عن الاستمرارية أو الاستقرار . وإذا كانت هذه الظاهرة طبيعية لبناء المستوطنات العسكرية للفاتحين لمصر على مراحل متتالية فإنها لم تنعكس على المستوطنات السكنية القديمة الموجودة فى مصر والتى دخل أهلها الاسلام . وإذا كان عمرو بن العاص قد بدأ ببناء المسجد ثم بنى داره بجواره فإن أحمد بن طولون قد بنى قصره ثم بنى المسجد وبينهما ميدان واسع ، وهنا يظهر الاختلاف فى الفكر والمنهج الذى انعكس على التشكيل العام للمدينة ، كما يتضح أن الخليفة أو الوالى القادم إلى مصر كان ينقل معه بعض الملامح المعمارية النابعة من موطنه الأصلى كما ظهر فى جامع أحمد بن طولون من زخارف جصية وشكل المئذنة واستعمال الطابوق ومنها صدى للطرز التى ظهرت فى مدينة سامرا فى الشرق ، عاصمة الخلافة العباسية فى ذلك الوقت .

- منازل الفسطاط .

ومرة أخرى تبدأ حملة أخرى عام ٩٠٤ م ، أرسلها المستكفى بالله بقيادة محمد بن سليمان الذى اقتحم قطائع ابن طولون وقتل أهله وهدم قصره ثم سكن الفسطاط ، وتبعه فى ذلك باقى الولاة العباسيين والاخشيديين ، إلى أن قدم الفاطميون من الغرب بحملة أخرى عام ٩٦٩ م بقيادة جوهر الصقلى وأقاموا القاهرة فى الشمال الشرقى للقطائع وحصنوها بالأسوار وقصروا الاقامة فيها على الخليفة وحاشيته وحرسه وحرموا سُكْنَاها على سائر الشعب ، واستمر عمران القاهرة فى ازدياد داخل أسوارها وأقيم فيها جامع الأزهر عام ٩٧٢ م ، والمبانى الفخمة والأسواق الكبيرة التى كانت ملكاً خاصاً للخليفة ، وهكذا عزل الوالى نفسه عن الكيان العمرانى للمجتمع كما بنى له قصرين احداهما للاقامة والآخر للحكم يصل بينهما ممر سفلى تحت الأرض حرصاً على خصوصيته وأمنه ، بعكس ما كان فى تل العمارنة من قبل حيث كان الاتصال بين قصرى الاقامة والحكم عن طريق جسر علوى به مقصورة يطل منها القائد على جنده . وعلى بعد من القصرين بنى الجزء الأول من الجامع الأزهر عام ٩٧٢ م . وهكذا ظهر التحكم فى بناء قاهرة الفاطميين التى امتدت رقعتها بعد بناء سور بدر الجمالى . واستمر الحال إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبى من الشرق ليوحد القاهرة مع الفسطاط فى تجمع واحد بعد حريق الفسطاط على يد عمورى ملك بيت المقدس عام ١١٦٩ م ، وكما وحد صلاح الدين الأيوبى المدن المتتالية بالقاهرة وحد أيضاً المسلمين حوله لصد الغزوة الصليبية على فلسطين . ثم جاءت من بعده دولة المماليك ثم الدولة العثمانية من الشمال .

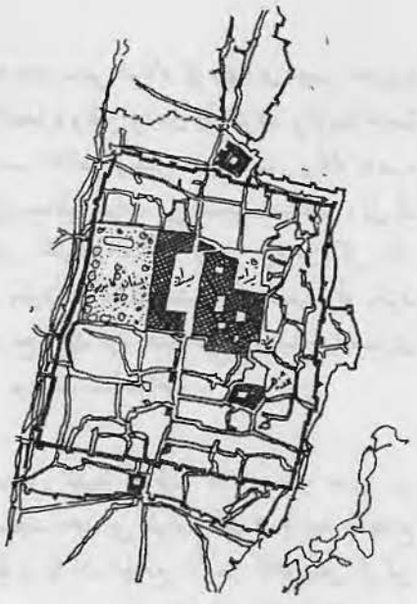

الاتصال بين قصرى الحكم والإقامة عن طريق
ممر سفلى تحت الأرض .. فى المدينة الفاطمية .

وعلى مر هذه الفترة من التاريخ انتقلت إلى مصر العديد من الأنماط المعمارية على يد الفاتحين تعبر عن الملامح المعمارية التى ظهرت فى مواطنهم الأصلية ، سواء أكانت هذه الملامح نابعة من البيئة المحلية أو متأثرة بمخلفات العمارة اليونانية أو الرومانية فى هذه الدول أو صادفها المسلمون فى فتوحاتهم . وإذا كان جامع عمرو بن العاص الذى أقامه فى مدينة الفسطاط هو أول عمل معمارى بناه المسلمون فى مصر ، فقد بناه على مساحة مربعة من الأرض وقامت حوائطه المبنية من الطوب اللبن على أسس من الحجر وله سقف من الجريد على سواريات من جزوع النخل ، وكان فى الامكان بناء حوائطه وقوائمه من الحجر وسقفه من الخشب إذا كان الهدف هو بناء صروح معمارية ، ولكن كان الهدف أولاً إقامة حكم الله فى الأرض بأبسط المواد وأسهلها وأكثرها تواضعاً ، فلم يكن له مآذن كما لم يكن فيه محراب مجوف كغيره من المساجد التى بنيت فى عصر الرسول ﷺ . إلا أن فى عصر الأمويون بين ٦٥٨ و ٧٥٠ م وعلى يد مسلمة بن مخلد بنى أربع صوامع فوق أركان الجامع الأربعة عليها أربع مآذن وأضاف قرة بن شريك إليه بعد ذلك المحراب المجوف ، فكانت أول عناصر معمارية تضاف إلى مسجد عمرو بن العاص أخرجته من صورته الأولى .. بدأ الاهتمام بالعمران وبناء الصروح المعمارية أكثر من ترسيخ الدعوة الاسلامية أو قد تكون هذه الظاهرة من ظواهر التحضر التى بدأت تظهر فى العصرين الأموى والأيوبى .

- جامع عمرو بن العاص .

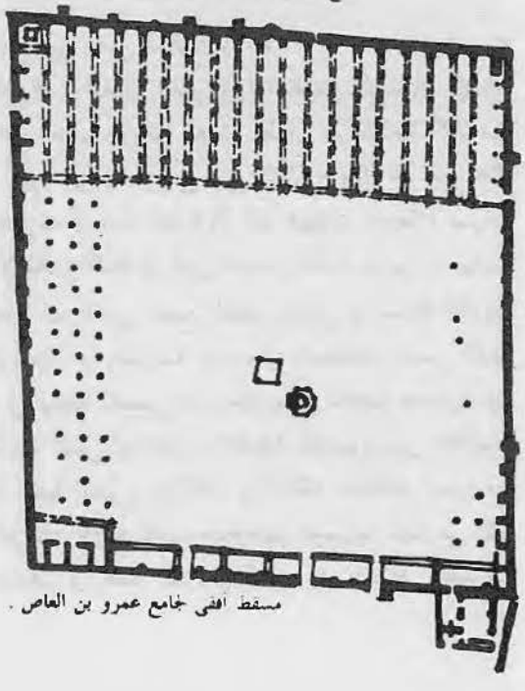

مسقط افقى لجامع عمرو بن العاص .

لقد ظهر الانحراف عن العقيدة عند بعض الولاه كما ظهر فى عصر خمارويه بن أحمد بن طولون حيث بالغ فى العمارة والفن وتبذل فى الترف والزينة خاصة فى مقره الذى كسى حوائطه بالذهب الخالص ونقش عليها الصور وأقام بقصره بحيرة من الزئبق وحديقة كتبت على بساطها أبيات من الشعر بالنباتات ، إلى أن جاء محمد بن سليمان وبأمر من الخليفة العباسى ليدمر ويمحو كل آثار للطولونيين ما عدا الجامع .. وقد يكون فى ذلك خشية على العقيدة أو يكون فيه خوفاً من الاستقلال بمصر . ومع ذلك فإن هذا الترف والبذخ المعمارى ليس من قيم العقيدة ولا يمكن أن يوصف بالاسلامية .

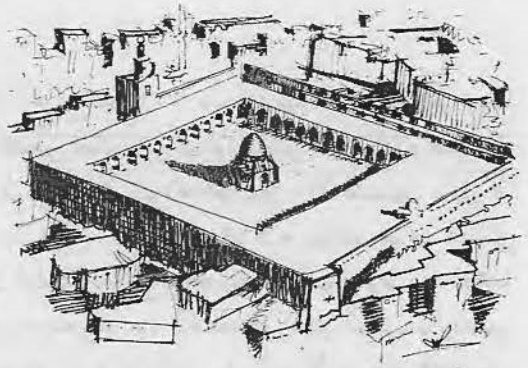

جامع أحمد بن طولون (٢٦٣ - ٢٦٥ هـ) (٨٧٦ - ٨٧٩) .

ونظرة أخرى إلى موقع المساجد فى المدينة .. فإذا كان مسجد عمرو بن العاص يمثل المركز الدينى ، فإن مسجد أحمد بن طولون أقيم فى وسط القطائع على مساحة كبيرة من بيت الحاكم ، كما أن الجامع الأزهر كان يمثل الركن الجنوبى الشرقى من القاهرة المعزية حيث بناه جوهر الصقلى عام ٩٧٢ م ، ثم تبعه العزيز بالله فى بناء جامع الحاكم عام ٩٩٠ م على الطرف الشمالى للمدينة ، ثم تبعه الآمر باحكام الله وبنى جامع الأقمر فى مكان آخر عام ١١٢٥ م ، وهكذا كان كل حاكم يشيد له جامعاً تخليداً لاسمه ، وفى عصر الفاطميين كذلك ظهرت عمارة المدافن كما فى أسوان ومسجد الجيوشى بجبل المقطم ، وعمارة الأضرحة وإن كانت من المعالم المعمارية الفنية إلا أنها لم تكن فى العقيدة الاسلامية ، وهنا يفضل الفصل بين العمل المعمارى كأثر بنى فى أى ظرف من الظروف والعمل المعمارى كنتيجة لمتطلبات عقائدية يمكن ان يحمل معها الصفة الاسلامية .

جامع الأزهر من الداخل (٣٥٩ - ٣٦١ هـ) (٩٧٠ - ٩٧٢ هـ) .

وإذا كانت القاهرة قد زخرت بالدور الضخمة والمنازل الرحيبة والأسواق الممتدة فى عصر الدولة الأيوبية حيث أمر صلاح الدين عام ١١٦٧ م ببناء سور يحيط بالقاهرة متضمناً المدن السابقة لها ، فقد تأثرت عمارة هذه الأسوار بعمارة الأسوار عند الصليبيين واشترك فى بنائه ألوف من الأسرى الروم .

وإذا كانت الفترة التالية وهى عصر المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) سواء المماليك البحرية من الأتراك والمغول الذين ورثوا عرش السلطان الصالح أو المماليك البرجية من غير العرب وورثوا العرش بطرق غير شرعية أكثر منها بالطرق الرسمية ، ومع أنهم حموا مصر من غزو التتار ، وبالرغم من حالة الفوضى السياسية التى ظهرت فى هذه الفترة إلا أنها شهدت ازدهاراً عمرانياً واضحاً اتسم بالتنوع والاتقان والأناقة فى شتى العناصر المعمارية من واجهات ومنارات وقباب . فى هذه الفترة بنى جامع الظاهر بيبرس ومجموعة قلاوون (المدرسة والمدفن والماريستان) ومدرسة ومسجد السلطان حسن الذى صممه المهندس « محمد بن بيليك المحسنى » . وهنا يظهر تناقضاً حضارياً بين الفوضى السياسية وأساليب القتل أو الغدر أو الخيانة للوصول إلى الحكم ، ومظاهر النهضة المعمارية الغنية بالتنوع والاتقان والأناقة . فالحكام ليسوا من أهل مصر بل من غير العرب . وربما كانت منجزاتهم المعمارية نابعة من القيم الحضارية السائدة فى بلادهم فى هذه الفترة وبالتالى تهتم بالمظاهر العمرانية

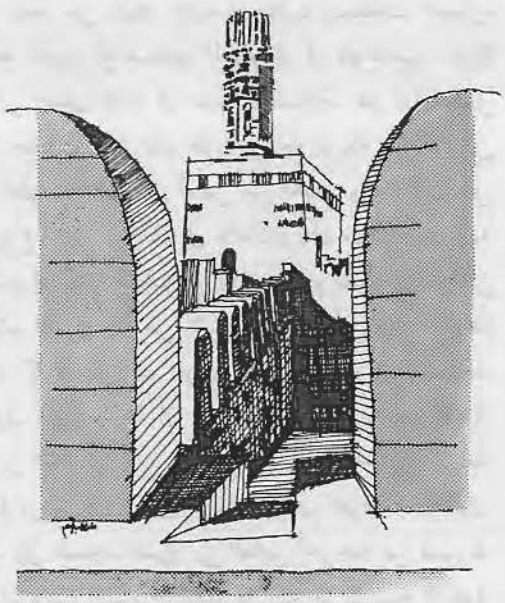

- مئذنة جامع الحاكم (٣٨٠ - ٤٠٣ هـ) (٩٩٠ - ١٠١٣ م) .

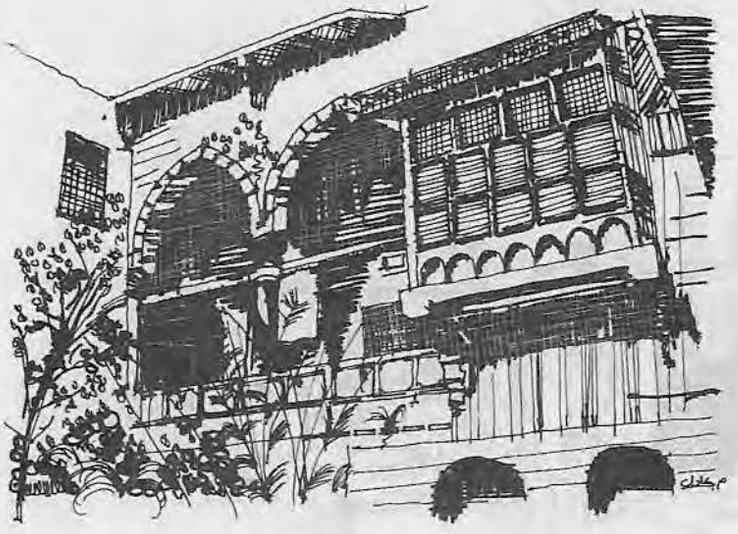

مقعد فى بيت جمال الدين الذهبى

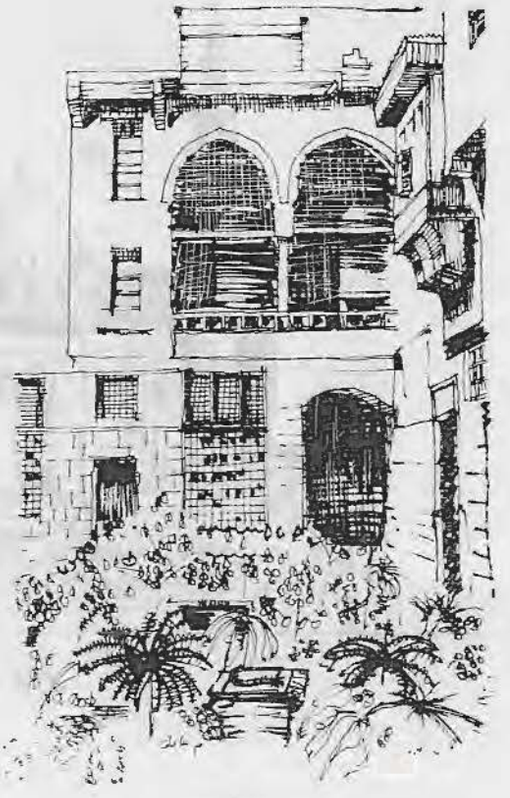

مقعد فى بيت السحيمى

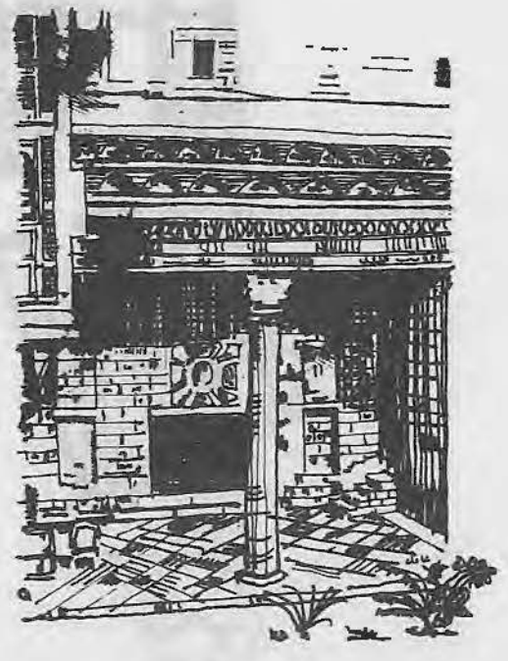

التحتبوش – المسافر خانة

مقعد الأمير طاز – منظور من الفناء الداخر

مسجد السلطان حسن ومسجد الخمودية ومسجد الرفاعى .

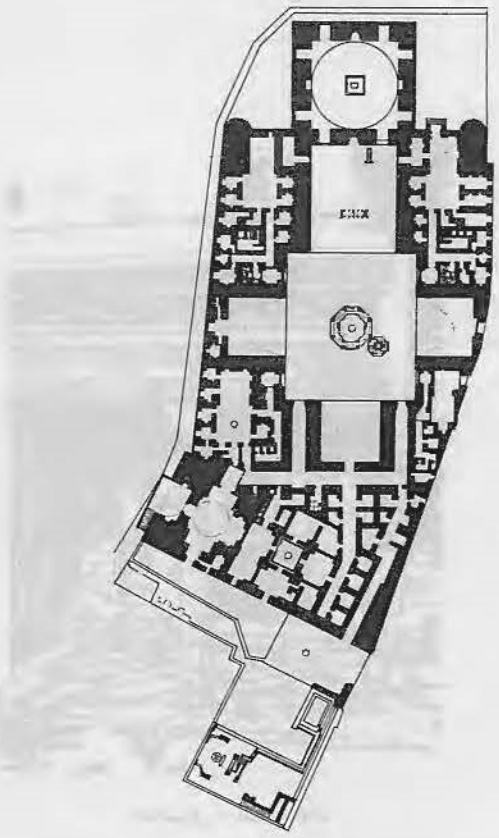

مسجد السلطان حسن - مسقط أفقى

- مجموعة القلعة .

والفنية قبل أن تكون نابعة من العقيدة الاسلامية التى تتنافى وأساليب الغدر والقتل والخيانة . وعلى جانب آخر زاع فى هذه الفترة بناء المدافن الكبيرة كأضرحة للمماليك ولعل أبدعها صنعاً وبناءاً مدفن وخانقاه برقوق ومدفن قايتباى ومدفن بارسباى ، أما مدفن برقوق فقد روعى فى تصميمه أن يكون فى الوقت نفسه مسجداً وضريحاً للظاهر برقوق وأفراد أسرته وخانقاه لاقامة الصوفية ، أما مدفن قايتباى فهو مجموعة معمارية رشيقة تتألف من مدرسة وسبيل ومدفن وكتاب وكذلك تضم مدرسة ومسجد السلطان حسن مدفناً له . وهنا تظهر أهمية المدافن والأضرحة عند المماليك وهى أهمية لا تتناسب مع العقيدة الاسلامية . كما يظهر أن إلحاق المساجد أو المدارس بها كان من باب التبرك بما يقام فيها من صلوات أو يتلى فيها من آيات الله وهذه أمور لا تقرها العقيدة ومن هنا فإن وصف عمارتها بالاسلامية يصبح عرضة للتساؤل ، كما ينطبق ذلك أيضاً على قصر الأمير بشتاك (١٣٣٤ م) وقاعته الكبرى التى تمتاز بسقوفها المذهبة وزخارفها الخشبية . هذا والعمارة الشعبية بعيدة كل البعد عن الصورة الحضارية لهذه الحقبة من التاريخ .

- مسجد وخانقاه الناصر فرج بن برقوق .

لقد جعل الوضع الجغرافى لمصر منها ساحة للحروب بين الفاتحين من الشرق أو الغرب أو الشمال ومرة أخرى امتدت غارات المغول إلى آسيا الصغرى ثم أقيمت فيها الدولة العثمانية التى بدأت تمتد فتوحاتها جنوباً حتى وصلت مصر وقضى السلطان سليم العثمانى على السلطان الغورى ودخل القاهرة وولى على مصر الأمير خاير بك نائباً عنه ثم تركها بعد أن جمع الصناع المهرة منها ورجع بهم إلى تركيا لاثراء الحركة العمرانية فيها على حساب حركة البناء فى مصر التى فقدت حيويتها خاصة بالنسبة لمبانى السلاطين إلى أن سمح سليمان بن السلطان سليم بعودة بعض الصناع المصريين لتطعيم الصناع الموجودين بالمهارات الفنية . وبدأت تظهر ملامح العمارة العثمانية فى بعض المساجد التى أقيمت فى بداية هذا العصر متخذة أصولها من العمارة البيزنطية ، حيث استعملت القباب وأنصاف القباب فى التغطية ، والمآذن المدببة النهاية فى المنائر كما فى مسجد سارية الجبل بالقلعة وجامع سنان ببولاق ، كما ظهرت تكايا الدراويش والوكالات والاسبلة كأحد الأنماط المعمارية العثمانية ، وإذا كانت الأنماط العثمانية قد أثرت على العمارة الرسمية فإن العديد من الوكالات والمنازل قد اتخذت أنماطاً محلية مثل بيت الكريتليه وبيت السحيمى وبيت عثمان كتخدا ووكالة بازرعة وربع الحمص ووكالة السكرية ، وهنا بدأت معالم العمارة السكنية أكثر ارتباطاً بالقيم الاسلامية وتفاعلاً مع البيئة المحلية وأكثر تعبيراً عن الفنون المعمارية التى ظهرت فى المشربيات والأثاث الثابت ، والأرضيات والأسقف .

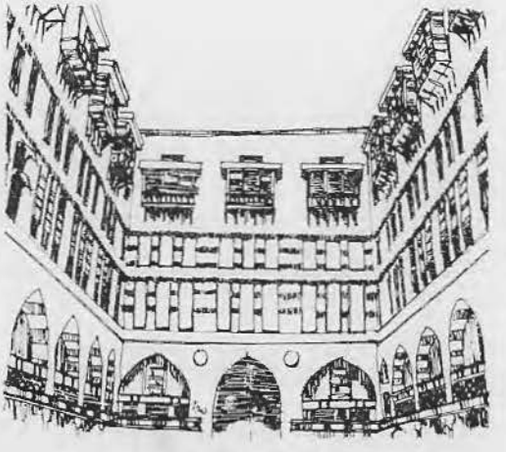

- منظر داخل لوكالة الغورى .

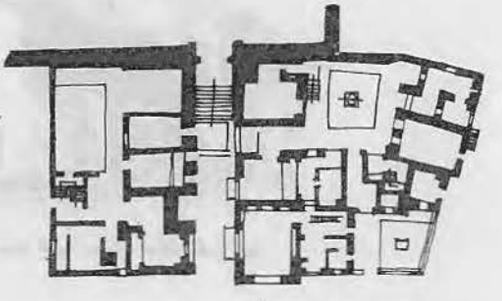

الدور الأرضى

- بيت الكريدليه بيت آمنة بنت سالم .

وإذا كانت العمارة الرسمية هى محط أنظار العلماء والأثريين فى العصور السابقة فإن العمارة الشعبية والسكنية لم تظهر صورتها إلا فى أثناء الحكم العثمانى ، وإذا كانت العصور السابقة قد شاهدت رعاية الملوك والسلاطين فى مصر للعلماء الذين فروا إليها من المشرق مع غزو التتار ، وظهر فيهم طائفة من فطاحل الشعراء والأدباء والعلماء كالبوصيرى والسراج والقلقشندى وابن منظور والسخاوى والذهبى والنويرى والدميرى وابن إياس ، إلا أن العصر

العثمانى أخمد مثل هذه الشعلات المضيئة واضمحلت الحركة الفكرية . وفقدت القاهرة مكانتها الحضارية المزدحمة بالقصور والعمائر والمساجد والوكالات ، وشهدت قاهرة العصور الوسطى أول مراحل التخلف التى امتدت حتى العصر الحالى .

فى جميع العصور السابقة لم يظهر للشعب فى مصر دوراً واضحاً فى البناء العمرانى المتميز وقد تركزت الحركة العمرانية فى أيدى الخلفاء والولاة والمماليك والسلاطين الذين تقابلوا على ساحات الحروب فى أرض مصر . كما تركزت الحركة العمرانية فى عاصمة الحكم ولم تمتد إلى باقى المستوطنات التى ظلت فى منأى عن الحركات السياسية والفكرية والعمرانية ، وهكذا تُركزت الحركة العمرانية المؤرخة فى العمارة الرسمية ولم تمتد إلى العمارة الشعبية خاصة فى الأحياء والمجاورات السكنية . والعمارة بهذا المفهوم تبقى قاصرة على النماذج الرسمية من مساجد وقصور ومدافن ومدارس وبعض النماذج السكنية فى العصر العثمانى . وقياس التطور العمرانى هنا ينقصه الجانب الشعبى الذى يتعامل مع الحجم الأكبر من الانتاج المعمارى فى المبانى السكنية والمبانى الخاصة . وإذا كانت عمارة هذه العصور لا تمثل عمارة المجتمع بكل عناصره ، فإنه من الصعب استبيان الوضع الحقيقى للعمارة فى هذه العصور .

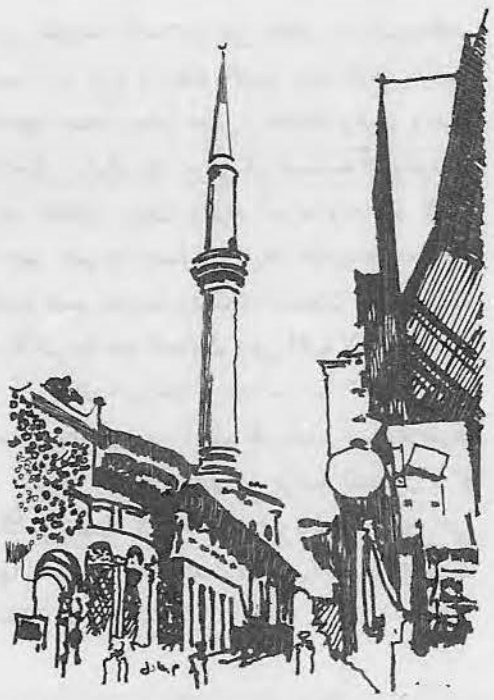

مسجد وسيل السلحدار

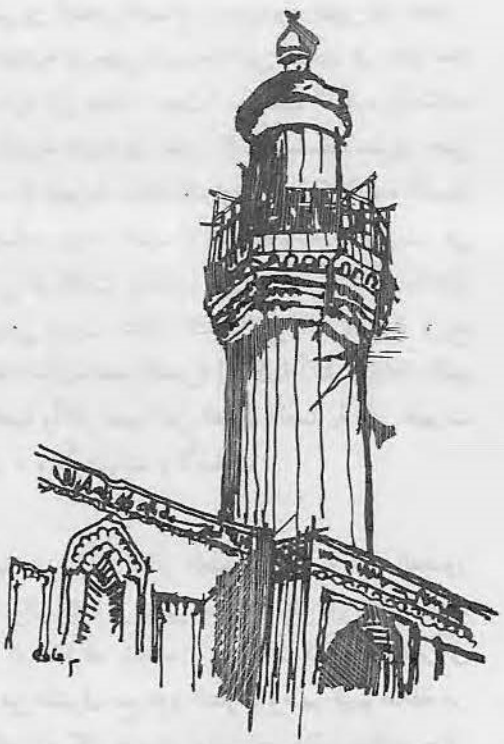

مسجد الأقمر – الجمالية

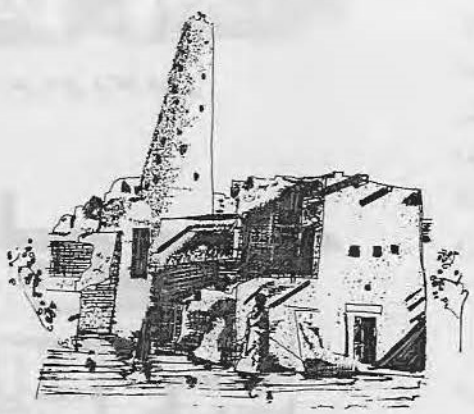

– عمارة النوبة: عمارة محلية تعكس البيئة

تراجع الإبداع المعماري من الساحة المصرية

وإذا كانت مصر قد تعرضت فى العصور السابقة إلى غزوات وفتوحات محلية داخل حدود الدولة الاسلامية ، إلا أنها بعد ذلك تعرضت إلى فتوحات من خارج الدولة الاسلامية بدأت بالحملة الفرنسية عام ١٧٧٨ م بقيادة نابليون الذى أخذ من مصر ذخيره علمها وعمرانها لاثراء الحركة العلمية والفكرية فى فرنسا كفترة من فترات الاستعمار ، وبعد خروج الحملة الفرنسية عادت مصر كما كانت ولاية من الولايات العثمانية . ودخلت مصر فى دائرة التنافس لقوى ثلاثة هى بقايا المماليك من جانب والأتراك من جانب والانجليز من جانب آخر إلى أن انتهز محمد على التركى الألبانى الأصل هذا التنافس ليستجيب إلى الشعب ضد القوى الثلاثة كسبيل للحصول على عرش مصر ، وقد كان له ما أراد وساعده فى ذلك العلماء والزعامات الشعبية التى بدأت تخرج من مرقدها لأول مرة لتؤثر على الأحداث الداخلية للبلاد ، ومع ذلك فقد لجأ محمد على إلى المهندسين والعمال الأجانب الذين استدعاهم من استانبول لبناء صروحه المعمارية من قصور ومساجد وأسبلة ، وهنا انتقل المعمارى مع هؤلاء المهندسين والعمال وظهرت الأنماط التركية والألبانية فى العمارة المحلية واختفت المشربيات وحلت محلها النوافذ البيضاوية واستعملت الجمالونات فى التغطية كما استعملت القباب التى تعبر عن العمارة البيزنطية ، وهكذا بدأ تأثير العمارة الأوروبية يدخل مصر حاملاً معه مقومات الحضارة الأوروبية التى ظهرت فى القصور فى عهد محمد على والخديو عباس واسماعيل ، بل وظهرت فى الفنون والأداب ، وحاول الخديو اسماعيل جعل مصر قطعة من أوروبا بالرغم من اختلاف الجذور الحضارية والبيئية وبدأت العمارة الأوروبية خاصة الفرنسية تغزو شوارع الامتدادات الجديدة غرب قاهرة العصور الوسطى .. أو فى مدينة الاسكندرية ثم مدن القنال . ومع العمارة الأوروبية دخلت الأزياء والأثاث مع العادات والتقاليد الأوروبية ، وتفتحت الأبواب للغزوة الحضارية الأوروبية عسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وعمرانياً ولا تزال مستمرة حتى الوقت الحاضر وإن كانت بصيغ مختلفة ، فتلاشت معها الشخصية المصرية والاسلامية ، كل ذلك فى العاصمة وبعض المدن الأخرى بعيداً عن أهل المدن الصغيرة أو القرى الذين احتفظوا بمقوماتهم الحضارية الاسلامية وعاشوا فى بيئة عمرانية أقرب إلى البيئة الفرعونية ، حتى بدأت قيم المدينة تزحف إلى المدن الصغيرة والقرى تحاول أن تغير من معالمها المعمارية وتلغى شخصيتها الريفية .. إلى أن فقدت العمارة المصرية كل مقوماتها النابعة من القيم الحضارية الاسلامية ومعبرة عن البيئة الطبيعية والمناخية المحلية . وعند وصول المنحدر الحضارى إلى أدنى مستوى له .. بدأت الأصوات تدعوا إلى ضرورة تأصيل القيم الحضارية فى بناء العمارة المصرية المعاصرة .. ولكن إلى أى حد أثرت هذه الدعوة على الوضع الحالى للعمارة المصرية .

دار الأوبرا

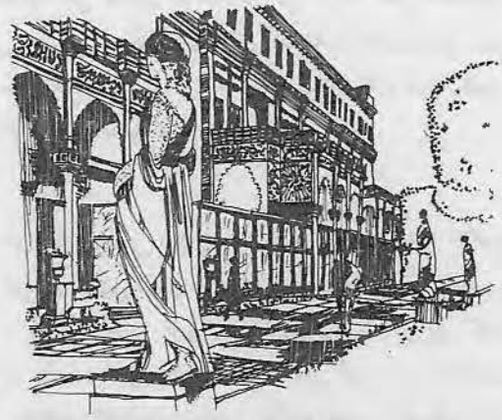

قصر اسماعيل باشا – عمر الخيام حالياً

ميدان سليمان باشا .

بدأ تغريب العمارة المصرية فى عصر محمد على وحتى انتهاء الحكم الملكى ، عندما بدأ المعمارى المصرى يظهر فى الصورة بجانب المعمارى الغربى ، سواء أكان ملتزماً بالفكر الأوروبى أو بالفكر المحلى ، إلا أن هذه البداية قد توقفت بدخول فكر سياسى جديد يسعى إلى توفير متطلبات الفئات الفقيرة من المجتمع فتحول الفكر المعمارى إلى إنشاء المساكن الشعبية السريعة التصميم والتنفيذ فى صفوف نمطية متراصة ملأت الصورة العمرانية للقاهرة والاسكندرية وغيرها من مدن المحافظات . كما تحول الفكر أيضاً إلى إنشاء مناطق سكنية جديدة لذوى الدخول المتوسطة قسمت أرضها إلى قطع لبناء العمارات وترك أمر بنائها لأصحابها مستعينين بصغار المعماريين أو المقاولين ، فامتلأت الساحة العمرانية للمدن الكبيرة بأنماط مكررة لا يربطها فكر معمارى ولا تتناسب مع متطلبات البيئة المحلية فقد تحكم فى تشكيلها عدد من قواعد ونظم البناء المقتبسة من الخارج ، الأمر الذى أحال هذه المناطق السكنية إلى غابات من العمارات . كما ظهرت نفس الصورة فى عدد من المناطق السكنية التى خصصت أراضيها لأصحاب المهن المختلفة مثل مدينة المهندسين ومدينة التجاريين ومدينة الصحفيين ومساكن الضباط ، وهى فى واقع الأمر مناطق تسكنها كل الفئات التى تحتاج إلى مساكن . وانتقل هذا الأسلوب من التعمير ليغير من الملامح المميزة لبعض الأحياء السكنية خاصة فى القاهرة مثل ضاحية مصر الجديدة والمعادى ، وكما صدر العديد من قوانين الاسكان التى أثرت على المستوى المعمارى العام وزادت من تكدس السكان فى المبانى القديمة والجديدة على حد سواء الأمر الذى أهدر مقوماتها المعمارية ، ثم بدأت مشكلة الاسكان تظهر فيما يقام حول المدن الكبرى من مدن عشوائية .

مدينة نصر – البلوك السكنى الأول

– مدينة السلام .

استمر هذا التدهور العمرانى ليشمل العديد من المبانى القائمة ذات الأهمية المعمارية الخاصة ، فقد تحولت بعض المبانى الخاصة والقصور الملكية وقصور الأمراء إلى مبانى إدارية ، فتحول قصر محمد على بشبرا (١٨٠٨) إلى كلية للزراعة ، وقصر الزعفران بالعباسية إلى إدارة لجامعة عين شمس ، وملحقات قصر عابدين إلى إدارات لمحافظة القاهرة ، وقصر عائشة فهمى بالزمالك إلى إدارات لوزارة الثقافة ، وقصر الأمير محمد على بالمنيل إلى فندق ، وقصر إدفينا بالصعيد إلى مصحة لسل العظام ، وأزيل قصر هدى شعراوى بوسط القاهرة ، كما أزيل قصر شريف باشا بحى جاردن سيتى ليقوم مكانهما مبانى استثمارية . وهكذا ضاع العائد الاستثمارى للعمارة الأثرية كما ضاع عائدها الحضارى . وعلى جانب آخر امتد العمران الادارى والعشوائى على الحدائق العامة والخاصة ، فتقلصت حديقة الأزبكية التاريخية كما هدمت حديقة قصر لطف الله فى الزمالك وحدائق قصر المانسترلى بالروضة بالقاهرة ، وامتد هذا الاتجاه إلى العديد من الحدائق التاريخية فى غيرها من المدن المصرية ، ولم يقف التشويه العمرانى عند هذا الحد بل بدأت العديد من المبانى السكنية تتحول إلى مبانى إدارية لا تتناسب مع وظائفها ، فكثيراً ما تحولت العديد من المبانى الأثرية إلى مراكز سياسية أو أماكن لإيواء من انهارت مساكنهم وهكذا بدأ التدهور العمرانى يزحف إلى المبانى الأثرية خاصة فى القاهرة فى الوقت الذى تدعو فيه المؤسسات العلمية فى العالم إلى ضرورة الحفاظ عليها كتراث حضارى عالمى .

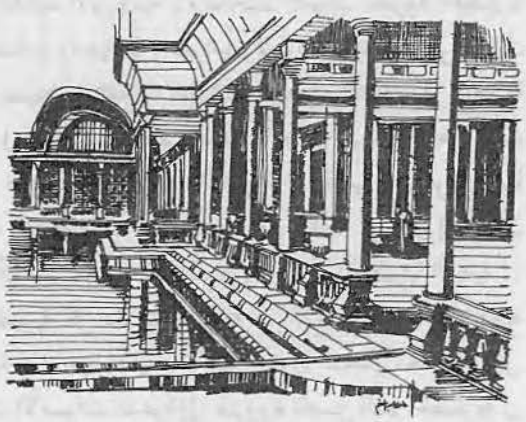

– قصر محمد على بشبرا – تم تحويله إلى كلية للزراعة .

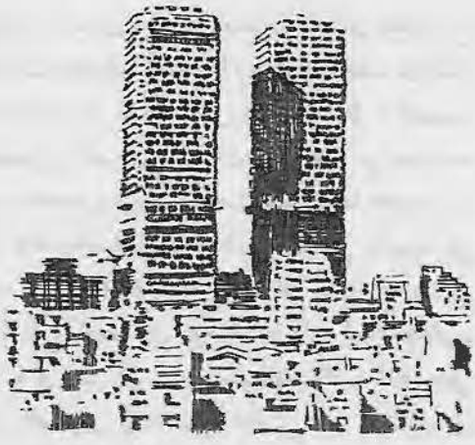

مبنى كابرو بلازا من المبانى الإدارية الحديثة التى ترتفع فى سماء القاهرة وتطل على النيل

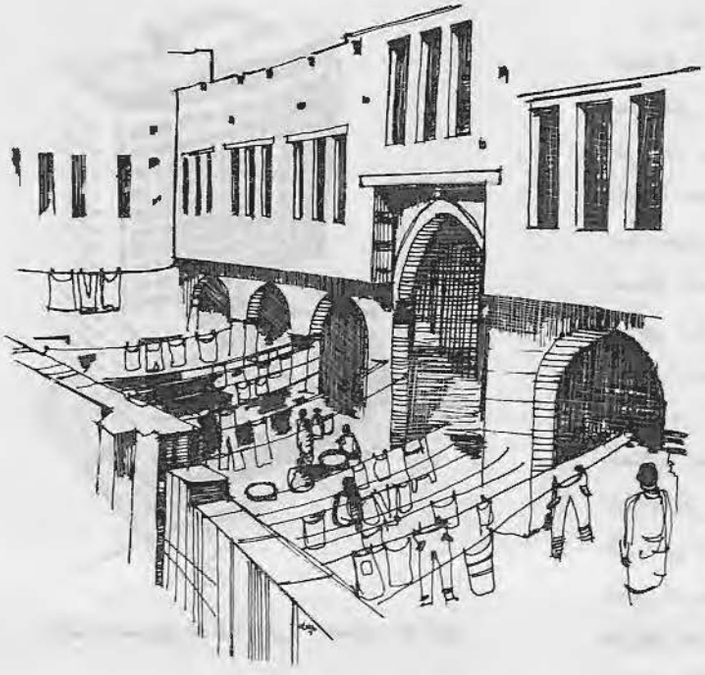

مظهر من مظاهر اساءة استخدام المبانى الأثرية فى القاهرة .

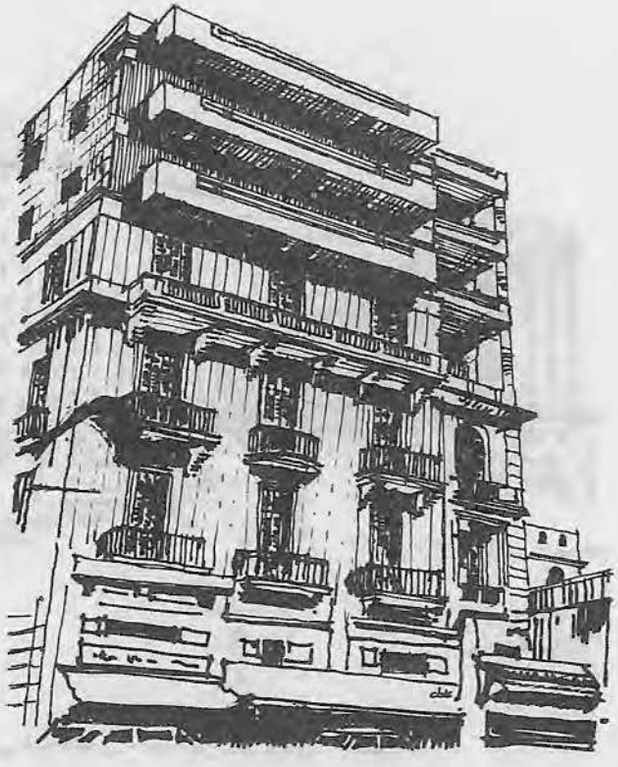

مبنى من مبانى مصر الجديدة التقليدية وقد ظهر له
امتدادات رأسية غير متناسقة مع الطابع العام

الاستخدامات الصناعية الغير متلائمة
مع طبيعة المبانى الأثرية

فى هذا الخضم من التدهور العمرانى استمر المعمارى المصرى يتعامل مع العمارة بأسلوبه الشخصى وتحت متطلبات أصحابها ومنطقهم الحضارى الذى بعد كثيراً عن الأصالة والذى يميل إلى الفكر الأوروبى فى الشكل والمضمون على حد سواء ، ولم يعد المعمارى المصرى بعد ذلك قادراً على مواجهة هذه الغزوة الحضارية التى اجتاحت المجتمع ومن ثم اجتاحت عمارة هذا المجتمع ، كما بدأ المعمارى المصرى يفقد ذاته الحضارية الأمر الذى انعكس بالتبعية على أعماله المعمارية التى فقدت شخصيتها المحلية ، ساعد على ذلك العديد من قوانين ولوائح البناء التى لا تدع للمعمارى فرصة للابداع أو الانطلاق ، وهكذا وصلت الحالة العمرانية فى مصر إلى أدنى مستوياتها ، الأمر الذى دعى الكثير من المفكرين والأدباء والمعماريين إلى الدعوة لتأصيل القيم الحضارية فى العمارة المعاصرة والبحث عن الأصالة والمعاصرة أو التراث والحضارة ، وبدأ هذا الفكر يؤثر على شباب المعماريين الذين يبحثون عن المستقبل فى الفكر السياسى والاجتماعى والثقافى ومن ثم فى الفكر المعمارى ، وبدأت بوادر ما يمكن أن يطلق عليه بالصحوة المعمارية التى لا تزال فى بدايتها الأولى تتحسس طريقها نحو الهدف والبحث عن التراث فى خضم من القوانين ولوائح البناء وتشعب التنظيمات المهنية والعلمية وفى صراع مع القيم الحضارية السائدة والتى يطغى فيها الاستثمار المادى فى البناء على الاستثمار الحضارى ، الأمر الذى ساعد صناعة البناء الغربية على غزو السوق المحلية بكل ما هو جديد لديها فى عالم البناء مخلوطاً بالقيم الأجنبية التى أجهدت المجتمع كما أجهدت المعمارى المصرى نفسه .

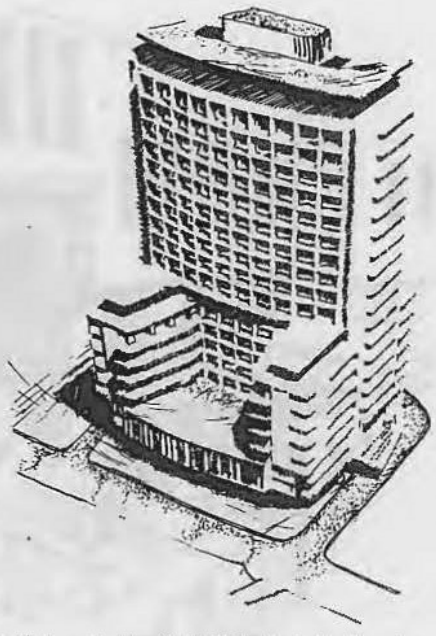

- مجموعة صاروليم السكنية بالجيزة - المعمارى سيد كريم

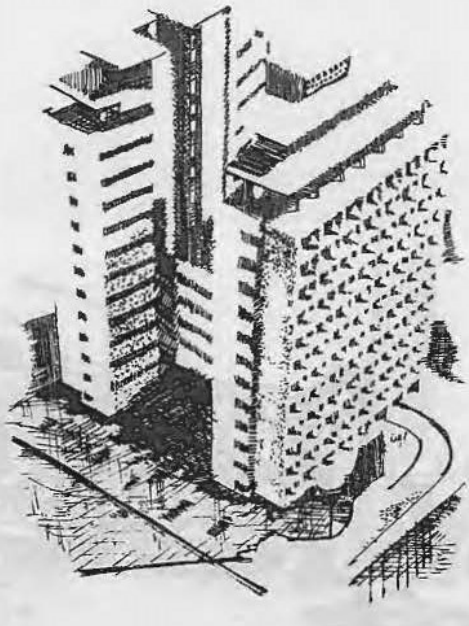

مجموعة النيل السكنية — المعمارى سيد كريم

مبنى مجمع التحرير - أحد أكبر المبانى الإدارية - القاهرة

دور المعمارى المصرى فى بناء العماره المصرية

يتضح دور المعمارى المصرى واضحاً فى بناء الحضارة الفرعونية ، فلم يكن المعمارى المصرى القديم بناءاً أو فناناً ولكنه كان فيلسوفاً وعالم طبيعة وفلك ورياضيات وأكثر من ذلك كان لديه إلماماً بأسرار الكون من حوله حتى ارتقى إلى صفوف الآلهة مثل « امحوتب » و « سموت » ويظهر ذلك فى ارتباط المبانى الفرعونية بالنظام الكونى مثل حركة الشمس فى معبد أبو سنبل واتجاهات القطب المغناطيسى فى بناء الأهرامات .. هذا بالاضافة إلى إلمامه الواسع بأصول البناء وأساليبه وأكثر من ذلك تنظيم عمليات البناء سواء فى وضع التصميمات أو وضع البرامج التنفيذية أو مراقبة عمليات التشييد والبناء ، هذا بالاضافة إلى الحس الفنى الذى ينبعث من المظاهر الطبيعية التى يعيش فيها المعمارى من حيوان ونبات ونخيل ، لم تظهر فقط فى دقة الصنعة ولكن أيضاً فى التشكيلات المعمارية وإبداع التصوير وارتباط المبنى بالبيئة . وهكذا خرجت العمارة الفرعونية مصرية الفكر والمادة ، تعكس متطلبات الملك وقدرة المصمم ونظام الانشاء وإدارة عمليات التشييد مع دقة الحرفة التى تأصلت فى العامل المصرى .

وفى نهاية عهد البطالمة ودخول الاغريق والرومان مصر انتقل المعمارى اليونانى والرومانى إلى مصر حاملاً فكره وعلمه الذى انعكس على المنشآت العامة التى أقامها خاصة فى الاسكندرية العاصمة أو الحصون التى أنشأها فى جنوب القاهرة ، ولم يستطع المعمارى اليونانى أو الرومانى أن يغير من العمارة المصرية التى استمرت حتى دخول المسيحية لتمثل أساساً للعمارة القبطية التى تعتبر حلقة الاتصال بين الفن الفرعونى والفن الاسلامى بعد ذلك . فقد حول المعمارى المصرى المعابد الوثنية إلى كنائس ونقش الصلبان على أبوابها وأعمدتها وغير صور الآلهة بصور القديسين ، إلى أن دخلت أنماط أخرى من التصميمات المستمدة من الطراز البازيليكى المأخوذ من المبانى اليونانية أو الرومانية أو الطراز البيزنطى فيما بعد والتى شيدها مهندسو الامبراطور قسطنطين . وفى هذا العصر بدأ الصانع الحرفى فى مصر يتقن الصناعات الخشبية من حشوات مطعمة بالعاج والأبنوس فى أشكال هندسية متداخلة كانت أساس للفنون الاسلامية فيما بعد ، كما ظهر المذبح بتجويف الكنيسة فكان أساس للمحراب بعد ذلك فى المساجد فى عصر الأمويين والعباسيين من بعدهم ، كما أتقن الصانع المصرى استعمال الفسيفساء من قطع الرخام بألوانه المختلفة وأشكاله الهندسية المتداخلة التى انتقلت من العمارة القبطية إلى العمارة الاسلامية فى نفس الوقت أو هى معالم فنية مشتركة بين العمارتين .

لقد ظل المعمارى الذى قام على بناء المساجد والمدارس والأضرحة مجهول الهوية والاسم وإن كان معظمهم من غير المصريين ممن وفدوا مع قادة الفتوحات من الشمال أو من الشرق أو الغرب ، فكان بينهم الأرمن والروم

والجركس والروس والترك والقبط ، فقد استعان أحمد بن طولون بالمهندس المسيحى « ابن الكاتب الفرغانى » فى بناء مسجده مستعيناً بالأكتاف بدلاً من الأعمدة بنفس الأسلوب الذى اقتبسه من جوامع سامراء بالعراق ، كما قام بتصميم مجرى العيون بين النيل وهضبة المقطم . ولا شك فى أن المعمارى الذى أشرف على بناء هذه المعالم المعمارية كل يساندە مجموعة من المعلمين ومجموعة من أكبر الحرفيين الذين أتقنوا حرفة البناء والزخرفة وتوارثوها أباً عن جد وكانوا يتعاملون مع كل الخلفاء والأمراء وإن تغيروا من زمن لآخر ، كما استحضر الخليفة المتوكل على الله جعفر العباس (عام ٨٦١ م) من العراق المهندس « محمد بن كثير الفرغانى » للاشراف على بناء مقياس النيل . وفى العصر المملوكى كان المهندس « شرقة الحرنبولى » الذى صمم جامع وضريح السلطان الظاهر برقوق ، والمهندس « محمد بن بليك المحسنى » الذى صمم مسجد السلطان حسن كما قال المرحوم حسن عبد الوهاب . وفى القرن السادس عشر جاء المهندس الأرمنى الأصل « سنان » الذى بنى العديد من المساجد التركية بأسلوب العمارة البيزنطية ليشرف على بناء بعض المساجد التركية فى القاهرة . وكما كان جوهر الصقلى ملماً بأنماط المدن الرومانية التى شاهدها فى شمال أفريقيا مثل « تمجاد » الأمر الذى انعكس على تخطيط قاعدة حكم الفاطميين فى القاهرة ، كان غيره من الولاة الحكام ملماً بالأنماط المعمارية التى تأثر بها فى موطنه الأصلى فى آسيا الصغرى أو شرق أوربا أو العراق أو شمال أفريقيا ، فكانت العمارة العربية فى مصر هى خليط من المؤثرات المعمارية فى الداخل والخارج ، وأضاف الصانع المصرى عليها خبرته المتميزة فى فن البناء والزخرفة وفى تفهمه لأسلوب التعامل مع مادة الحجر التى تعامل معها منذ فجر التاريخ ، ثم مقدرته على إدراك الظروف المناخية والمتطلبات الوظيفية للمبنى ، وأكثر من ذلك كان المعمارى العربى فى مصر (أو المعلم) قادراً على التجاوب مع المتطلبات المعيشية لأصحاب الشأن فجاءت عمارته معبرة تعبيراً تلقائياً وصريحاً عن الوظيفة وتعبيراً صريحاً عن المادة بخصائصها الطبيعية . فكانت هذه هى ملامح العمارة العربية التى تبلورت فى مصر فى هذه الفترة .

لقد استعان بدر الجمالى بالمعمارى « القس جون » فى تصميم بوابات النصر والفتح وباب زويله ، وأشرف على بنائها ثلاث اخوة معماريين من « أوديسا فى أرمينيا » . وكما استعان الأتراك بالمعمارى « سنان » الأرمنى الأصل استعانوا أيضاً بالعديد من المعماريين اليونانيين ، كما استعان محمد على بعد ذلك بالمعماريين من ألبانيا وإيطاليا وفرنسا ، وجاء غيرهم فى عهد اسماعيل باشا ، وحتى العهد القريب عندما استعانت وزارة الأوقاف المصرية بالمعماريين الإيطاليين فى تصميم منشآتهم الدينية ، من أمثال « فيروتشى » و « تافاريللى » وآخرهم « ماريوروسى » الذى اعتنق الاسلام والذى صمم فى الأربعينيات مساجد مثل مسجد أبو العباس المرسى ومسجد قصر رأس التين ومسجد ابراهيم القائد فى الاسكندرية ومسجد عمر مكرم بالقاهرة .

تعرضت مصر من ١٨٧٠ إلى ١٩٣٠ م إلى حركة معمارية ذات طبيعة خاصة ، اختلطت فيها الأنماط العربية بالأنماط الأوروبية خاصة المستوردة من إيطاليا والنمسا ، وجاء ذلك خلال التحول العمرانى الذى ظهر فى مناطق

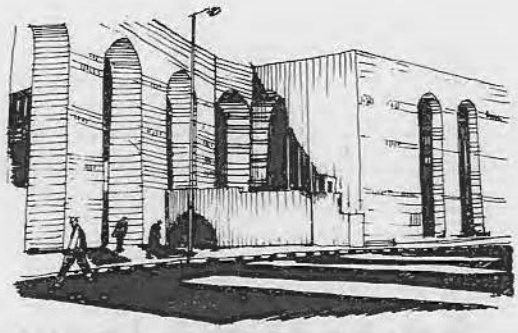

مجرى العيون

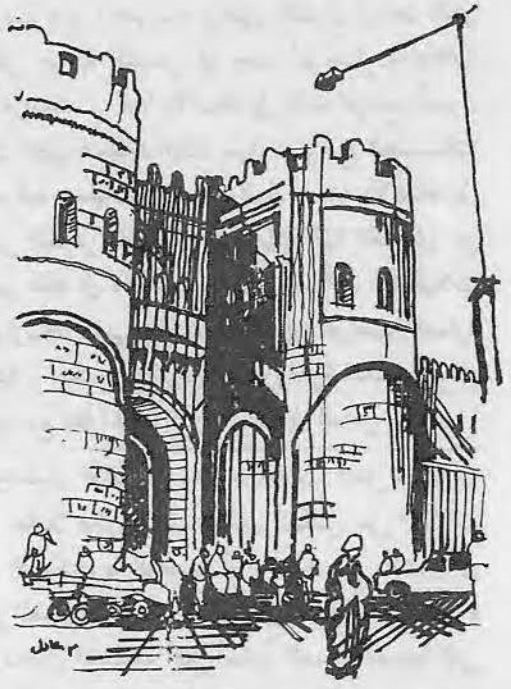

باب الفتوح

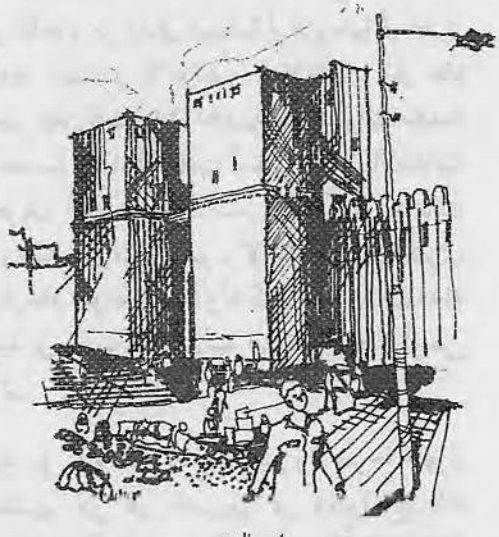

باب النصر

القاهرة مثل منطقة قصر النيل والاسماعيلية (منطقة وسط المدينة الآن) والحلمية الجديدة أو الظاهر أو على شواطىء النيل وذلك بتأثير الفكر التخطيطى « لهاوزمان » فى باريس ، وظهر التعبير المعمارى العربى فى صورة زخارف سطحية سواء ظهرت فى تصميم البلكونات أو المشربيات أو أركان المبانى أو فى مداخلها . وامتد هذا التأثير حتى وصل ضاحية مصر الجديدة . وظهر هذا الاتجاه فى بعض المبانى مثل مبنى جمعية المهندسين (١٩٢٠) ومبنى بنك مصر (١٩٢٧) والتى صممها المعمارى الفرنسى (لازياك) ، وقصر الجزيرة الذى بنى لاستعمال الامبراطورة أوجينى أثناء افتتاح قناة السويس « من تصميم الفرنسيون » « فراتز ودى كوريل » (١٨٦٣) . وهى من وحدات جديدة صنعت فى ألمانيا وكذلك المتحف الاسلامى (١٩٠٣) ، وغيرها من العمارات السكنية التى زينت بالأشكال العربية ويظهر أنه كان هناك دعوة للبحث عن طرز مجددة فى العمارة العربية مثل ما ظهر فى مبنى الجمعية الملكية الزراعية فى أرض الجزيرة (١٩٣٨) أو مبنى الكتبخانة فى القلعة أو مبنى مركز بوليس خلف مسجد السلطان حسن بالقلعة أو مبنى إدارة الأزهر ومسجد البرلمان . وبعد ذلك دعت تقارير وزارة الأشغال العامة إلى ذلك فى هذه الفترة من التاريخ ، وقد أشارت إلى تصميم المبانى العامة فى الصعيد على الطراز الفرعونى المستحدث وهو ما ظهر فى محطات السكك الحديدية والمبانى العامة فى الوجه البحرى بالطراز العربى ، وقد لاقى هذا الاتجاه بعض الاعتراض على إنه مجرد زخرفة عربية خارجية لا تمس جوهر التصميم نفسه .

لقد حاول بعض المعماريين الأوروبيين بين عامى ١٨٧٠ – ١٨٨٠ م استخدام الطراز العربى فى المبانى المصرية للطبقة البرجوازية وتحول الأمر بين عامى (١٨٩٠ – ١٩٠٠ م) إلى استعمال الطراز العربى فى شكل زخارف جصية على واجهات المبانى ، كما ظهر فى مبانى حى الظاهر ومصر الجديدة فى ذلك الوقت تبعاً لأذواق أصحابها . كما ظهر تأثير عمارة الباروك المختلط بالطابع التركى فى قصر السكاكينى (١٨٩٧) . ثم تأكدت الدعوة إلى الاتجاه إلى العمارة العربية بين عامى (١٩١٠ – ١٩٢٠) كما ظهر فى قصر عمر سلطان باشا فى باب اللوق وقصر هدى شعراوى (١٩٠٧) فى شارع قصر النيل وقد هدم ليحل محله مشروعاً استثمارياً ، وكان خليطاً من الطرز الأندلسية والتركية والمملوكية . وهكذا زاد الطلب على الطراز المعمارى العربى أكثر من الطراز الفرعونى ، وظهر فى هذه الفترة بعض المعماريين المصريين ، فقد بنى متولى أفندى عدداً من المبانى الخاصة بوزارة الأشغال العامة عام (١٩٠٥) وغيرها عام (١٩٠٨) ، ومن قبله كان المعمارى الفرنسى « بودرى » مديراً للأشغال العامة (١٨٦٧) والمعمارى الإيطالى « كيروبانتانيللى » الذى بنى قصر النيل لسعيد باشا (١٨٨٣) وكذلك المعمارى الإيطالى الآخر « الفونسومانيسكالا » الذى صمم دارالآثار العربية ودار الكتب (١٩٠٦) وكذلك الإيطالى « كارلوفير جيليو » الذى صمم مسجد الرفاعى (١٩٠٦ – ١٩١١) . فقد كان « مانيسكالا » كبيراً للمعماريين فى الحكومة وكان قريباً من « محمود بك فهمى » مفتش التنظيم فى الصعيد الذى عمل بعد ذلك كبيراً للمهندسين بوزارة الأوقاف ، وأشرف على العديد من المبانى الحكومية التى تعتبر موسوعة للمعماريين المصريين فى ذلك الوقت . ثم جاء مصطفى باشا فهمى (مؤسس

– مصر الجديدة .

– إدارة جامعة الأزهر .

– مبنى وزارة الزراعة – بالدقى

جمعية المهندسين) وقد عين مديراً عاماً لمصلحة المبانى (١٩٣٧) ، ومديرا عاماً للتنظيم عام (١٩٤٣) ثم كبيراً للمعماريين فى القصور الملكية . ثم مديراً لبلدية الاسكندرية . وفى هذه الفترة زادت الدعوة إلى إظهار طابع معمارى مصرى له جذوره العربية ، فقد دعى « هيتز باشا » عام ١٩١١ إلى ضرورة عمل نماذج معمارية ملتزمة بالطراز ليعرضها المعماريون على أصحاب العقارات التى يقومون بتصميمها وذلك بهدف إظهار الطابع المعمارى المصرى الجديد .

لقد بدأ دخول المهندسين الفرنسيين والانجليز مصر بصفة موسعة فى عصر محمد على واسماعيل باشا فكان « لينان دى بلفون » الفرنسى كبير مهندسى محمد على والذى قام بتصميم القناطر ومشروعات الرى الكبرى ، كما كان « بولفور » الفرنسى مهندساً للبلديات و « برينودى دويتامل » لتنسيق الحدائق ، وفى عهد اسماعيل صمم المعماريون الانجليز مبنى محطة مصر للسكة الحديد على الطراز العربى وقام الفرنسيون مثل « باريل » بتنسيق بساتين الأورمان والأزبكية كما صمم الفرنسيون مبنى دار الأوبرا ، فى شمال القاهرة صمم المهندس المعمارى البلجيكى « جسبار » فندق هليوبوليس بالاس (٥٠٠ غرفة) وكذلك مبانى منطقة الوسط بهذه الضاحية والتى تحمل بعض ملامح العمارة العربية ، كما قام المعمارى الفرنسى « الكسندر مارسيل » بتصميم كنيسة الكاتدرائية وهى بيزنطية الطابع وقام نفس المعمارى بتصميم قصر البارون امبان على الطراز الهندى .

وبدأ المعمارى المصرى يظهر فى الصورة وكان أولهم محمود حسين باشا فهمى المعمارى وجاء بعده ابنه مصطفى باشا فهمى معمارى الملك الذى حاول أن يضع ملامح لطراز معمارى جديد سماه عمارة عصر النهضة الاسلامى ، وتظهر أعماله فى مبنى السراى الكبرى فى أرض المعارض بالجزيرة والذى شيد عام ١٩١٣ ، وكذلك فى مبنى دار الحكمة بشارع القصر العينى وبعض القصور الملكية ، حيث استعمل البحور الكبيرة فى التغطية واستوحى بعض الخطوط من ملامح العمارة العربية ، وتبعه بعد ذلك الأستاذ المعمارى على لبيب جبر الذى أتم دراسته المعمارية فى مدرسة ليفربول عام ١٩٢٦ وظهرت أعماله مرتبطة بالفكر الأوروبى ، سواء فى المبانى العامة مثل مبنى نقابة المحامين أو أعماله المعمارية لشركة المحلة الكبرى وكفر الدوار وغيرها من المبانى السكنية العديدة . وظهر فى نفس الفترة معماريون أجانب مثل « شارل عيروط » اللبنانى الأصل الذى تأثر بالمدرسة الهولندية فى استعمال الطوب الظاهر بألوانه الأصفر والأحمر ، و « أنطوان نحاس » اللبنانى الأصل أيضاً الذى صمم العديد من العمارات فى شوارع قصر النيل وشريف باشا بالقاهرة ، وعكس فكر المدرسة الفرنسية فى باريس ، كما ظهر غيرهم فى نفس الفترة معماريون انجليز وفرنسيون وأمريكان صمموا العديد من المبانى الهامة فى مصر ، فمبانى جامعة القاهرة صممها الانجليزى « نيومان » عام ١٩٣٢ ، كما صمم « جاك هارد » و « بارك » و « ماكس أدرعى » مبنى المحكمة العليا فى قلب القاهرة بعد فوزهم بمسابقة لوضع هذا التصميم ، واستمر « ماكس أدرعى » فى وضع التصميمات لكبار الأغنياء فصمم عمارة « اليونيون » وعمارة « الايموبيليا » فى وسط القاهرة ، وفى نفس الفترة ظهر المعمارى المصرى محمود رياض وصمم العديد من المبانى العامة والعمارات كان أبرزها مبنى الجامعة العربية على

قصر السلطانة ملك – مصر الجديدة

الطابع العام فى مصر الجديدة

كنيسة البازليك – مصر الجديدة

كورنيش النيل ، وظهر معه المعمارى أبو بكر خيرت الذى ألف مجموعة من الموسيقى الكلاسيكية المتمصرة ، وأخيه على خيرت الذى تتلمذ على يد « ماريو روسى » فى العمارة الاسلامية وأشرف على بناء العديد من مساجد وزارة الأوقاف ، ومن نفس الجيل ظهر المعمارى حسن فتحى الذى كرمته بعض المؤسسات المعمارية العالمية وذلك نتيجة لدعوته المتواصلة لضرورة البناء بالمواد المحلية البيئية ومشاركة الانسان فى بناء مسكنه الخاص بالنسبة للفقراء منهم ، وإذا كانت أعماله فى مصر لا تتعدى قرية القرنة فى جنوب الصعيد وباريز فى الواحات وبعض المساكن الخاصة فى ضواحى أهرامات الجيزة ، فإن كتاباته تركت أثراً كبيراً فى خارج مصر كما إستُدعى لبناء مبانى قرية اسلامية فى نيو مكسيكو فى الولايات المتحدة بنفس أسلوب البناء بالطين . وبعده ظهر بعض تابعيه فى نفس الاتجاه الذى استحوذ على اهتمام بعض الأغنياء العرب . وفى نفس الجيل ظهر المعمارى الدكتور سيد كريم الذى أنهى تعليمه فى المدرسة العليا بزيوريخ بسويسرا ونقل إلى مصر وبعض الدول العربية أنماطاً عديدة من العمارة الأوروبية التى تأثر بها على يد أستاذه « سافربرج » السويسرى ، وقد بدأ يثور على المدرسة القديمة بهذا الفكر الجديد وأصدر فى الأربعينات ولمدة حوالى خمس سنوات مجلة العمارة الربع سنوية ، فكانت حدثاً فى مجال التأليف والنشر فى هذه الفترة .

وانتقل معظم العمل المعمارى الرسمى فى الدولة بعد ذلك إلى المؤسسات الحكومية المركزية مثل مصلحة المبانى ، التى انتهى دورها وحل محلها مؤسسة للأبنية العامة إلى أن حل محلها المكتب العربى للتصميمات والاستشارات الهندسية كمكتب معمارى للدولة بعد أن زادت مشروعاتها المعمارية ، وبالتوازى ظهر العديد من المكاتب المعمارية لأساتذة العمارة فى الجامعات المصرية ممن أتموا دراساتهم العليا فى انجلترا وفرنسا وأمريكا وروسيا وإيطاليا ويمثلون فى الوقت الحاضر ركيزة التعليم المعمارى فى مصر ، ومن ذلك يمكن التبصر بمستقبل تكوين المعمارى أثناء دراسته الجامعية أو بعدها هذا فى غياب الساحة العلمية من الكتب والمجلات واعتمادها كلية على المؤلفات الانجليزية أو الأمريكية أو الفرنسية ، ولم يظهر فى الصورة غير مجلة « عالم البناء » الشهرية والتى أصدرها مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية فى إطار نشاطه العلمى منذ عام ١٩٨٠ حتى إعداد هذه الدراسة. ولا يزال دور المعمارى الغربى أو الشرقى واضحاً فى بناء المعالم المعمارية فى مصر ، فمبنى الأوبرا الذى تحت التأسيس من تصميم معماريين من اليابان ، وقاعة المؤتمرات الجديدة من تصميم معماريين من الصين ، ومعظم الفنادق الكبيرة والمبانى الادارية فى القاهرة والاسكندرية من تصميم معماريين من أمريكا وفرنسا وانجلترا ، كما كان للشركات الأجنبية دوراً كبيراً فى مشروعات التخطيط العمرانى فى معظم مناطق الدولة . وهكذا لم يتوقف دور المعماريين الأجانب عن بناء الصروح المعمارية فى المدن المصرية ، ويظل المعمارى المصرى محدود الامكانيات والوسائل محروماً من التنظيم المهنى الذى يضعه فى مصاف المعماريين الأجانب الذين تسندهم قوة المال وتكنولوجيا البناء والتنظيم الادارى .

– جامعة الدول العربية .

عمارة شركة سحدرية للتأمين – القاهرة

– مبنى إدارى إيفر جرين سنتر بوسط البلد .

البحث عن الذات في العمارة المصرية الحديثة

تعرضت العمارة فى مصر إلى مختلف المؤثرات الخارجية ، سواء أكانت مؤثرات مباشرة عن طريق أعمال المعماريين الأجانب خاصة منذ بداية عهد محمد على حتى الآن أو مؤثرات غير مباشرة عن طريق الفكر المعمارى المنشور فى الكتب والمجلات الأجنبية أو الفكر المعمارى الوارد من خلال البعثات الدراسية ، وقد أدى هذا التضارب الفكرى إلى تضارب فى الانتاج المعمارى نفسه ، الأمر الذى أفقد المعمارى المصرى هويته كما أفقد انتاجه المعمارى شخصيته . هذا بالاضافة إلى تدنى التنظيم المهنى الذى يمكنه أن يوجه العمارة المصرية وجهتها الصحيحة ، فالمعمارى المصرى لا تربطه بهذه التنظيمات أكثر من دفع الاشتراكات السنوية التى تضمن تسجيله الرسمى ، وذلك بخلاف التنظيمات المعمارية العالمية التى ترعى المعمارى بعد تخرجه مهنياً وعلمياً ، وهكذا فقدت العمارة المصرية شخصيتها ليس فقط فى المدن الكبيرة ولكن أيضاً فى المدن الصغيرة والقرى ، ولم يعد للوعى المعمارى العام لدى المجتمع أى أثر فى توجيه العمارة المصرية ، بل أدى هذا الوعى العام إلى تدهور العمارة وذلك بسبب الغزوة الحضارية التى تصيب مصر فى الوقت الحاضر اقتصادياً وفكرياً وثقافياً واجتماعياً ، الأمر الذى ظهرت آثاره ليس فقط فى العمارة بصفة عامة ولكن أيضاً فى الأزياء والعادات والتقاليد ومتطلبات الحياة الاستهلاكية .

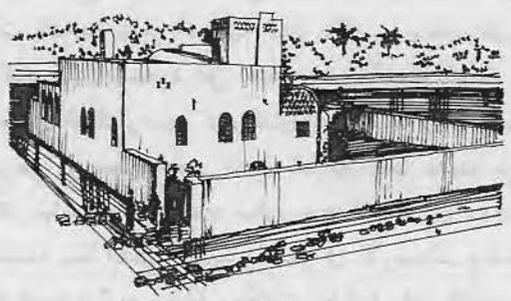

من أعمال حسن فتحى

لقد كان المعمارى الأجنبى الذى يوليه الوالى فى العصور الاسلامية المتتالية مسئولية إنشاء المساجد أو القصور ينصهر فى البيئة المحلية ويتفاعل مع ما تنتجه العمالة المحلية من أعمال فنية ، فكانت العمارة المصرية على مر العصور وإن كانت أجنبية الفكر إلا أنها كانت مصرية التنفيذ محلية الملامح فى معظم الأحيان حتى جاء عصر محمد على فكانت العمارة أجنبية الفكر وأجنبية التنفيذ والملامح . وزادت هذه الظاهرة بعد عصر اسماعيل باشا حتى الوقت الحالى حيث تفتحت الأبواب أمام المعمارى الأجنبى كما تفتحت أيضاً أمام منتجات صناعة البناء الأجنبية ، وهنا تظهر العمارة المصرية أجنبية التصميم والتنفيذ والملامح . وإذا كان التأثير الأجنبى يظهر أساساً فى المبانى الرسمية إلا أن معظم البناء الشعبى يقوم به أصحابه بمساعدة البنائين والحرفيين والمنتمين إلى مهنة المعماريين دون شرط أو نظام ففقدت العمارة الرسمية شخصيتها المحلية كما فقدت العمارة الشعبية انتمائها المحلى .

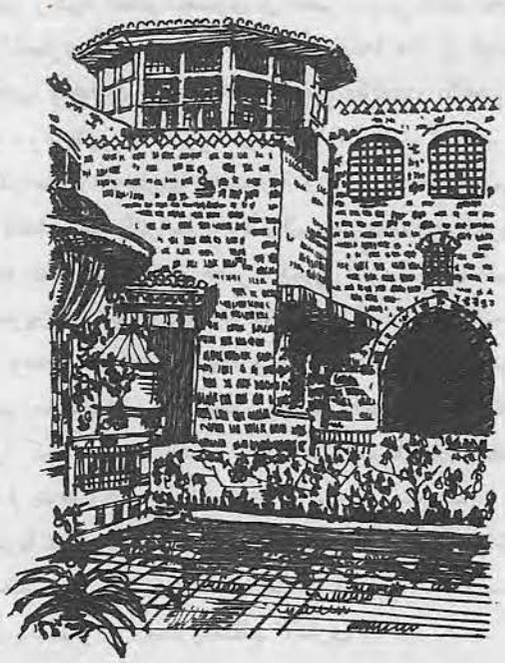

من أعمال حسن فتحى

وفى الحقبة الأخيرة من الزمن لم تظهر فى مصر الاتجاهات المعمارية المؤثرة إلا من خلال العملية التعليمية وعلى المستوى الأكاديمى فقط دون استمراريتها بعد ذلك . فعندما يتخرج المعمارى فى جامعته يجد نفسه تحت مؤثرات مختلفة منها ما هو متوارث فى التصميم والتنفيذ دون أن يكون له فيه يد للتطوير أو التغيير ومنها ما هو مفروض عليه بتوجيهات فردية ، أو يجد نفسه تحت محددات

اقتصادية أو ثقافية تفرضها البيئة الاجتماعية والطبيعية المحيطة به فلا يجد أمامه إلا الانسياق فى طريق من سبقه دون تطوير أو تعديل ، الأمر الذى أدى إلى الركود الفكرى المعمارى المؤثر سواء بالتأليف أو النشر أو من خلال الندوات والمؤتمرات ، وأخيراً بدأ بعض المعماريين المصريين ينادون بضرورة استعادة دور المعمارى فى بناء الحاضر والمستقبل كما شاهدوا من قبل أجدادهم فى العصور السابقة . وتبلورت هذه الدعوة فى إنشاء المؤتمر الدائم للمعماريين المصريين كمظلة تنخرط تحتها المنظمات المهنية والعلمية المصرية ويعمل على انفراد دون تأثير فوق من غير المتخصصين .

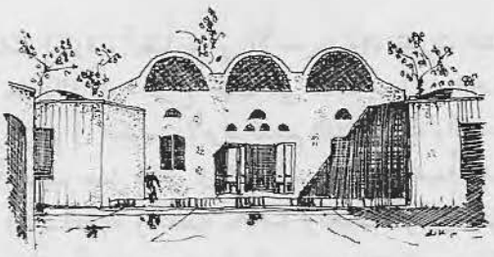

قرية الجرنة – مدخل المدرسة الريفية

وإذا كان هناك عدد من المعماريين المصريين الذين ظهروا منذ الأربعينات وعملوا فى المجال التعليمى والمهنى إلا أن تأثيرهم العام على العمارة المصرية بقى ضعيفاً بسبب تنوع انتماءاتهم المعمارية مع عدم قدرتهم على التأليف والنشر وأصبحت أفكارهم ملكاً لهم دون غيرهم ، فقد ظهرت المجموعة الأولى من المعماريين المصريين مثل محمد رأفت ، وعلى لبيب جبر ، وعبد المنعم هيكل ، وشريف نعمان ، وحسن شافعى ، ومحمود الحكيم ، ومحمود رياض ممن درسوا فى انجلترا ، وحسن شافعى ، ومصطفى شافعى ومحمد أبو ستيت ومحمد محيى الدين وخالد سعد الدين ممن درسوا فى فرنسا ، وسيد كريم ممن درسوا فى زيوريخ وشفيق الصدر ممن درسوا فى أمريكا ، وغيرهم ممن مارس العمل المعمارى فى الهيئات المصرية مثل ابراهيم نجيب ، وميشيل روفائيل وغيرهم ، ومع ذلك فإن تأثيرهم المعمارى ظل محدوداً بأماكن انتاجهم المعمارى أو العلمى كما أن تأثيرهم المعمارى ظل محدوداً بالنماذج المعمارية التى قدموها والتى لا تمثل اتجاهات أو نظريات معمارية واضحة المعالم وإن كان بعضهم ركن إلى التجديد التشكيلى أكثر منه إلى النظرية المعمارية المحلية ، وهكذا انتهى تأثيرهم المعمارى بانتهاء مدتهم فى الممارسة أو العمل ولم ينتج عنهم نشر علمى أو نظرى يمكن أن يستقر فى وجدان شباب المعماريين بعد ذلك ، وهكذا ينتهى المعمارى فى مصر عملاً وفكراً بانتهاء مدة عمله .

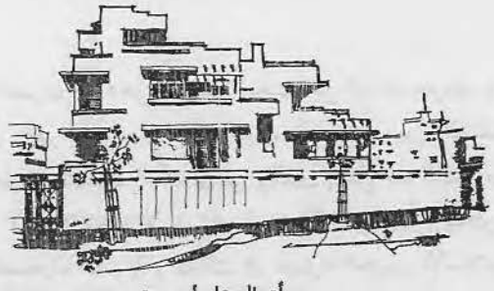

من أعمال على لبيب جبر

لم يسفر أحد من المعماريين المصريين عن فكر مكتوب إلا المهندس حسن فتحى الذى نشرت أعماله فى معظم المجلات المعمارية فى العالم كما نشرت له المطابع الأجنبية أكثر من كتاب يشرح نظريته فى البناء بالجهود الذاتية والمواد المحلية فيما سماه بعمارة الفقراء ، ولا يزال تأثيره مستمراً فى الأوساط المعمارية العالمية ، والتأثير الفكرى لحسن فتحى جاء من الخارج عن طريق المجلات والكتب الأجنبية أكثر منه من الداخل ، حيث لم يتعرف عليه المجتمع المعمارى إلا من خلال بعض الندوات أو المحاضرات أو من خلال ما نشرته عنه الصحف المحلية أثر ما كتب عنه فى الخارج وما حصل عليه من جوائز تقديرية كان آخرها الميدالية الذهبية من الاتحاد الدولى للمعماريين فى يناير ١٩٨٥ م . وإذا كان الفكر المعمارى لحسن فتحى قد قوبل باهتمام كبير من العديد من الجهات المعمارية فى الخارج إلا أنه لم يقابل بنفس هذا الاهتمام أو بأقل منه فى الداخل ، فالجامعات المصرية لم تنشر له أو عنه وكذلك دور النشر المحلية نظراً لمحدودية انجازاته المعمارية التى انحصرت فى بناء قرية القرنة عام ١٩٤٥ أو فى بناء قرية أخرى فى الواحات المصرية بنفس الأسلوب أو فى بناء عدد قليل من المساكن

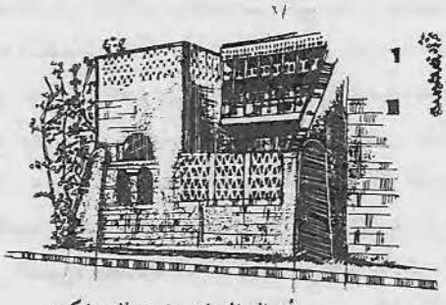

من أعمال المعمارى محمد فايد شكرى .

الخاصة فى منطقة أهرامات الجيزة ، أيضاً بنفس الأسلوب وإن تغيرت مادة البناء ، وامتدت أعماله بعد ذلك إلى الخارج حيث بنى ثلاث مساكن خاصة بمدينة جدة بالسعودية وغيرهم فى الكويت لأفراد لديهم القدرة المالية والقناعة بهذا الاتجاه الفكرى ، وأسلوب حسن فتحى فى البناء ليس أبتكاراً جديداً بقدر ما هو إحياء لأساليب البناء القديمة والتغطية بالأقبية والقباب مرتكزة على حوائط سميكة من الطوب اللبن أو الحجر وهى أساليب استعملت فى مصر كما استعملت فى غيرها من دول شمال أفريقيا منذ آلاف السنين ، وهكذا انحصرت دعوة حسن فتحى فى هذا الاتجاه وإن كان قد طرح بعض الأفكار التخطيطية فى تخطيط القاهرة هى فى الواقع أفكار مستوردة عن دوكسيادس المعمارى والمخطط اليونانى الذى ظهر على المستوى العالمى بين الخمسينات والسبعينات ، فقد عمل معه حسن فتحى مدة عامين فى مشروعات للاسكان العام فى العراق ، ولكن أعماله فى هذه الفترة لم تلق نفس الاهتمام بعمارة الطين التى برع فيها ، وهكذا لم ينتشر فكر حسن فتحى بنفس انتشار فكر الرواد من المعماريين العالميين فى أوروبا وأمريكا والذين امتدت أعمالهم لتشمل كل نوعيات البناء العالى والمنخفض والسكنى والتجارى والادارى والصناعى والتعليمى .

مسقط أفقى لمركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – من أعمال الدكتور/ عبد الباقى ابراهيم

وإذا كان المعمارى المصرى قد دخل مرحلة البحث عن الذات مترددا بين التراث المعمارى الذى ظهر فى مصر على مدى العصور وبين الضغط الاقتصادى الغربى المصحوب بالضغط التكنولوجى والذى يحمل معه الكثير من القيم الاجتماعية والأنماط الاستهلاكية ، إلا أن المعماريين الأجانب بدأوا يبحثون عن التراث فى عمارة الصحراء المصرية وكذلك فى عمارة العصور الاسلامية المتتالية سواء أكان ذلك عن طريق البعثات الطلابية أو البحوث العلمية التى تفد إلى مصر من انجلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا وأمريكا .. وأكثر من ذلك فقد تعددت المنظمات الدولية التى تسعى إلى الحفاظ على التراث المعمارى الاسلامى ومنها منظمة الأغاخان زعيم الطائفة الاسماعيلية التى تنسب نفسها للاسلام ومقرها جنيف وهارفارد ، أو جمعية المحافظة على التراث الاسلامى فى مصر ومقرها لندن ، أو جمعية عمارة العالم الاسلامى فى لندن ، أو منظمة اليونسكو فى باريس . وقد نشطت هذه المؤسسات فى مجال النشر المعمارى سواء بالكتب الفاخرة للطباعة أو المجلات والنشرات التى يطبع بعضها فى سنغافورة ، وقد سبقت هذه المنظمات الفكر المعمارى المصرى بقوتها التنظيمية والمالية والاعلامية التى تضع المعمارى المصرى دائماً فى المؤخرة علمياً وتنظيمياً الأمر الذى بدأ مقاومته مع أول مؤتمر للمعماريين المصريين ، والذى عقد فى القاهرة فى ابريل ١٩٨٥ م ، ويهدف إلى تنظيم العمل المعمارى على المستوى المصرى والعربى مهنياً وعلمياً الأمر الذى لا يزال لا يلقى التأييد الرسمى المناسب باعتبار العمارة هى الصورة الصادقة للحضارة ، من هنا جاءت دعوة أخرى لإيصال الوعى المعمارى إلى عمق المجتمع عن طريق وسائل الاعلام المرئية حتى تصبح الدعوة إلى تأصيل القيم الحضارية للعمارة المصرية دعوة جامعة للمتخصصين من المعماريين وللمجتمع بكل فئاته وطبقاته .

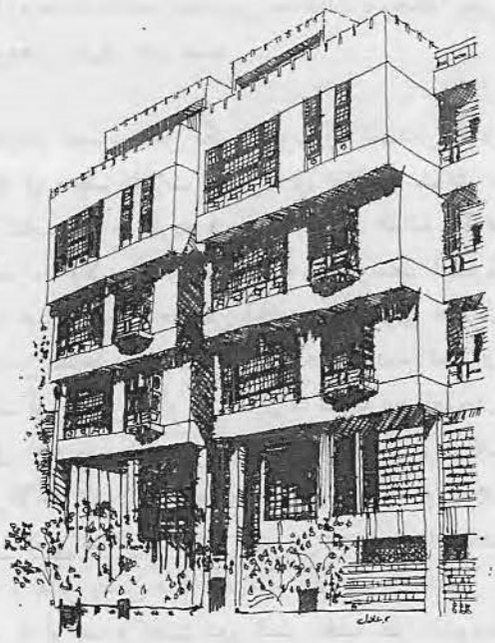

– مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية بالقاهرة .
من أعمال الدكتور عبد الباقى ابراهيم

ولم تكن ظاهرة البحث عن الذات قاصرة على العمارة المصرية المعاصرة بل شملت هذه الظاهرة كل نواحى الفنون والآداب المصرية المعاصرة ، وعلى الساحة الفكرية يثار موضوع التراث والحضارة كما تناقش مسألة الآصالة والمعاصرة ، وهنا يدخل الفكر المعمارى هو الآخر إلى ساحة الفكر المصرى المعاصر . تقول الدكتورة نعمات فؤاد فى كتابها « التراث والحضارة » (القاهرة ١٩٨٤ م) « ان نعرف تراثنا قضية – ان ندرسه .. قضية – ان نمحصه وننقيه مما علق به من شوائب .. قضية – ان نعتز به ونستلهمه .. وان ننتفع منه ونستمد منه .. ونمتد به فى غير سلفية أو تبعية أو انعزالية قضية .. » وهكذا تظهر جوانب القضية الفكرية المعاصرة فى مصر وهى القضية التى كتب فيها توفيق الحكيم الأديب كما كتب فيها الدكتور زكى نجيب محمود الفيلسوف ، وترد الدكتورة نعمات فؤاد على تقديم المشاكل الاقتصادية والتعليمية بأن « قضية التراث تسبق الاقتصاد والتعليم لأن التراث هو الجذر لكل شىء وبدونه لا يستقيم شىء أو تطرد مسيرته » وعن الجانب الاقتصادى فى العمارة تقول « أليس جانباً من الاقتصاد والاجتماع والفن كرنفال العمارة عندنا بطرزه الغريبة علينا ؟ .. عمارة الزجاج والألمنيوم فى بلد الشمس المشرقة » ، كما تقول « إن التراث ليس قضية فكرية فحسب بل هو قضية سياسية .. أما الاستعمار الجديد فله مآرب خفية وبعيدة ودروب ملفوفة .. منها النيل من التراث وهز القيم والتشكيك فى النفس وقدراتها » .. ومع هذه الصحوة الفكرية ظهرت صحوة معمارية قام بها صفوة من قادة العلم والعمارة فى مصر ، اجتمعوا فى ديسمبر ١٩٨٤ ليتدارسوا ما أصاب العمارة المصرية من تخلف بعد أن فقد المعمارى هويته وشخصيته أمام الزحف الحضارى الغربى على كل مقومات الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر . اجتمعوا ليضعوا ميثاقاً للمعماريين يقومون به ما اختل من الممارسة المهنية أو ما ضعف من الأصول العلمية والتراثية ، وبقدر صمود هذه الصفوة وثباتها واستمرارها فى الدعوة إلى الارتقاء بالعمل المعمارى المصرى مهنياً وعلمياً بقدر ما يمكنها الوصول إلى أهدافها بالرغم من كل المعوقات البيروقراطية ، ولكن تواكب الدعوة إلى تأصيل القيم الحضارية فى الآداب والفنون مع الدعوة إلى تأصيل القيم الحضارية فى العمارة والتخطيط العمرانى يؤكد سلامة الحركة الفكرية الجامعة ويزيد من قوة جماعتها الفكرية . من هنا يمكن التبصر بمستقبلية العمارة المصرية .

عمارة الزجاج والألمونيوم فى بلاد الشمس المشرقة

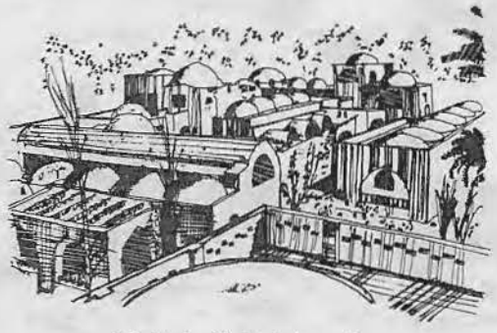

– مركز ويصا واصف للفنون بالحرانية .

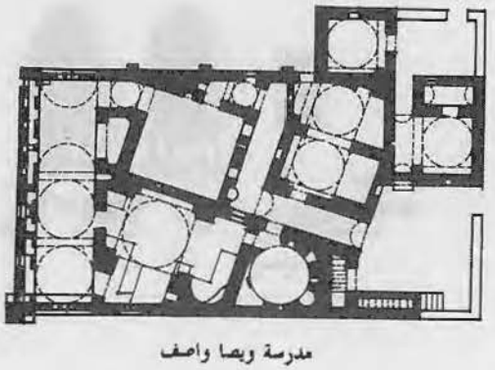

مدرسة ويصا واصف

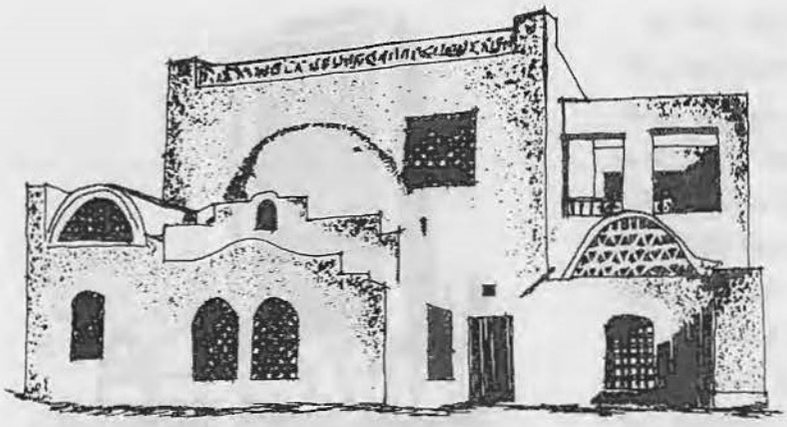

- منزل بالعجمى - للمعمارى عبد الواحد الوكيل .

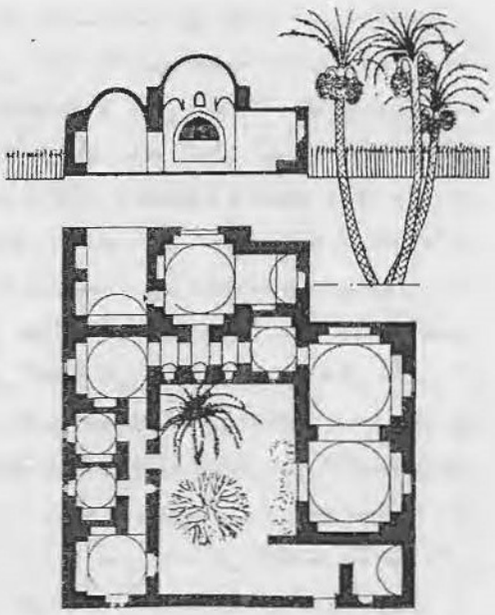

- منزل السيد حامد - المعمارى حسن فتحى

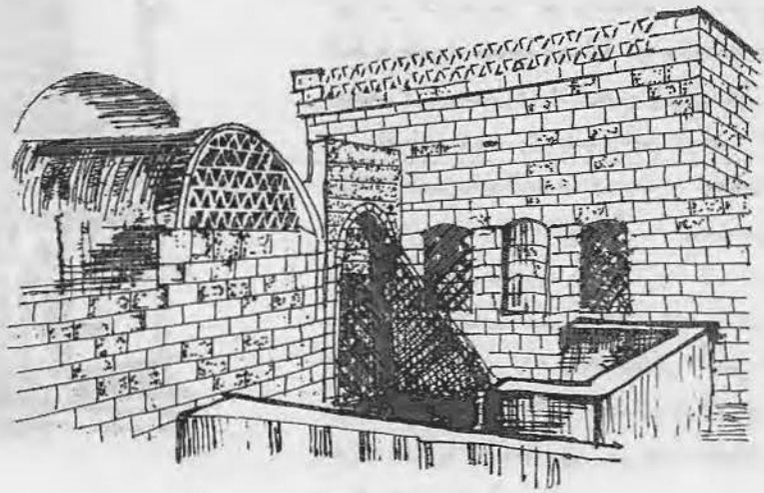

- استخدام الحجر فى البناء - من أعمال المعمارى حسن فتحى

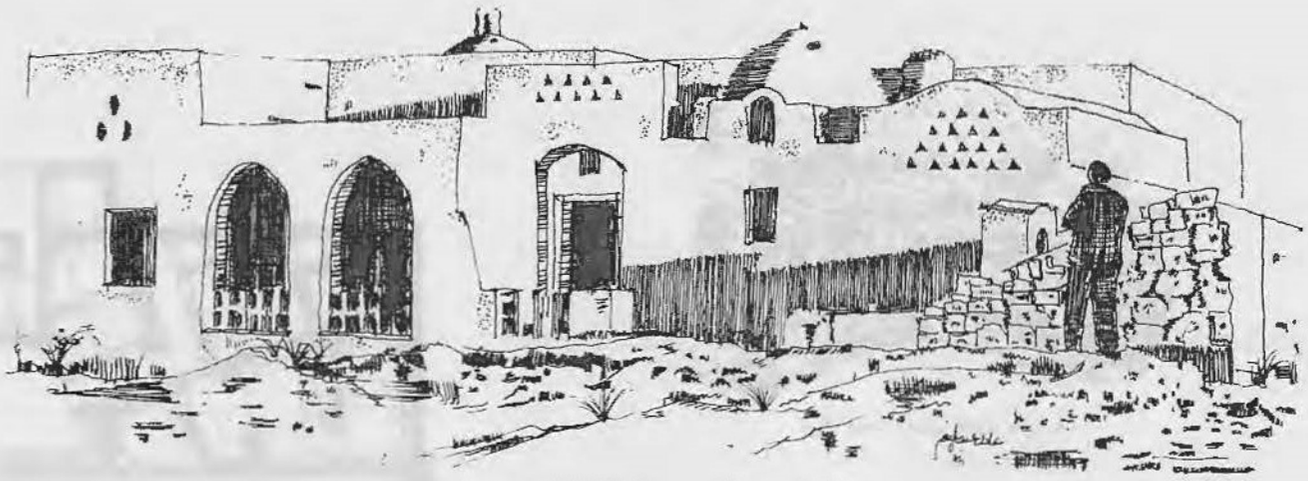

- منزل فى سيدى كرير - من أعمال المعمارى حسن فتحى

الموقع العام لمدينة النورس

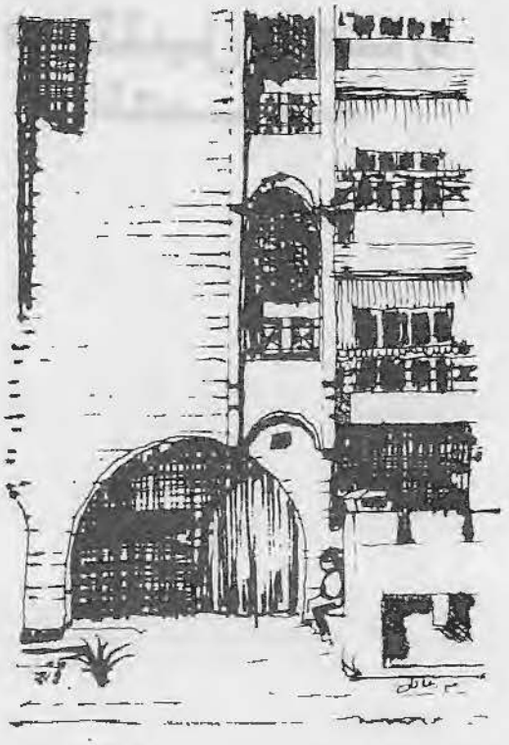

عمارة سكنية بمدينة نصر من أعمال مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية .

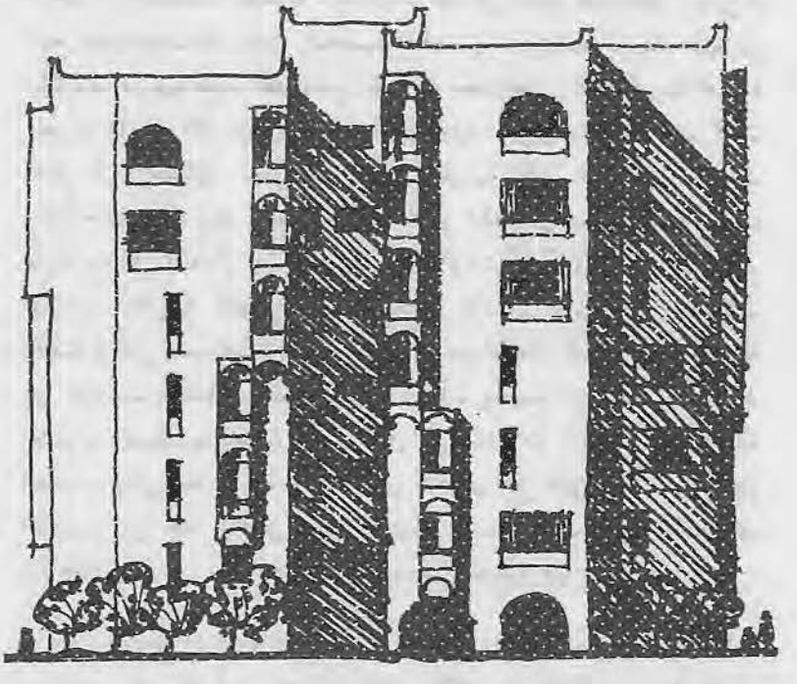

مدينة النورس – من أعمال مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية

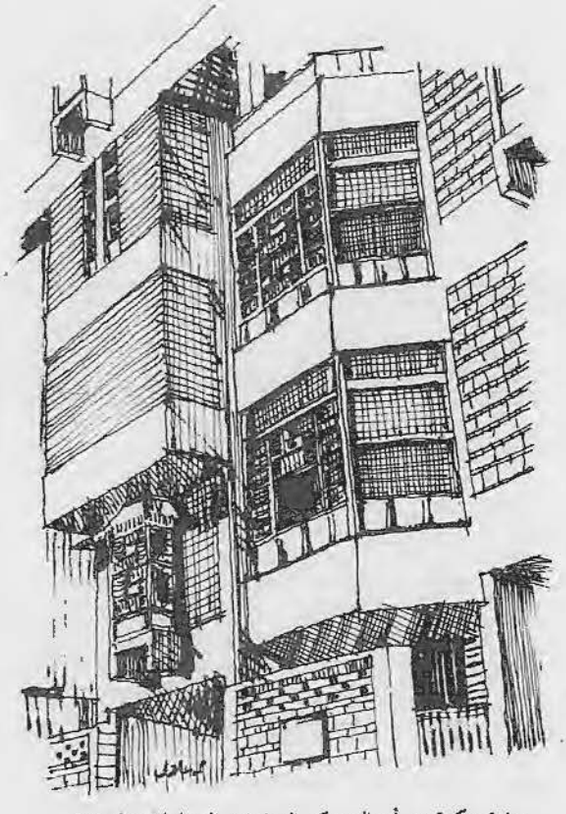

عمارة سكنية من أعمال مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية

مستقبل العماره المصريه

يتضح من التتابع التاريخى للحضارات التى مرت بها مصر أن الانسان المصرى كان دائماً يختزن القيم الحضارية التى تتفجر عندما تساعدها الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية على أن تتفجر وتختزن عندما تخبو هذه الظروف .. وهذا هو سر الاستمرارية الحضارية للانسان المصرى . فإن الفترة التاريخية الطويلة التى مر بها الانسان المصرى صعوداً وهبوطاً ، وتعرض فى بعضها لفترات من التطور الحضارى ، كما تعرض فى بعضها الآخر لأزمات طاحنة ، الأمر الذى ساعد على تمرسه فى مواجهة كافة الظروف ، ويتفاعل معها إما بالعطاء والإبداع فى فترات أو بالتقوقع عندما تهب رياح الجزر . وهكذا فإن مستقبل العمارة المصرية يرتبط بمستقبل الانسان المصرى الذى يحدده مستقبله السياسى والاقتصادى والاجتماعى . فالعمارة فى النهاية هى المرآة التى ينعكس عليها هذا المستقبل .

لقد كانت معدلات التغير الحضارى قبل الثورة الصناعية بطيئة لبطء وسائل الاتصال بين الشعوب ، الأمر الذى يتيح للدول أن تتعامل مع ظروفها ومشاكلها على فترات زمنية أطول ، تتيح للإنسان أن يتفاعل فى أثنائها مع الأحداث والتقلبات الحضارية ، وأن يستوعب فى اثنائها خصائصها ، ومن ثم تتيح للمجتمعات أن تتبلور شخصيتها الحضارية ، وتهضم ما يفد عليها من مؤثرات خارجية مع ما تختزنه من مقومات حضارية . ولذلك تميزت العمارة المصرية على مر الأزمان وارتبطت بالبيئة المحلية جغرافياً وثقافياً ، وإن كانت تحمل فى أحشائها بعض المؤثرات الخارجية التى صاحبت الغزوات والفتوحات . أما وقد زادت معدلات التغير الحضارى بسرعة كبيرة بسبب سرعة وسائل الاتصال بين الشعوب ، فإن الوقت أصبح لا يساعد على هضم المؤثرات الخارجية المعاصرة مع ما يختزنه الانسان المصرى من المقومات الحضارية التى يستمدها من تراثه العريق ، ومع الانتقال السريع للعلم والمعرفة بين الشعوب اختلطت القيم الحضارية بينها ، وأصبح من الصعب احتفاظ الشعوب بخصائصها الحضارية المميزة فى ظل المعاملات الاقتصادية والسياسية العالمية ، والتى يغلب فيها تأثير القوى الكبرى على القوى الأصغر والعالم الثالث . من هذا المنطلق يمكن استبيان المستقبل السياسى والاقتصادى والاجتماعى لمصر .. ومن ثم استبيان مستقبل العمارة فيها .

إنه من الواقع أن معدلات التطور الاقتصادى والتكنولوجى فى الدول النامية ومنها مصر تقل كثيراً عن معدلات التطور الاقتصادى والتكنولوجى فى الدول المتقدمة إن لم تكن تابعة لها . ولذلك فإن استمرار هذه الهوة السحيقة بين الدول النامية والدول المتقدمة اقتصادياً وتكنولوجياً ، سوف يساعد على استمرار التبعية الاقتصادية والتكنولوجية للدول المتقدمة بصورة أو بأخرى .

ومن الواقع أيضاً أن قوة التأثير الاقتصادى والتكنولوجى للدول المتقدمة فى الدول النامية تصحبه قوة تأثير سياسى واجتماعى وثقافى قد يقلب الموازين التراثية والحضارية المختزنة فى هذه الدول النامية إن لم تتصد لها سياسياً واقتصادياً ليس بهدف منعها ولكن بهدف تقنينها حتى تتيح الدول النامية لنفسها الفرصة لاستيعاب المنجزات التكنولوجية للدول المتقدمة وتحويها فى إناء مقوماتها التراثية والحضارية . ومن الواقع أيضاً أنه كلما امتدت الجذور الحضارية لدولة فى عمق الزمن كلما صعب اقتلاعها . وإذا كان من الممكن توقفها عن النمو فترة إلا أنها حية من داخلها ، ويمكنها أن تنبت مرة أخرى إذا ساعدتها الظروف المناخية على ذلك . وهذه هى الثوابت البيئية والثقافية للانسان المصرى كما هى الثوابت البيئية والثقافية للعمارة المصرية .

وقياس مستقبل العمارة فى مصر يعتمد على قياس المستقبل السياسى والاقتصادى والثقافى وارتباطه بالمؤثرات الخارجية ، فإن استمر الفكر الأجنبى هو المستشار فى توجيه المشروعات العمرانية فإن الشخصية المعمارية المصرية سوف تستمر تستقى مقوماتها من الخارج وتفقد العمارة المحلية شخصيتها تدريجياً ، بل ويفقد المعمارى المصرى كيانه المهنى والعلمى كما هو واقع . وإذا استمر الفكر الأجنبى هو المرجع العلمى فى تكوين المعمارى المصرى فإن بناء شخصيته المحلية سوف تستمر معلقة بالقيم الغربية ، وتفقد ما ينتجه من عمارة لها جذورها وأصالتها . وإذا استمر الإنتاج الأجنبى فى صناعة البناء هو المصدر الرئيسى لعمليات البناء فى مصر ، دون توافق مع الظروف والامكانيات المحلية اقتصادياً وعملياً ، فإن العمارة المصرية سوف تستمر تعتمد على ما ينتجه الغرب وهو الأقدر اقتصادياً وتكنولوجياً . وإذا استمرت الثقافة الأجنبية تنخر فى عظام الثقافة المصرية بما فى ذلك الثقافة المعمارية ، فإن القيم الاجتماعية الدخيلة سوف تشكل المتطلبات المعيشية ومن ثم تشكل أغلفتها المعمارية . من هنا فإنه من الصعب فصل مستقبلية العمارة المصرية عن المستقبلية السياسية والاقتصادية والثقافية للدول ككل .

تشير كل الدلائل القائمة على أن مستقبل العمارة المصرية سوف يرتبط بالفكر الغربى فترة طويلة من الزمن وإن ظهرت فى الوقت الحاضر دعوات جادة لتأصيل هذه القيم ، ولكن صدى هذه الدعوات لا يزال فى محدودية المتخصصين ، ولم تنتقل بعد إلى المستوى الشعبى لتؤثر فى الرأى العام ، ومن ثم تؤثر فى متخذى القرارات فى هذا المجال . والثقافة المعمارية الجماهيرية هى أساس لتحريك الفكر عند العامة حتى يؤثر بالتبعية على القيادات السياسية أو متخذى القرارات . فالمشاكل الاقتصادية التى تنوء بها الدولة تضعها فى موقف المتطلع إلى المعونات المالية والفنية الأجنبية التى تنتقل بعد ذلك بدورها فى قوالب معمارية لتشكل البيئة الحضارية للانسان المصرى ، خاصة وأن هذه المعونات لا تسعى إلى الارتقاء بالمستوى الفنى أو الادارى والتنظيمى للانسان المصرى ، مع أن بناء الانسان هو أجدى من الناحية الاقتصادية البعيدة المدى من بناء المشروعات ، الأمر الذى يتطلب موازنة اقتصادية لهذه المعونات بحيث تعمل على بناء الانسان المصرى فى صورة متوازية مع بناء المشروعات العمرانية . من هذا المنطلق يستطيع المعمارى المصرى أن يجد طريقه إلى

استيعاب المنجزات التكنولوجية فى البناء ويوفقها للبيئة الطبيعية والثقافية المحلية لتنتج عمارة مصرية فى تراثها معاصرة فى بنائها . هذه هى المعادلة الصعبة التى تتطلب فكراً سياسياً أو حضارياً قبل أن يكون فكراً معمارياً أو فنياً .

تشير الدلائل القائمة أيضاً على أن مستقبل العمارة المصرية سوف يرتبط بنظم البناء والتخطيط وتقسيم الأراضى السائدة فى مصر . فقد صدر قانون التخطيط العمرانى عام ١٩٨٢ ، وحتى عام ١٩٨٥ م لم تتكون له الأجهزة القادرة على تنفيذه ، ولم تعد له الكوادر اللازمة لهذه الأجهزة ، مع أن دلائل الأعمال التخطيطية قد أعدت مع اعتماد الهياكل التنظيمية للأجهزة التخطيطية بالمحافظات ، ومع أن نظم البناء تسرى على تقسيمات الأراضى الجديدة ولا تنطبق على المشروعات المعمارية المتكاملة ، إلا أن الفكر المعمارى والتخطيطى السائد يلتزم بنظم البناء المستوردة من الخارج ، وهى النظم التى لا تساعد على انتاج عمارة محلية لها شخصيتها البيئية والثقافية .

تشير الدلائل أيضاً إلى أن مستقبل العمارة فى مصر سوف يستمر مدة طويلة متأثراً بالمناهج المعمارية القائمة فى الجامعات المصرية . فقد ثبت أن التطوير فى هذه المناهج لم يتعد تعديل أسماء بعض المواد ، دون تفصيل للمحتوى العلمى أو برمجته العلمية التعليمية على مدى سنوات الدراسة ، كما أن تبعية التعليم المعمارى للتعليم الهندسى يخضع عملية التطوير إلى العديد من الاجراءات الشكلية فى حدود اللوائح القائمة ، وليست إلى الجوانب الموضوعية فى العملية التعليمية ، وان تنظيم المهنة المعمارية لا يزال تابعاً للمهنة الهندسية بخلاف معظم دول العالم التى تفصل التعليم المعمارى عن التعليم الهندسى ، والتنظيم المهنى المعمارى عن التنظيم المهنى الهندسى . وإذا كانت الدعوة قد بدأت على نطاق ضيق لفصل التعليم المعمارى فى مدارس مستقلة عن التعليم الهندسى ، وكذلك بالنسبة للتنظيم المهنى ، إلا أن هذه الدعوة تحتاج إلى دفعات قوية من داخل التنظيمات القائمة لإيصالها إلى حيز التنفيذ .

الظروف البيئية التى شكلت عمارة الجزيرة العربية

بالرغم من تقسيم الجزيرة العربية إلى ممالك ودول وإمارات فهى تشكل كياناً حضارياً متجانساً شاهد أحداثاً تاريخية أثرت على مجرى التاريخ ، وترجع فى جذورها البشرية إلى أصل واحد وتضم شبه الجزيرة العربية كل من المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية والكويت وقطر والبحرين وعمان واليمن الشمالية والجنوبية ، وإذا كانت شبه الجزيرة العربية تمثل كياناً حضارياً متجانساً فهى تختلف جغرافياً فى أجزائها ، وهنا تتأثر عمارة الجزيرة العربية بالوحدة الحضارية للمنطقة كما تتأثر بالبيئة الطبيعية لأجزائها المختلفة ، وتتمركز حضارة الجزيرة العربية على الأطراف الساحلية للجزيرة شرقاً وغرباً وجنوباً الأمر الذى يبين اتجاهات التبادل الحضارى مع العالم الخارجى فى العراق وفارس والهند شرقاً وأفريقيا جنوباً ومصر والشام غرباً . استمر قلب الجزيرة العربية الصحراوى فى صورته البدوية فترة طويلة من الزمن ، وفى أوائل الأربعينيات ظهرت فى دول المنطقة ثروة بترولية هائلة أثرت على مجرى الاقتصاد فى العالم وعلى حركة التعمير فى الداخل ، فكما كانت المنطقة مهداً للرسالات السماوية وشهدت فى القرن السابع الميلادى منبع الاسلام بقيمه الحضارية السامية التى تصلح لكل زمان ، شهدت فى القرن العشرين تفجر البترول بقيمته المادية الكبيرة . وسكان الجزيرة العربية تتحد أصولهم الحبشية ؛ كما شهدت الجزيرة حركة استيطانية كبيرة من جراء الهجرة من بلاد اليمن إلى الشمال والشرق ، فى أعقاب انهيار سد مأرب ، هذا بالاضافة إلى وجود نقطة الالتقاء الاسلامى فى الأراضى المقدسة والتى جذبت إليها المسلمين من كل أنحاء العالم ، واستقر منهم من استقر من شعوب الشرق والغرب ونقلوا معهم بعضاً من عاداتهم وتقاليدهم التى انصهرت فى المجتمعات المحلية .

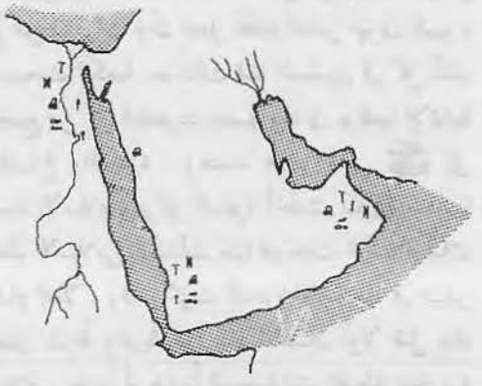

خريطة توضح معالم الحضارة المشتركة بين مصر والجزيرة العربية
T خنجر ذو رمانة هلالية ٢٥٠٠ ق.م
H خنجر ذو زوايا ناتئة ٢٠٠٠ ق.م
قيثارة ٢٠٠٠ ق.م
حيوانات مرسومة
نمط العظابة

لقد شهدت المنطقة حضارات متتالية ارتبطت بظهور الرسالات السماوية والأنبياء ومنهم « ثمود » قوم النبى صالح الذى عمروا الأرض وجاء ذكرهم فى القرآن الكريم على لسان صالح عليه السلام « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وسواكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .. و« ثمود الذين جابوا الصخر بالواد » كان فى ذلك استدلال على ما وصل إليه الثموديون من براعة وتقدم فى وسائل البناء والتشييد تشهد على ذلك آثار مدائن صالح شمال المنطقة الغربية من الجزيرة العربية والتى تحمل ملامح معمارية كان لها تأثيرها على العمارة اليونانية والرومانية بعد ذلك ، وبدأت العمارة الأولى فى الجزيرة تتفاعل مع البيئة الجغرافية سواء بالبناء نحتاً فى الجبال أو باستعمال أحجارها فى البناء فى السهول والوديان . كما تأثرت الجزيرة بعد ذلك بثلاث حضارات من حولها ، امبراطورية الفرس فى الشرق وقد تركت آثارها الحضارية فى المناطق الشرقية من

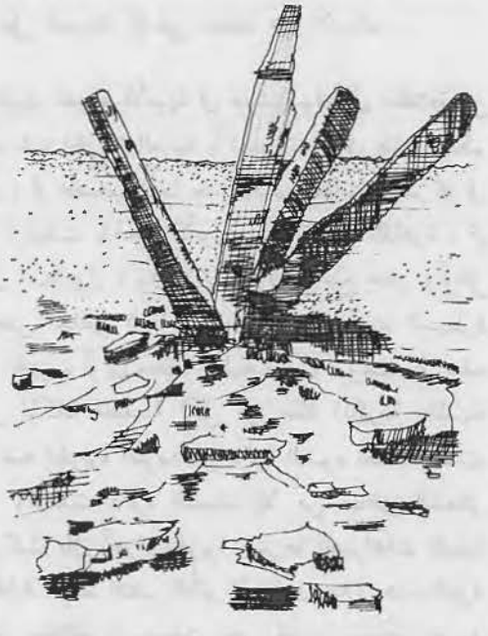

- أعمدة الرجاجيل .

الجزيرة ، وامبراطورية الروم فى الشمال ومن خلالها دانت بعض القبائل بالمسيحية ، ثم الأحباش فى الجنوب والغرب حيث كان التأثير بعمارة أفريقيا فى سهول اليمن وعسير حتى الوقت الحاضر . .

كان أول بيت وضع للناس هو الكعبة الشريفة التى تعتبر رمزاً للتجمع الاسلامى حول هدف واحد ورب واحد ، وتعود الحياة المستقرة المعاصرة فى هذا المكان إلى زمن سيدنا ابراهيم أبى الأنبياء حيث أسكن من زريته الأرض الجرداء ودعا ربه أن يرزقهم من الثمرات وأن يجعل أفئدة الناس تهوى إليهم ، وقد استجاب الله لدعائه وأصبحت الكعبة بعد ذلك قبلة المسلمين فى كل أنحاء العالم ومكة المكرمة محط الحجيج من كل الشعوب ينصهرون فى بوتقتها الإيمانية ويتبادلون العلم والمعرفة والمصالح والتجارة ، وعندما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة ليقيم فيها عاصمة الاسلام ومركز الدعوة أخذت المدينة مكانتها الثانية بعد مكة المكرمة فى العالم الاسلامى ، فبدأت منها فتوحات الاسلام لبلاد فارس شرقاً ومصر غرباً والشام شمالاً ، وقد ركزت الدعوة الاسلامية فى صدر الاسلام وانتشارها فى الأمصار شرقاً وغرباً على بناء الانسان أولاً قبل بناء العمران ، ولم يكن المد الاسلامى غازياً أو هادماً للحضارات المحيطة بالجزيرة العربية بل كان هادفاً لتنقيتها من الشوائب التى تعارضت مع قيم الدين الحنيف ، فكانت قوة الدولة الاسلامية فى قوة بناء الانسان المسلم الملتزم بتعاليم الحق سلوكاً وعملاً ومعاملة ونظاماً وعبادة ، فلم تكن قوة الإسلام فى بناء العمران بقدر ما هى فى قوة بناء الانسان ، لذلك لم تشهد فترة صدر الاسلام صروحاً معمارية فكان البناء معبراً عن المسلم فى بساطته وطهارته ، فى تواضعه ونقاء سريرته ، فى تكامله ومساواته ، فى صدق تعبيره ووسطية شئونه بلا إسراف أو تقتير ، فى جهده الذاتى وتعاونه فى المجتمع .. وهى قيم إنسانية انعكست على العمران كما انعكست على الانسان فى هذه الفترة من تاريخ المجتمع الاسلامى ، ويمكن أن يكون فى ذلك مدخلاً للنظرية الاسلامية فى العمارة فهذه القيم يمكن تطبيقها على العمران كما هى مطبقة على الانسان .

مع الأحداث التى واكبت الدولة الأموية فى دمشق وانتقال الخلافة من المدينة المنورة إليها أصبحت شبه الجزيرة العربية بأكملها تدور فى فلك الحكم الأموى المتمركز فى دمشق ، ثم خضعت فيما بعد للحكم العباسى المتمركز فى بغداد ، ثم فى أجزاء منها ارتبطت بالحكم الأيوبى المتمركز فى القاهرة ، ثم بالحكم العثمانى المتمركز فى اسطنبول ، وفى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وقعت بعض المناطق الساحلية من الجزيرة تحت السيطرة البريطانية سواء فى عدن فى الجنوب أو فى منطقة الخليج العربى ؛ وتمت كل هذه الأحداث مع المحافظة على المكانة المقدسة لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهكذا خرجت شبه الجزيرة العربية من دائرة الضوء بعدما انتقلت الخلافة من المدينة المنورة ودخلت دائرة النسيان إلا من مناطق الشعائر الاسلامية فى الحجاز ، وتركت باقى أجزاء الجزيرة مسرحاً للصراعات القبلية أو الطائفية التى وصفت بالمحلية ، وقد اقتصر التأثير المعمارى خلال هذه الفترة التاريخية الطويلة منذ انتقال الخلافة إلى دمشق حتى قامت المملكة العربية السعودية على تطوير بعض أجزاء الحرم المكى أو الحرم النبوى ، فقد حاول عدد

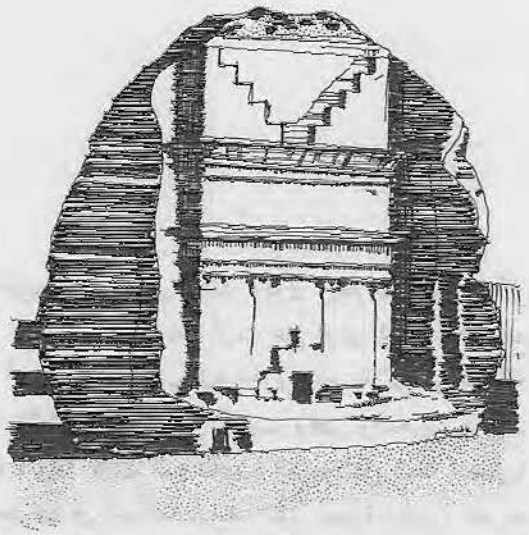

- مدائن صالح .

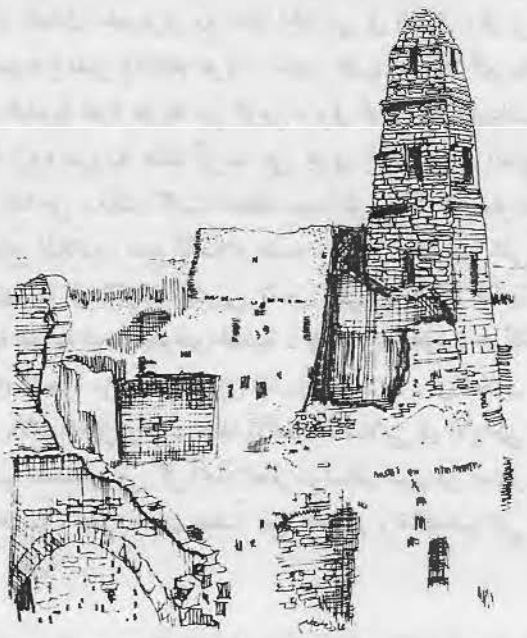

مئذنة جامع عمرو : مبنية كاملة
من الحجر بدون مونة (دومة الجندل) .

باب مكة

- نموذج نمط الإسكان فى المنطقة الشرقية ، والتأثر بالطابع الفارسى .

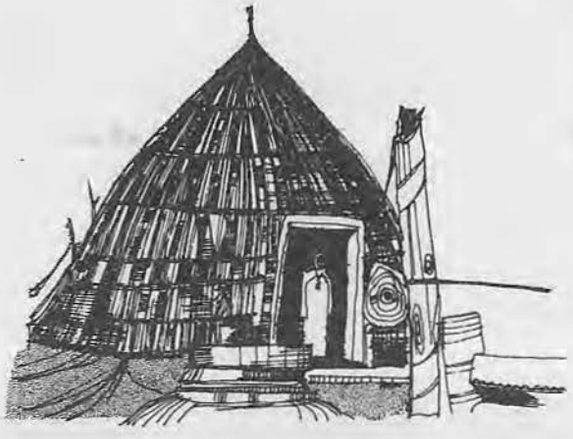

- نمط الإسكان غير التقليدى فى نجران حيث يتخذ
المسكن شكل الأكواخ الأفريقية

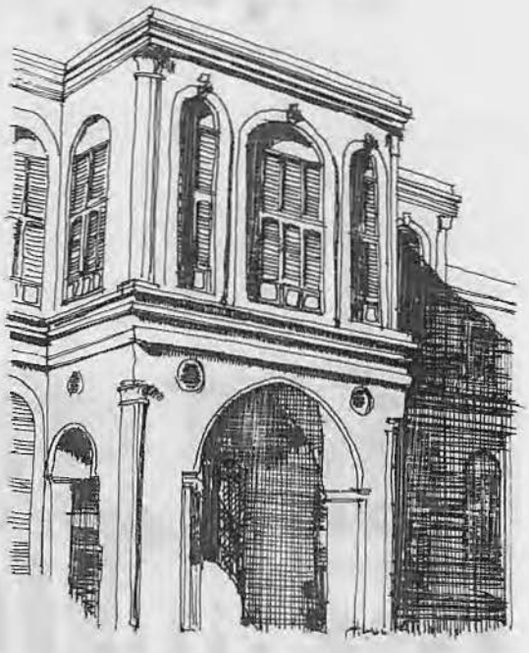

- نموذج من التأثر بعمارة البحر المتوسط

- المساكن التقليدية فى الطائف .

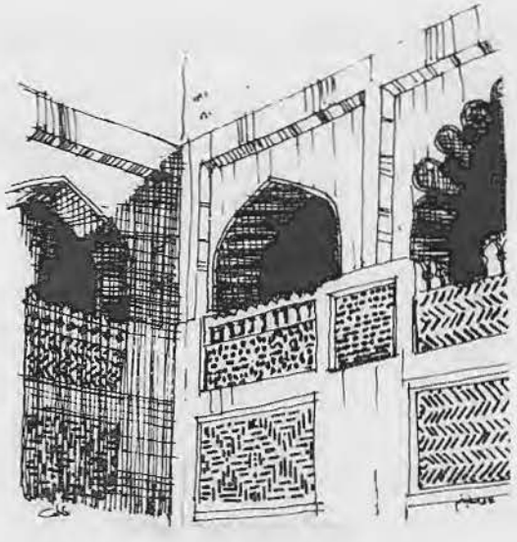

- مسكن فى القطيف ، وتظهر فيه الزخارف
الخشبية على الفتحات ذات الطابع الفارسى .

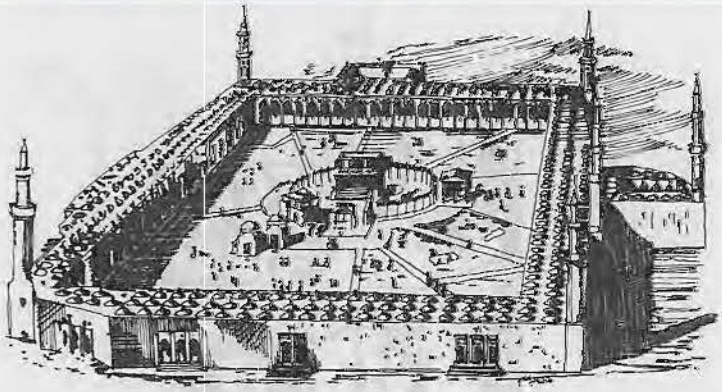

رسم قديم للحرم المكى

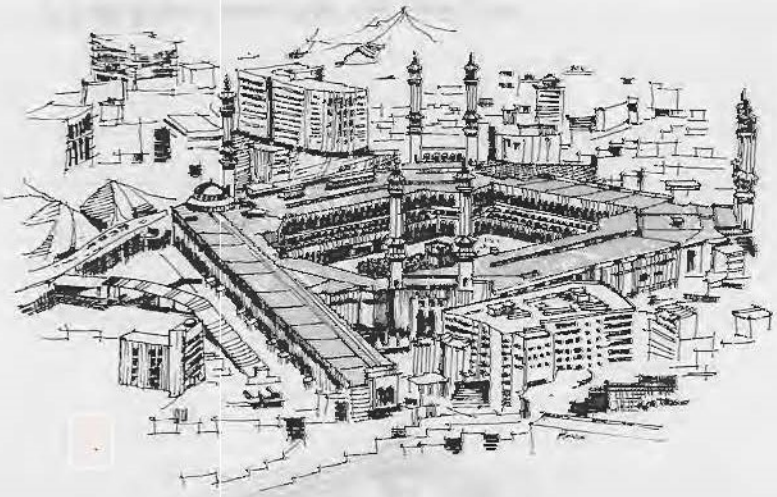

- الحرم المكى بصورته الحالية .

- الواجهة الخارجية لمسجد الرسول .

من الخلفاء إضفاء بعض التحسينات أو الاضافات على كل من الحرمين ، ولم يمتد هذا التأثير المعمارى خارج هذا النطاق إلا فى قليل من المبانى التى أنشئت فى المدن الرئيسية بالحجاز وبالأخص مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة حيث ظهرت آثار الأنماط المعمارية التركية بصورة أوضح فى المبانى السكنية ، وكان استعمال مادة الخشب فى الجسور والأسقف والدعامات نظراً لعدم توفر غيرها من وسائل الانشاء ، وإذا كانت الأحجار قد استعملت فى البناء فى مكة المكرمة إلا أن الأحجار التى استعملت فى البناء فى مدينة جدة كانت من النوع الرسوبى البحرى الأضعف تكويناً . كما شاهدت منطقة الحجاز أيضاً العديد من الملامح المعمارية المتاثرة التى انتقلت مع الصناع من المهاجرين الذى استوطنوا البلاد بعد رحلات الحج الطويلة ، كما انتقلت إليها العديد من العادات والتقاليد ، بل ومن الملامح الشكلية ، فكان الحج إلى بيت الله الحرام هو المحرك الوحيد للمسلمين من كافة أنحاء العالم الاسلامى إلى واد غير ذى زرع اتصف بقسوة المناخ وقسوة المكان ، كما اتصف بالتجرد والقدسية وهى خصائص تناسب المتعبدين والمقبلين على الله سبحانه وتعالى ، فلم تكن فيها انسياب الأنهار والوديان وجمال المناخ والمكان الذى تميزت به مراكز الخلافة الأموية فى دمشق أو العباسية فى بغداد أو الأيوبية والمملوكية فى القاهرة أو العثمانية فى اسطنبول ، وهى خصائص بيئية ساهمت فى الخروج عن العديد من القيم الإسلامية للإنسان ، وبالتبعية الخروج عن العديد من القيم الاسلامية للعمران .

عادت الجزيرة العربية إلى دائرة الضوء مرة أخرى فى بداية القرن العشرين ، وذلك بقيام دولة موحدة وانهاء الصراعات القبلية والطائفية فى مملكة الحجاز أو إمارات حائل والقصيم والقطيف والاحساء ودخولها جميعاً تحت حكم واحد أسسه الملك عبد العزيز آل سعود وتحت راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ودستوره القرآن الكريم ، استقلت عنها دويلات الخليج العربى فى قطر والبحرين والكويت والامارات العربية وعمان واليمن وإن كانت قد ارتبطت بها حضارياً واقتصادياً واجتماعياً وأصبحت المملكة العربية السعودية هى أكبر دول الجزيرة والأكثر تأثيراً فى أحداثها وتطورها . ودخلت عمارة الجزيرة العربية بعد ذلك مرحلة جديدة من مراحل تطورها فبدأت كل دولة تسعى إلى قيام النظم الادارية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بها ومن ثم بناء المشروعات العمرانية فى المدن والقرى (الهجر) ، لقد بدأت عمارة الجزيرة فى بدايتها فى الماضى على مادة البناء الأولية الموجودة بها وهى الطين والرمل مع استعمال الأخشاب فى الأسقف والنوافذ وقد انعكست هذه المادة على التعبير المعمارى لعمارة الصحراء ، فكانت المبانى لا تزيد عن دورين فيما عدا مدن الحجاز حيث توفر الحجر فى البناء ، كما انعكست مادة البناء أيضاً على نظام البناء والفتحات وما ارتبط بها من تشكيلات لحماية الحوائط من مياه الأمطار الموسمية التى تكثر فى الجنوب وتقل فى الشمال ، واتجهت عمارة المساكن والقصور إلى الداخل حيث الأفنية التى تحيطها المبانى من كل جانب حماية لها من قسوة الصحراء وتأكيداً للتماسك الاجتماعى على مستوى الأسرة أو القبيلة أو الهجرة أو المدينة وذلك فى كتل عمرانية متماسكة تعبر عن هذا التماسك الاجتماعى ، وكانت المدن تحاط بأسوار من الطين كوسيلة دفاعية يدخل منها إلى المدينة عن طريق بوابات رئيسية ، وما أن بدأت حركة التعمير وظهور

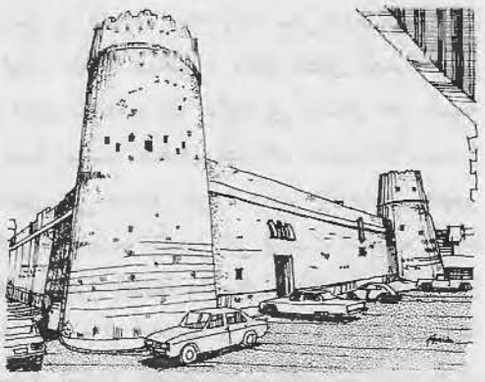

- حصن المصمك فى الرياض .

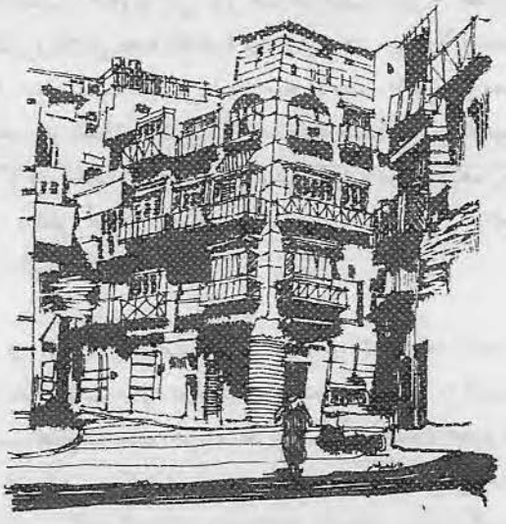

- منزل تقليدى فى جده .

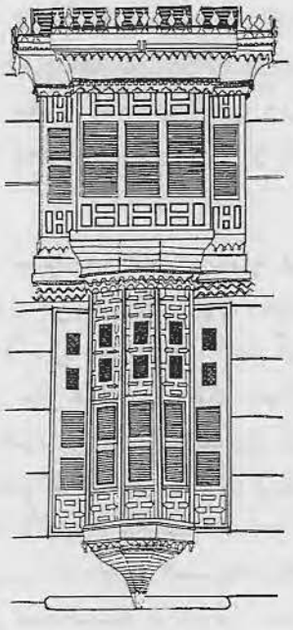

- الروشان التقليدى .

البترول فى نهاية الأربعينات حتى بدأ العمران يزداد ويمتد حتى هدم الأسوار فى طريقه وإن أبقى على البوابات كآثار للماضى ، وهنا انطلق العمران على الأراضى الصحراوية خارج المدن القديمة وكان الاتجاه إلى الشمال هو السمة الظاهرة فى امتدادات هذه المدن بسبب استقبال الظروف المناخية الأنسب ؛ ويمكن اطلاق اسم عمارة الطين على عمارة الجزيرة فى مرحلة ما قبل ظهور البترول فهى فى الواقع امتداد رأسى لطبيعة الأرض التى فرضت أساليب خاصة لطرق بناء الحوائط السميكة والبحور الضيقة والأسقف الخشبية والاتجاه إلى الداخل مع قلة الفتحات على الخارج أو انعدامها فى كثير من الأحيان ، وإذا كان الطين هو المادة الأساسية فى البناء فى الصحراء فإن التعبيرات المعمارية قد اختلفت من منطقة إلى أخرى تبعاً لظروفها المناخية ، فنجد عمارة عسير حيث غزارة الأمطار تتميز بالبلاطات الحجرية التى تبرز منها مداميك متقاربة حفاظاً على مادة الطين من الأمطار وتتلاشى هذه الظاهرة فى عمارة نجد حيث لا يوجد إلا بروزات مثلثة مع كل دور للمساعدة على ابعاد مياه الأمطار الأقل ، ونمط العمارة الصحراوية فى نجد هو انعكاس طبيعى لاحتياجات السكان وعلاقاتهم وتركيباتهم الاجتماعية ، كما هو انعكاس لمادة البناء ، وهى صورة متقاربة لعمارة الصحراء فى غيرها من مناطق أفريقيا الصحراوية ، عمارة تعبر عن الواقع الاقتصادى والاجتماعى والدينى للسكان .

ومع ظهور البترول فى نهاية الأربعينات وأوائل الخمسينات ، وما ارتبط بذلك من اتصالات خارجية حملت معها مؤثرات اقتصادية واجتماعية ما لبثت أن انعكست على الكيانات العمرانية لمدن الجزيرة العربية ، بدأت عمارة الجزيرة تدخل مرحلة الانفتاح على الغرب كعميل أساسى للثروة البترولية ، من هنا دخلت القيم الغربية لتحول من النمط المعمارى والتخطيطى للمدن ، وإن كانت هذه القيم قد هزت القيم العمرانية المحلية هزاً عنيفاً ووجهتها وجهة أخرى إلا أنها لم تستطع أن تهز من القيم الاسلامية للانسان الذى احتفظ بكل هذه القيم التى توارثها على مر الشعوب الاسلامية فى الجزيرة ، وهنا دخل انسان الجزيرة العربية مرحلة الموازنة بين التكنولوجيا والمتطلبات المعاصرة والقيم والعادات الموروثة ، من هنا ظهرت العمارة المنعدمة الشخصية لا هىَ أوربية القالب أو هى عربية التعبير ، وهذه صورة عامة انعكست على كل أوجه الثقافة فى المنطقة .

دخلت الأنماط المعمارية الجزيرة العربية بعد الطفرة البترولية فيها وحركة الهجرة المكثفة إليها عن طريقين ، الأول عن طريق المشروعات الكبرى للعمارة الرسمية والتى استأثر بها المعمارى الأجنبى الذى لم يجد أمامه أى محددات اقتصادية أو أى قيود فنية ، فانطلق بكل ما لديه من فكر معمارى وانجاز تكنولوجى ليصمم هذه الصروح الكبيرة من الأعمال المعمارية التى شهدتها المنطقة فى العمارة الرسمية مثل البنوك والفنادق والمبانى العامة ومبانى السيادة ومبانى الخدمات مستخدماً العمالة الأجنبية ، وتُركت الساحة للمعمارى الأجنبى يصول فيها ويجول حتى وصفت أحد المجلات المعمارية المنطقة كملعب للعمارة يمارس فيه كل معمارى أجنبى لعبته المفضلة . وكان دور المعمارى المحلى فى هذه العملية محدوداً بمحدودية خبرته فى الدراسة والتقويم أو الادارة

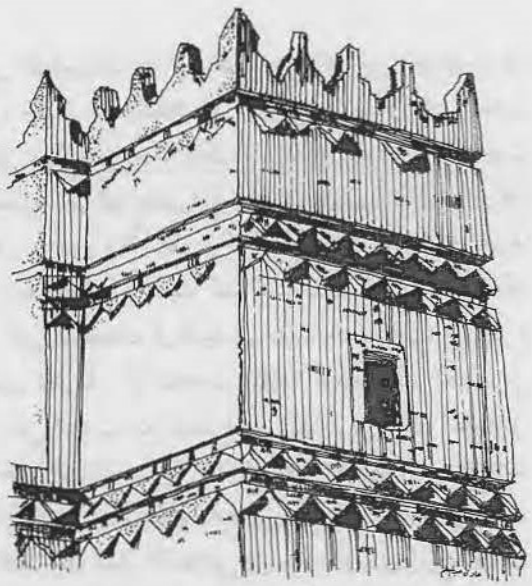

- النمط المميز للعمارة النجدية - الرياض

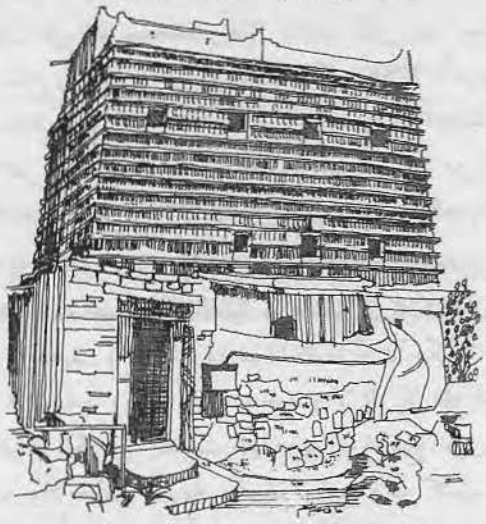

- النمط المميز لعمارة المساكن التقليدية فى منطقة عسير ، ويظهر أسلوب الإنشاء بالطين بمداميك من كسر الأحجار .

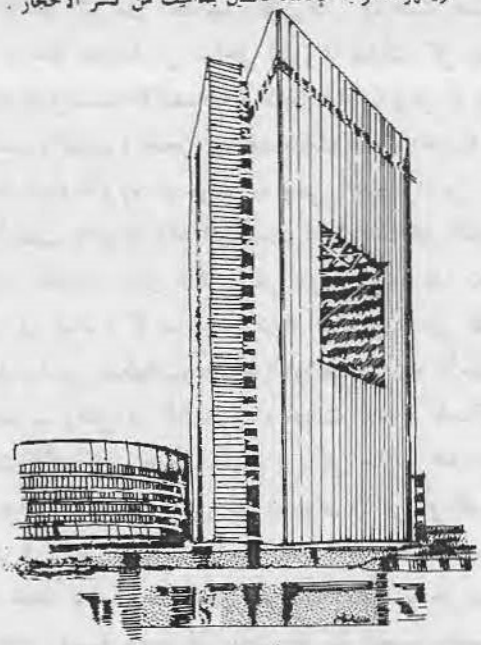

- بنك جده .

– عمائر متعددة الأدوار للإسكان السريع فى المنطقة الشرقية فى الدمام .

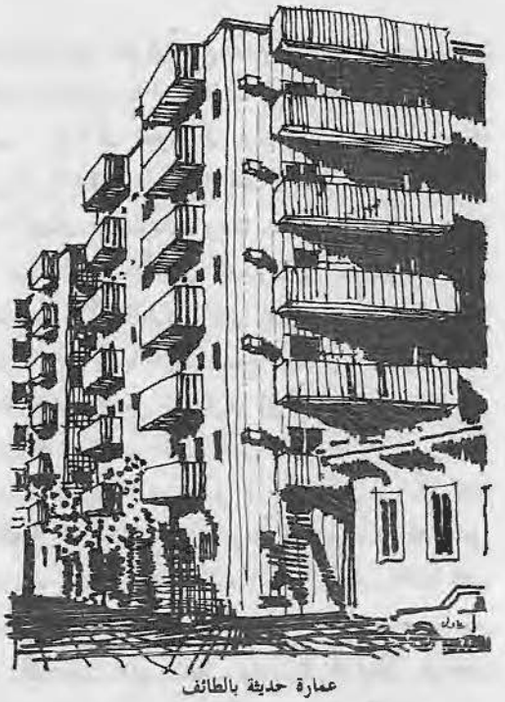

عمارة حديثة بالطائف

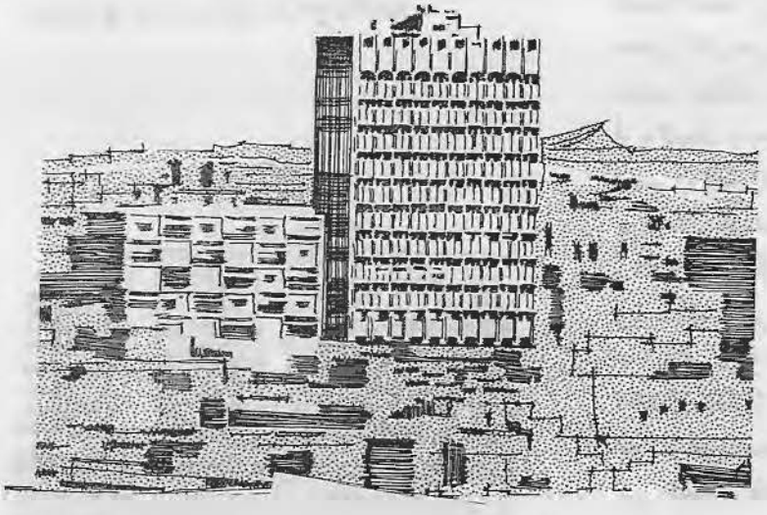

مبنى إدارى متعدد الطوابق يرتفع وسط المساكن التقليدية فى الرياض .

الإسكان الحديث فى جدة

● مساكن العاملين فى شركة أرامكو الأمريكية بالظهران

– مسجد حديث فى الرياض

والتنظيم ، وهى محددات بدأت تقل تدريجياً مع تقدم الخبرة المحلية واستيعابها لتكنولوجيا العصر أو الفكر المعمارى بها أو الوقوف فى مواجهة هذا الطوفان الحضارى القادم من الغرب ، فإما أن يحاول أن يصده وإن لم يستطع جرفه وابتلعه ، ويعتمد ذلك على قدرة الخبرة المعمارية المحلية ومدى نضوجها علمياً وعملياً فى توجيه مجرى الأعمال المعمارية ، وهذا ما ظهر أخيراً فى جدة بالمملكة العربية السعودية حيث تخضع الأعمال المعمارية إلى التوجيهات العامة للمسئولين فى الأمانة والبلديات . أما الطريق الثانى لدخول الأنماط المعمارية فهو من خلال العمارة الشعبية التى يبنيها أفراد المجتمع سواء فى مساكن خاصة أو عمارات سكنية ، وهنا يخضع العمل المعمارى إلى العديد من المؤثرات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لصاحب المبنى الذى كثيراً ما يفرض رغباته على المعمارى المحلى أو المعمارى العربى الذى يعمل فى هذا المجال ، ويأتى هذا الفرض مرتبطاً بالمستوى الثقافى لصاحب المبنى هبوطاً أو صعوداً ، وقد دخل المنطقة العديد من المعماريين من الدول المجاورة للعمل مع المكاتب المحلية التى تتعامل أكثر مع العمارة الشعبية . وهنا ينتقل النمط المعمارى فى تفاصيله من خلال هؤلاء المعماريين القادمين من مصر وسوريا أو لبنان أو الهند أو باكستان ، وهى البلاد التى ترد منها أيضاً نسبة كبيرة من العمالة الفنية التى تعمل فى المجال المعمارى ؛ ويمكن للخبير أن يقرأ أصول العمارة المحلية الحديثة من خلال الأنماط التصميمية التى تملأ الساحة المعمارية فى الجزيرة العربية ، وباختلاف المتطلبات الاجتماعية والمستويات الثقافية لأصحاب العمارات ، وباختلاف القدرات الفنية والتعبيرية للمعماريين وباختلاف نوعيات العمالة فى هذا المجال ، ازدحمت المدن فى الجزيرة العربية بخليط غريب من الأنماط المعمارية وفقدت العمارة المحلية جذورها الاجتماعية والبيئية ، وطغت العمارة المادية المصنعة على العمارة الانسانية كنتيجة طبيعية لطغيان الماديات على الروحانيات التى اقتصرت فقط على العبادات والمعاملات .

استمرت العمارة الصحراوية فى الهجر والقرى فترة طويلة من الزمن إلى أن زادت حدة الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن الجديدة حول موارد الثروة البترولية أو الموانى أو العواصم ، الأمر الذى نتج عنه فقدان للتوازن فى التركيب السكانى لهذه القرى ومن ثم فى التركيب العمرانى الأمر الذى بدأت فيه العمارة الصحراوية تفقد سكانها ومن ثم تفقد ذاتها ، فتركت معظمها أطلالاً تبحث عن من يعيد إليها ماضيها ، وبعد فترة من الزمن عندما تكثفت الحركة الاقتصادية والتعميرية فى المراكز والمدن الرئيسية بدأت الدعوة للعودة إلى الريف لإيجاد نوع من التوازن مع سكان الحضر ، وانعكس هذا الاهتمام فى توفير الخدمات الريفية مع تنمية الموارد الاقتصادية الزراعية ، والحيوانية ، وحملت هذه الدعوة إلى الريف معها العديد من قيم المدينة ومن ثم العديد من قيم عمارتها المستوردة . فبدأت القرية تتأثر بالأنماط المعمارية الدخيلة عليها بحجة أن العمارة القديمة لم تعد صالحة للعصر بشكلها ومواد وطرق بنائها ، ومع سرعة التنمية المحلية لم تظهر المحاولات التى تبحث عن الأصالة فى المعاصرة أو استيحاء الملامح الريفية المحلية فى العمارة المعاصرة . وهذه الصورة فى الحركة العمرانية تتكرر فى معظم الدول العربية ، حيث ظهر التأثير المتبادل بين عمارة الريف وعمارة الحضر الذى ينتقل مع حركة السكان المتبادلة بينهما .

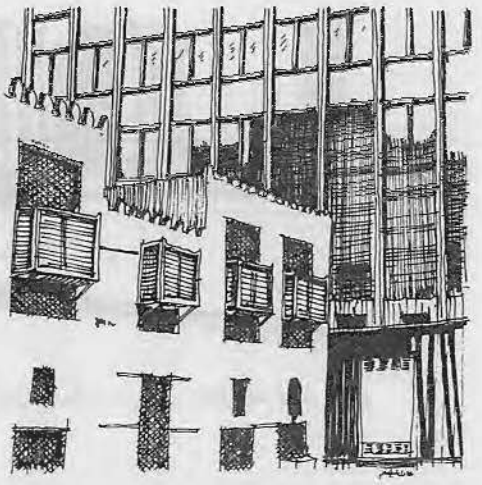

أحد المساكن التقليدية فى جدة وقد احتفظ بطابعه العربى التقليدى إلى جوار مبنى حديث بالزجاج والألومنيوم

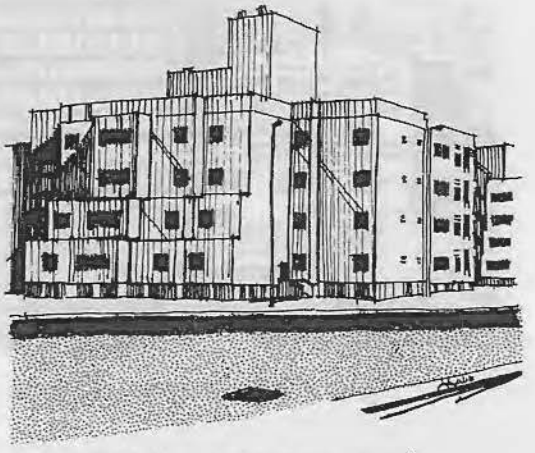

أحد مشروعات الإسكان الجديدة فى الرياض

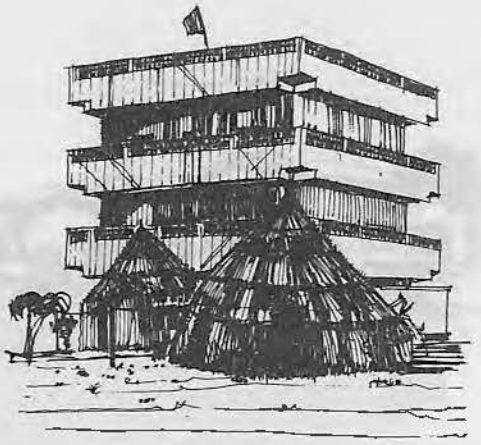

نموذج من السافر العراقى والميدى فى سلطة البراق .

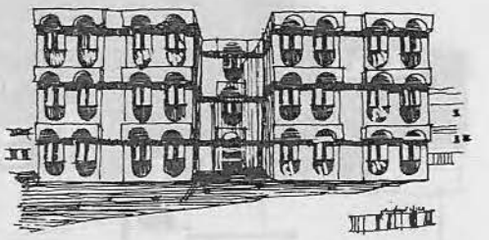

مساكن سابقة التجهيز قامت بانشائها
إحدى الشركات الأجنبية فى المنطقة الشرقية

ومع التوسعات الكبيرة فى مشروعات التعمير المخططة التى ظهرت بعد حرب ١٩٧٣ م وارتفاع عائد البترول ارتفاعاً كبيراً ، أُقيمت العديد من المستوطنات البشرية والمدن الجديدة بكامل مرافقها وخدماتها العامة ومبانيها الادارية والتجارية والسكنية والرياضية والتعليمية والصحية فى تجانس عام وبتوجيه معمارى موحد . وإذا كانت مثل هذه المشروعات لا تلتزم بقيم التخطيط أو العمارة المحلية إلا أنها قد فرضت اتجاهات تخطيطية ومعمارية معينة تتسم بالتجانس ووحدة الفكر ، الأمر الذى يخفف من وطأة التباينات المعمارية المعاصرة التى ظهرت فى مدن الجزيرة ونقلت معها الفكر المعمارى الأجنبى ومادة وطرق الانشاء المتقدمة والتأثيث الداخلى المستورد ، وفى مجال آخر ظهرت المشروعات الكبرى المتكاملة خاصة مشروعات الجامعات فى المملكة العربية السعودية والكويت وقطر وعُمان وكذلك المدن العسكرية والمجمعات الادارية والتجارية ، الأمر الذى يجعل من مدن الجزيرة العربية كتاباً مفتوحاً للعمارة العالمية المعاصرة منها ما حاول الالتزام ببعض الملامح المحلية بأى شكل من الأشكال ومنها ما لم يلتزم إلا بتصوراته الخاصة .

– مجموعة من المساكن البرجية المميزة .

أما **اليمن** فقد بقيت خارج حركة التعمير الشاملة التى ظهرت فى الأجزاء الأخرى من الجزيرة العربية ، حيث لم يصبها من الثروة البترولية ما أصاب الأجزاء الأخرى . ولم تتأثر إلا بطريق غير مباشر من خلال المعونات المالية التى قدمتها لها الدول البترولية لبناء المدارس والمستشفيات وبعض مشروعات الاسكان ، وذلك من خلال المعماريين والشركات الأجنبية التى كُلِفت بهذه المشروعات . فدخلت اليمن بعد فترة طويلة من حياة العصور الوسطى نوعيات غريبة من العمارة ظهرت على الأطراف الخارجية للمدن . أما المناطق الداخلية للمدن فظلت محتفظة بتراثها المعمارى الذى لم تغيره الأحداث كما لم تغير كثيراً من المقومات الاقتصادية والاجتماعية لهذه المدن ، فاليمن تاريخ عريق منذ دولة (سبأ) التى بنت سد (مأرب) ، فقد واكب حكم بلقيس ملكة سبأ زمن النبى سليمان بالقدس وحكم الأسرتين ٢١ و ٢٢ من الدولة الحديثة بمصر الفرعونية (١٠٨ ق . م) . ثم تعرضت اليمن بعد ذلك إلى هبوط فى الحضارة بعد تهدم سد مأرب فى مطلع تاريخ الميلاد ، وهاجر السكان إلى « ظفار » فى الشرق والجزيرة العربية فى الشمال ، وكانت عمارة هذا العصر نابعة من المتطلبات الدفاعية فأقيمت القلاع مثل قلعة « غمدان » فى القرن الأول قبل الميلاد ، كما كانت نابعة من مواد البناء المتوفرة ومعظمها من الأحجار ذات الألوان المتباينة الأبيض والأسود والأحمر والأخضر وهى مادة البناء التى استمرت حتى العصر الحالى تعطى عمارة اليمن طابعها المميز . ثم تعرضت اليمن إلى دخول النصرانية عن طريق العراق من ناحية والحبشة من ناحية أخرى (٥٢٣ م) ، حيث بنى أبرهة كنيسة « القليس » لتكون مركزاً للقوة السياسية والدينية والتجارية للحبشة (٥٧٠ م) ، وقد أفاض فى عمارتها البيزنطية التأثير مستعملاً النحاس فى الأبواب وخشب الصنط فى الأعمدة المحلاة بالذهب والفضة مع قبة من الألبستر لادخال ضوء الشمس والقمر ، حاول بعدها أبرهة غزو الكعبة فى عام الفيل (٥٧٠ م) وهو العام الذى ولد فيه محمد (ﷺ) حينما اهتز عرش كسرى انشوران فى فارس . الذى أرسل

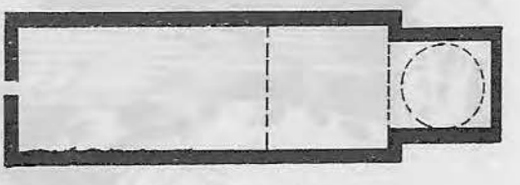

مسقط أفقى/ كنيسة القليس

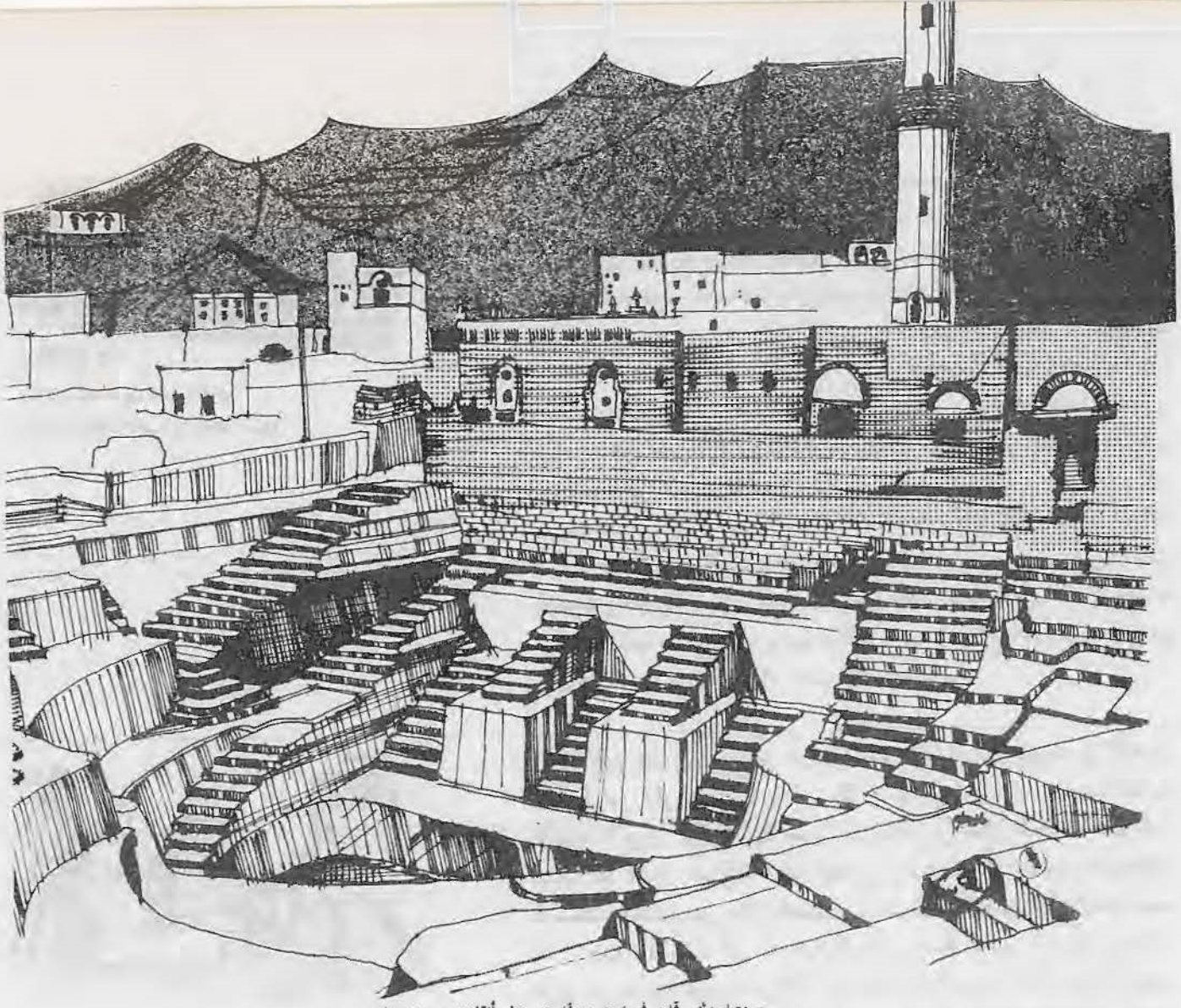

– معبد وثنى قديم فى زبين ، وقد بنى على أنقاضه مسجد جامع .

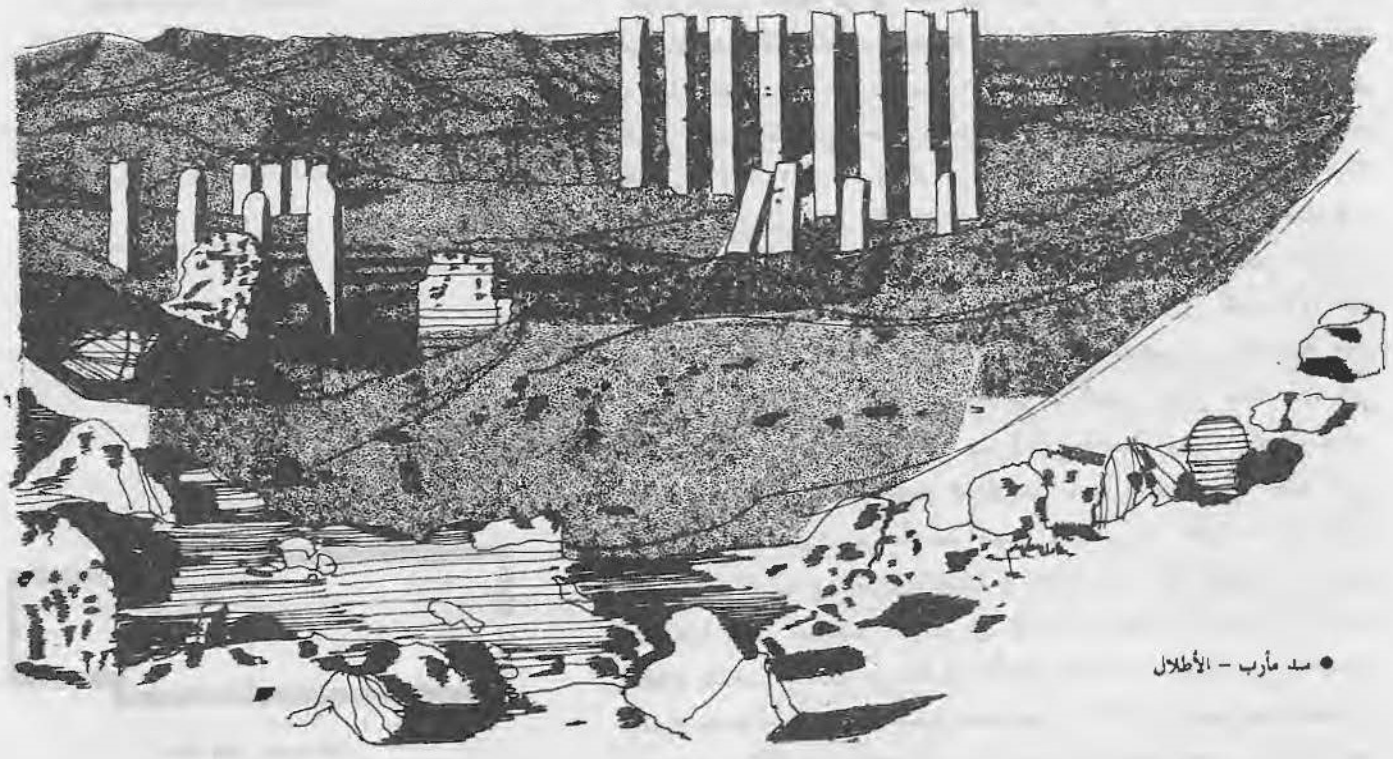

● سد مأرب – الأطلال

جيوشاً لطرد الأحباش واخضاع اليمن لحكم الفرس (٥٧٥ م) حتى دخول الاسلام عام (٦٢٨ م) .

خضعت اليمن تحت الحكم الاسلامى فى المدينة المنورة عندما أمر الرسول (ﷺ) ببناء أول مسجد فى حديقة الحاكم الفارسى ، ثم انتقلت إلى حكم الدولة الأموية عام (٦٦٠ – ٦٦١ م) كأحد الولايات ، ثم انتقلت بعد ذلك كولاية فى الدولة العباسية وكان التأثير المعمارى فى هذه العهود منصباً على عمارة المساجد سواء بتوسعة الجامع الكبير فى عهد الوليد بن عبد الملك وإضافة محراب على الحائط الشمالى الجديد أو بإزالة الزخارف فى المسجد بعد ذلك على يد قاضى صنعاء يحيى بن عبد الله عام ٩٥٢ م لأنها تشغل المسلمين عن أداء الصلاة . وفى العصر العباسى بنى الوالى محمد بن برمك فى عهد الخليفة هارون الرشيد قصراً أسماه البرامكة كما بنى غيره من الأسبلة ، كما تتابع الولاه بعد ذلك فى وضع اضافات جديدة للمسجد الكبير فى صنعاء . وفى بداية القرن التاسع الميلادى (٨٨٢ م) أعلن إنفصال اليمن عن الدولة العباسية المتمركزة فى بغداد ، ودخلت الدولة الجديدة مرحلة من التفكك وتعرضت لحركة الشيعة الفاطميين عام (٨٤٠ ،) وفى عام (٨٧٥ م) دمرت الفياضانات المسجد الكبير وأعيد بناؤه عام (٨٧٨ م) على يد محمد بن جعفر ، ثم دخلت الدولة مرحلة من الاضطرابات والفوضى . ومع ذلك تركز التأثير المعمارى للحكام فى إعادة بناء المسجد الكبير الذى تأثر طابعه بالعمارة المحلية واستعمل فى بناءه الأحجار ، وانتقلت البلاد من عصر بنى الصليحى همدان إلى العصر الأيوبى عام (١١٧٣ م) لمدة قصيرة ، أضيفت فيها المنارتين للمسجد – ثم جاء عصر بنو رسول ثم عصر الأئمة الزيديين من المماليك المصريين فانتشرت معهم الصراعات إلى أن جاء الفتح العثمانى (١٥١٧ م) ، ودخلت اليمن فى أحد عصورها المظلمة وترك العثمانيون بصماتهم فى تصميم المساجد التى بنيت فى هذا العصر فى اليمن مثل جامع « البكيرية » بنفس الأسلوب البيزنطى فى التصميم الذى يتفق مع نظريات المعمارى التركى « سنان » ، واستمر التدهور بعد ذلك فى عصر الأئمة « الزيبرية » والحكم العثمانى الثانى الذى بدأ عام (١٨٧٢ م) والذى انهار عام (١٩١٨ م) ، وجاء حكم الإمام يحيى حميد الدين الذى حاول إعادة النظام فى الدولة وبدأ ببناء القصر ثم المدارس وبعده دخلت الدولة فى سلسلة من الاضطرابات .

تحولت اليمن بعد ذلك إلى جمهورية عام (١٩٦٢ م) وبدأت الدولة تنفتح على العالم الخارجى وامتد العمران خارج أسوار المدينة – ومع هذا الانفتاح دخلت أنماط جديدة من العمارة مثل الفنادق والبنوك ودور السينما والمكاتب والسفارات ومع ذلك بقيت معظم أجزاء المدينة القديمة فى حالتها البنائية نظراً لقوة بنائها من الحجر الأسود والأحمر التى تحيط بنوافذه إطارات من الجبس الأبيض ، الأمر الذى أعطى مبانى اليمن طابعاً خاصاً . وتختلف عمارة المدن عن عمارة الريف حيث يعتمد البناء على المواد المتوفرة مع البناء على نمط الأبراج أو القلاع ، حيث المدخل والحظيرة فى الدور الأرضى يعلوه أجنحة النوم التى تعلوها أجنحة المعيشة ثم الخدمات والمطابخ ، الأمر الذى يعطى التجمعات السكنية الريفية طابعاً غريباً من العمارة أقرب إلى عمارة القصص والأساطير .

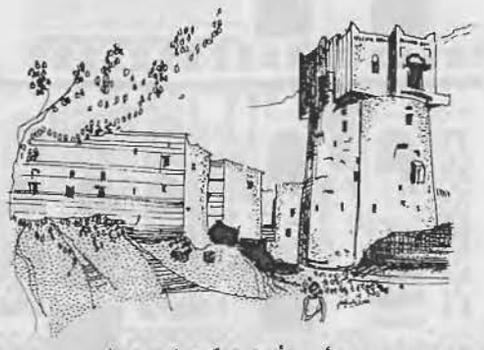

– الوبة : أحد الأنماط السكنية التقليدية باليمن
وهى تتميز بالمسقط المستدير وذات شكل برجى .

– جامع البكرية – صنعاء .

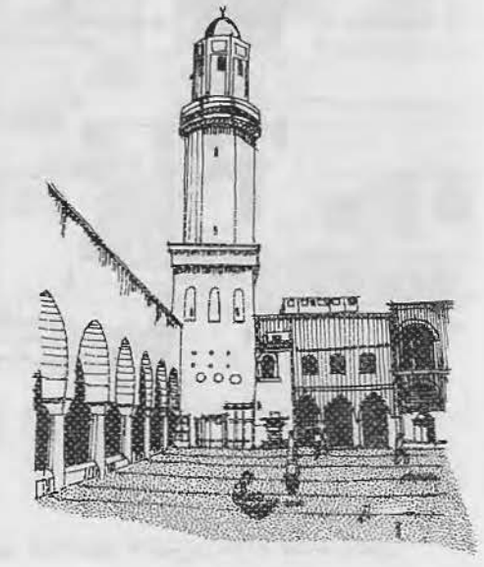

– الجامع الكبير فى صنعاء .

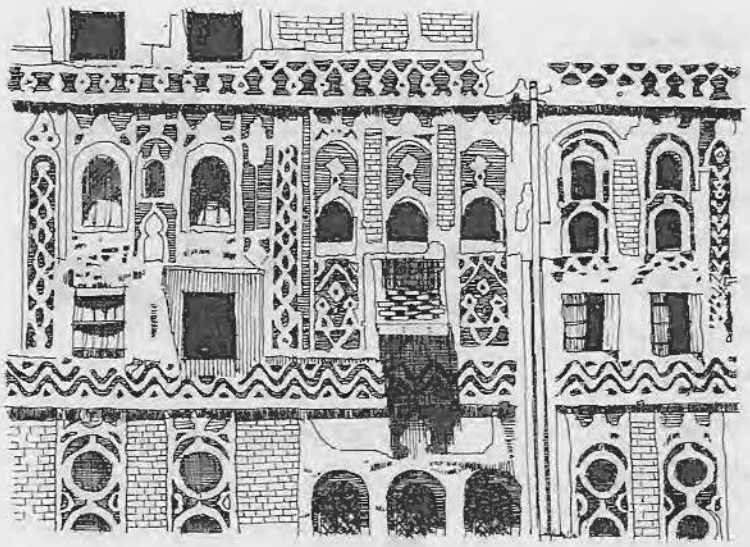

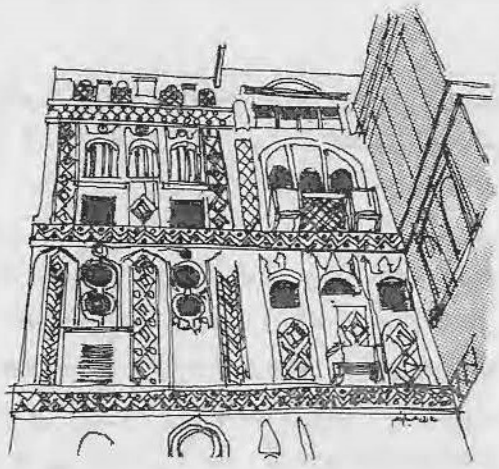

– الزخارف التقليدية فى المسكن اليمنى ، ويظهر الاهتمام بأعمال الجص فوق وحول النوافذ .

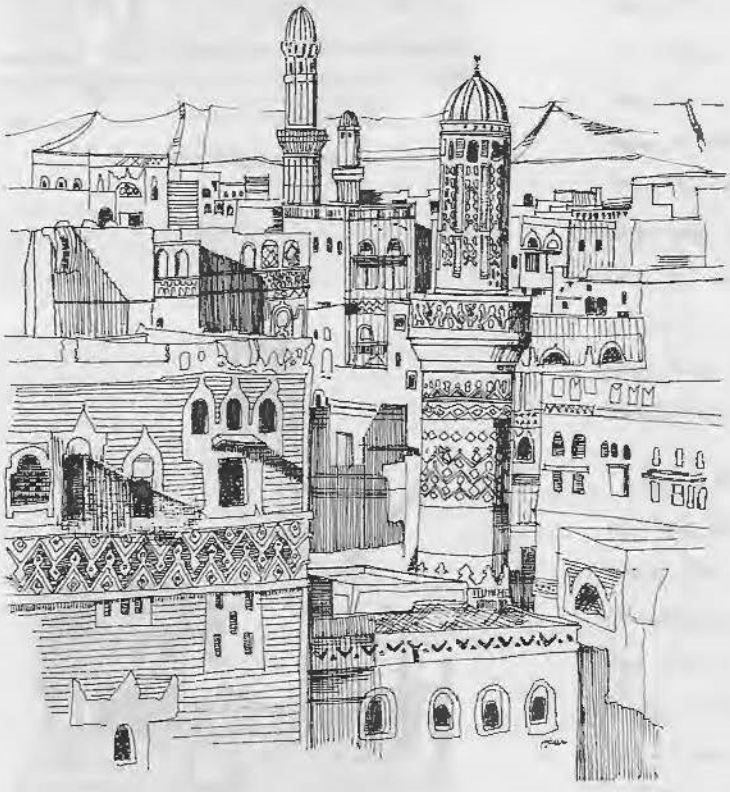

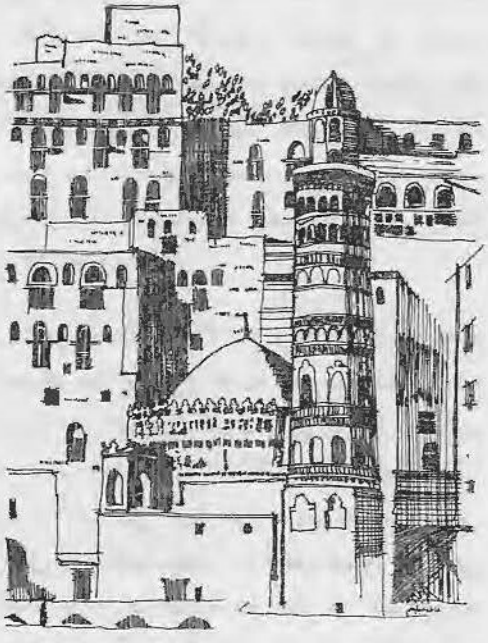

- منظر عام لصنعاء يظهر فيه الانسجام الواضح بين منارات المساجد والمنازل .

● الجامع الكبير فى جيلة .

وإذا كانت المدينة قد تأثرت ببعض أنماط العمارة الأجنبية إلا أن بعدها الجغرافى والحضارى عن مراكز التأثير أبقى على العديد من عادات وتقاليد المجتمع كما أبقى على طرق البناء بالأحجار الملونة والفتحات ذات العقود المتميزة بألوان الزجاج فى الزخارف الجصية التى تعلوها . وقد امتد تأثير العمارة اليمنية إلى جنوب الجزيرة العربية خاصة فى إقليم عسير ، فى سهول نجران أو فى الجبال الشرقية منها . ومستقبل العمارة فى اليمن يرتبط بالمعدلات البطيئة فى التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى لا تستطيع مقاومة الأنماط المعمارية المستوردة فى العمارة الرسمية وإن كانت تتمسك بالعمارة المحلية فى الاسكان الخاص .

مع أن الكويت قد سبقت غيرها من مناطق الجزيرة العربية فى مجال التعمير وذلك بعد ظهور البترول فيها فى الأربعينات ، إلا أن البحرين كانت تعتبر المركز الحضارى والثقافى لمنطقة الخليج العربى قبل ذلك ، ومنها امتدت المؤثرات العمرانية ذات القيمة التاريخية لتؤثر على عمارة ما قبل البترول فى منطقة الخليج العربى التى اشتغل معظم أهلها بالتجارة ، الأمر الذى مكنهم من الاتصال عبر البحر بحضارات الشرق فى إيران والهند ، وهو ما انعكس على بعض مقوماتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومن ثم على مقوماتهم العمرانية ، فنشأت التجمعات البشرية فى هذه المنطقة فى شكل قرى ساحلية ارتبطت حياتها الاقتصادية بصناعة السفن والحرف اليدوية ، كما كانت معابر تجارية بين الشرق الأقصى وأنحاء الجزيرة العربية . أنشئت الكويت القديمة على شكل بيضاوى يحدها الخليج من الشمال وسور من اللبن فى الجنوب وكانت تمثل كغيرها من القرى الساحلية طابعاً معمارياً صحراوياً تلاصقت فيه المبانى القليلة الارتفاع على طول الشوارع الضيقة وترتبط مادة بنائها بالتربة الصحراوية ارتباطاً وثيقاً ، كما ينعكس على نسيجها العمرانى شكل الترابط الأسرى والاجتماعى لسكان المدينة . وقد تميزت مبانى هذه المنطقة ببعض المعالم المعمارية التى تميزها عن غيرها فى عمارة قلب الجزيرة ، فمع رطوبة الجو ابتكر انسان منطقة الخليج العربى ملاقف للهواء تجمعه من كل الجوانب الأربع وتوجهه إلى أسفل حيث يتم امتصاص ما به من بخار الماء ببعض المواد الجيرية ثم تدخله إلى غرف المبنى ، وتسمى هذه العناصر « الباجير » وهى بخلاف ملاقف الهواء فى العمارة الفاطمية مثلاً فى مصر حيث كانت تجمع الهواء من جهة الشمال الغربى لتوجهه إلى داخل المبنى بعد تمريره على عناصر مبللة لتزيد من رطوبة الهواء وترطبه . ومع ظهور البترول بدأت المدينة تمتد خارج أسوارها فى شكل تجمعات سكنية وضع تخطيطها المعماريون الأجانب فى صورة قسائم تمنح أو تباع لأشخاص ما يلبثون أن يقيموا عليها مساكن جديدة لهم دون مراعاة للجيرة أو الترابط الاجتماعى القديم ، فظهرت فى الكويت مثلاً العديد من المجاورات السكنية التى تحدها شبكة من الطرق الاشعاعية والدائرية كأول تخطيط للمدينة عام ١٩٥٢ على يد المخططين البريطانيين « هونوبزيو وسبيسلى وماكفارلين » ، ومع ذلك استمر سكان الكويت كما استمر غيرهم من سكان دول الخليج ملتزمين ببعض التقاليد الاجتماعية فى الملبس والمأكل ، وإن كانت العمارة التقليدية قد اندثرت ولم يبق منها غير بعض البوابات أو البنايات القليلة

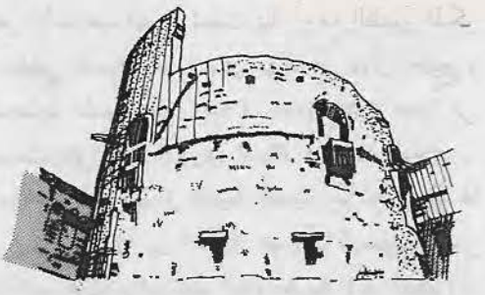

النوبة : أحد الأنماط السكنية التقليدية باليمن وهى تتميز بالمسقط المستدير

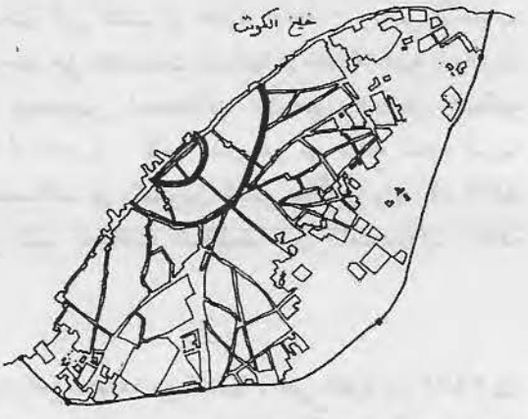

– الكويت القديمة ذات الشكل البيضاوى .

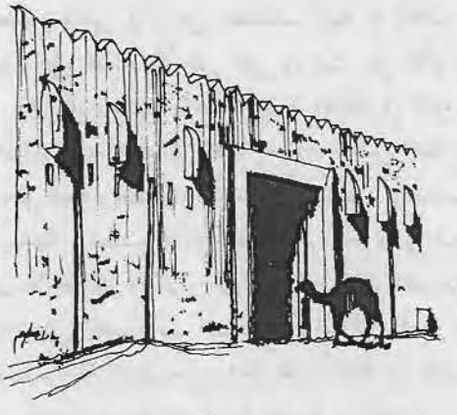

– بوابات وسور الكويت القديم .

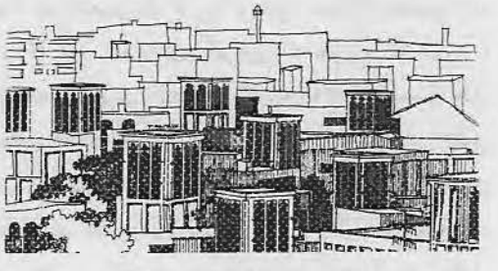

– ملاقف الهواء فى البحرين (الباجير)

كما اندثرت العديد من المظاهر الاجتماعية التى ارتبطت بها . ومع الظهور المبكر للبترول فى الكويت بدأت مظاهر العمران فيها تسبق غيرها من دول الخليج ، فبدأت أول محاولة جادة لتخطيط المدينة عام ١٩٥٢ محددة بذلك عدداً من المجاورات السكنية التى صممت على النمط الأوربى السائد فى ذلك الوقت .. وهكذا تحللت الأواصل الاجتماعية العمرانية فى المدينة القديمة ولم تجد بديلاً لها فى المجاورات الحديثة التى وزعت قسائمها بين السكان دون أن تجمعهم أواصل الجيرة القديمة .. وبنيت مساكنهم تحت لوائح نظم البناء الغربية الأمر الذى زاد من التباعد الاجتماعى داخل الوحدة السكنية كما زاد خارجها ، فاتجهت العمارة لتطل إلى الخارج بعد أن كانت تطل على الداخل سواء على مستوى الوحدة السكنية أو المجاورة السكنية التى تمثلت فى الحارة القديمة – وبنفس الأسلوب بدأت حركة التعمير تزحف على التجمعات السكنية فى منطقة الخليج ، وتميزت التخطيطات الجديدة بتخصيص استعمالات الأراضى للمناطق السكنية أو الصناعية أو الادارية أو التجارية ، الأمر الذى غير من ملامح المدينة العربية التى تميزت بتعدد الاستعمالات فى المستويين الرأسى والأفقى وإن كان الاتجاه الجديد قد ساعد على تنظيم العلاقات التخطيطية بين الاستعمالات المختلفة للأراضى .

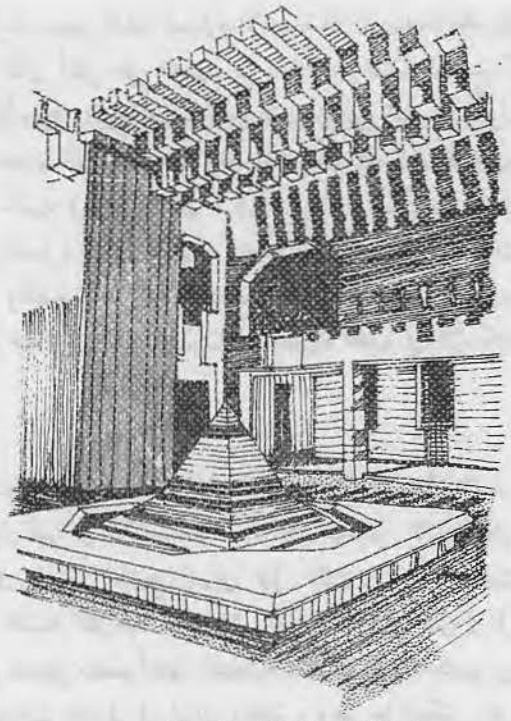

– دار الحكم ووزارة الخارجية – الكويت –
من تصميم ريما ورايلى بيتيلا .

مرت منطقة الخليج بمراحل متعددة من التعمير ، ففى الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠ شهدت الكويت مرحلة تميزت بغزو الخبرات الأجنبية والعربية خاصة البريطانية والفرنسية والمصرية ، وصاحب ذلك الانشاء السريع للعديد من البنايات المتناثرة والمبتذلة التصميم والتى لم تراعى متطلبات البيئة أو المكان ، واستمر العمران بهذه الصورة على قسائم الأرض التى وزعت على الأفراد كشكل من توزيع الثروة . وفى الستينات جاءت الطفرة الهائلة فى الثروة البترولية فكان أن هدمت المبانى المبتذلة لتحل محلها عمارة تعكس إطلاع الكويت على العالم الخارجى بكل قيمه وحضارته وأساليب معيشته ، وصحب هذه الفترة امتدادات كثيرة للمدينة ، تطلب إعادة تخطيطها مرة أخرى ووضع التخطيط الجديد الاستشارى الانجليزى (كولن بيوكانن) ، تبعه عدد من المشروعات العمرانية الكبيرة مثل المجموعات السكنية أو المراكز التجارية أو المجمعات الادارية ، مما تطلب مرحلة أخرى من مراحل هدم أعداد من المبانى القديمة وكأن المدينة تغير من جلدها على فترات زمنية قصيرة ، كظاهرة من مظاهر الديناميكية الاقتصادية السريعة التى شهدتها دول الخليج فى هذه الفترة من التاريخ . ومع المشروعات الكبيرة دخلت المكاتب الاستشارية الأجنبية لتضع الملامح المعمارية للمدينة ، وهنا تبارى المعماريون الغربيون فى ملعب العمارة الخليجية فمن فنلندا قام المعماريان « ريما ورايلى بيتيلا » بتصميم دار الحكم ووزارة الخارجية ، كما قام المعمارى الفرنسى « جورج كانديلس » بتصميم مجموعات سكنية وتبعه المعمارى اليابانى « كينزو تانج » بتصميم المطار الجديد ، ومن قبله قام المعمارى الدانمركى « جون أوتزن » بتصميم مبنى مجلس الأمة ، كما وضع المعمارى الإيطالى « بولجيوسو » عمارة المركز التجارى بساحة الصفاه ، ووضع المعمارى السويدى تصميم أبراج الكويت المعروفة ، كما قام المعماريون الانجليز بتصميم العديد من النوادى البحرية على طول

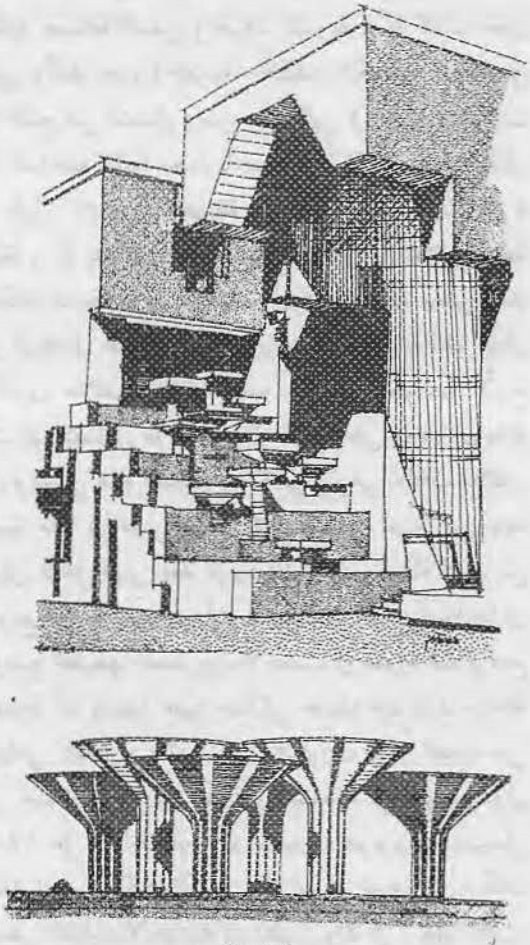

– أبراج الكويت .

كورنيش الكويت ، كما شارك مكتب « سكيدمور » و « تاك » فى تصميم عدد من البنوك الوطنية وهكذا انتقلت الخبرة الأجنبية احدث الملامح المعمارية المعاصرة لمدن الخليج كما انتقلت معها الخبرة التنفيذية الأجنبية للمشروعات الكبرى ، ومن ثم انتقلت معها مواد البناء والتجهيزات المعمارية الغربية ، ومع ذلك فقد حاول المعمارى الكويتى أن ينظم مهنته ويشارك مع المعمارى الأجنبى فى توجيه العمران كما بدأت صناعة البناء المحلية تأخذ دورها فى عمليات البناء وانتقلت هذه التحولات بعد ذلك من الكويت إلى مدن الخليج فى دولة الامارات وقطر والبحرين وعُمان .. وانحصر دور المعمارى العربى فى قليل من المشروعات منها مبنى الجامع الكبير فى الكويت من تصميم الدكتور محمد مكية ، المعمارى العراقى الذى صمم عدداً من قصور الأمراء فى قطر ومسقط ، وكذلك مبنى جامعة قطر التى صممها المعمارى المصرى كمال الكفراوى والتى تحمل الملامح المعمارية لمدرسة حضانة صممها المعمارى العراقى جعفر طوقان فى دبى . وكان للمعماريين الأجانب النصيب الأوفر فى عمارة دول الخليج الأخرى بعد الكويت ، فالمركز الثقافى والمكتبة العامة فى أبو ظبى صممها معماريون أمريكيون هم المعماريون المتحدون ، وصمم « تراید » المعمارى الانجليزى المسرح الوطنى فى الدوحة (١٩٨٠ م) كما صمم المعمارى الفرنسى « ميشيل ايكوشارد » المتحف الوطنى فى الكويت ، حتى المساجد صممها معماريون من الغرب ، فقد صمم المعمارى الانجليزى « جورج ومبى » مسجدين فى مدينة عيسى فى دولة البحرين ، وفى مجال آخر انفرد المعماريون الانجليز بتصميم معظم المستشفيات فى دولة الامارات وقطر والبحرين ، وفى مجال الفنادق صمم المعمارى الأمريكى « بنيامين تومسون » فندق الكونتيننتال فى مدينة العين وأبو ظبى (١٩٨٢ م) ، وصمم المعماريين الأمريكيين « تاك » فنادق الشيراتون بالكويت والانتركونتيننتال فى الشارقة ، وصمم « جون هاريسى » المعمارى الانجليزى المركز التجارى وفندق الهيلتون فى دبى ، وهكذا شهدت منطقة الخليج ثورة عمرانية لم تشهدها أى بقعة فى العالم اشترك فيها عدد كبير من المعماريين العرب الذين اقتصرت معظم أعمالهم فى المبانى السكنية الخاصة من عمارات وفيلات لم تلق نفس التقدير أو الاعلام العالمى .

وفى نهاية هذه الثورة المعمارية (١٩٨٥ م) بدأت المشروعات المعمارية الكبيرة تنحسر بانحسار الاستثمارات الموجهة إلى التعمير فى الوقت الذى بدأ فيه المعماريون المحليون المشاركة فيما تبقى من أعمال معمارية مع زملائهم من المعماريين الأجانب ، ويظهر أن منحنى التعمير فى دول الخليج قد وصل قمته عام ١٩٨٤ م ثم بدأ ينحدر تدريجياً من عام ١٩٨٥ م لعدد من الأسباب منها الاكتفاء الذاتى بما أُنشىء من مبانى أو ربما للنقص الكبير فى الاستثمارات أو لغير ذلك من الأسباب .. وإذا كان ازدهار العمران فى دول الخليج هو نتيجة طبيعية للازدهار الاقتصادى الذى اعتمد على البترول فإن مستقبل العمران فى هذه الدول سوف يستمر مرتبطاً بمستقبل هذه الثروة الذى يتحدد فى ضوء الطاقة على المستوى العالمى .

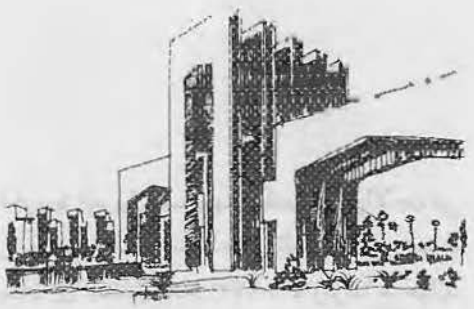

أقواس مدينة عيسى – البحرين .

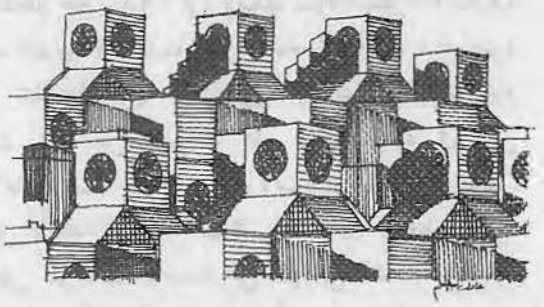

مبنى جامعة قطر – المعمارى كمال الكفراوى .

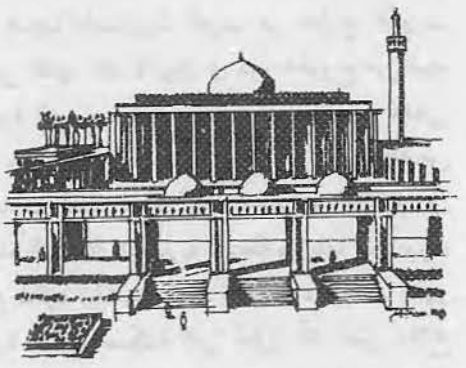

– الجامع الكبير بالكويت – د/ محمد مكية .

مستقبل العماره في الجزيرة العربية

يرتبط مستقبل العمارة فى الجزيرة العربية بمستقبلها الاقتصادى والاجتماعى مع مستقبلها الحضارى والثقافى خاصة بعد مرحلة التعمير الشاملة التى عمت جميع المرافق والخدمات والاسكان فى أعقاب عام ١٩٧٣ ، وارتفاع عوائد النفط إلى أعلى حد ممكن . وتشير الدلائل عام ١٩٨٥ ، إلى أن الخط البيانى المندفع إلى أعلى قد بدأ يتوقف ويبطىء انتظاراً لما تسفر عنه الأحداث الدائرة فى المنطقة سواء بالنسبة لحرب إيران والعراق التى بدأت عام ١٩٨١ م ، أو المشكلة الفلسطينية التى بدأت عام ١٩٤٨ ، وهى أحداث تؤثر سلبياً على التنمية الشاملة فى أنحاء الجزيرة وغيرها من الدول العربية ، ومن ثم على التنمية العمرانية فيها وفى هذه الفترة بدأت الدعوة إلى ضرورة تأصيل القيم الحضارية فى عمارة الجزيرة العربية . ولا تزال هذه الدعوة محدودة فى نطاق الندوات والمؤتمرات وما تفرزه من توصيات وقرارات فبدأت ندوة العمارة الاسلامية فى جامعة الملك فيصل فى الدمام عام ١٩٨٠ م ، وتبعها ندوة العمارة الاسلامية التى نظمتها منظمة المدن العربية فى المدينة المنورة عام ١٩٨٢ م ، ثم ندوة العمارة الاسلامية التى تنظمها جمعية المهندسين البحرينية فى مايو عام ١٩٨٥ م ، وتخلل ذلك عدد من الندوات على نطاق محدود فى اليمن والكويت ، وفى هذا الاتجاه بدأت العديد من المحاولات التى تسعى إلى إظهار بعض الملامح المعمارية على الأغلفة الخارجية للمبانى دون تغيير فى مضمونها ، وذلك بسبب تركيز بعض المؤلفات الأجنبية على النواحى الشكلية للعمارة الاسلامية دون المضمون والذى لا يدركه المسلمون أنفسهم . والمضمون من ناحية أخرى يرتبط بمتطلبات المجتمع الذى تأثر تأثراً كبيراً بالمفاهيم الغربية فى السلوكيات والعادات والتقاليد ، وإن كانت بعض المجتمعات فى الجزيرة العربية تحاول بكل الامكانيات الحفاظ على الشكل العام للمجتمع فى مأكله وملبسه وخصوصيته وهى القيم الباقية من القيم الاجتماعية الاسلامية .

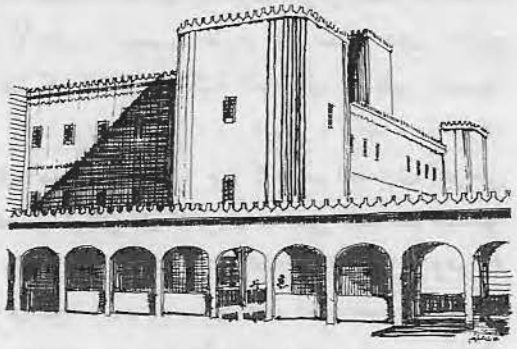

المحاولات الجادة لتأصيل القيم
المعمارة الاسلامية التقليدية
مبنى الأمم المتحدة – الرياض

ومن الملاحظ أن العمارة تتطور مع التطور الحضارى للمجتمعات التى تسكنها ، وأقرب الأمثلة على ذلك التحولات التى طرأت على عمارة الكويت منذ أوائل الخمسينات ، حيث دخلت عليها أنماط معمارية غريبة فى أشكال غريبة تعبر عن افتعالات فجة قدمها المعماريون العرب من خارج الكويت ولاقت قبولاً من المجتمع الكويتى الذى كان لا يزال فى دور الخروج من البيئة العمرانية القديمة إلى البيئة الجديدة الغريبة عليه ؛ وامتدت هذه الأنماط لتغطى معظم الأحياء السكنية الجديدة ، وفى بداية السبعينات وبعد مرحلة طويلة من التنمية الاقتصادية والاجتماعية بدأت تظهر معالم التقدم الحضارى والثقافى فى المجتمع الذى بدأ بدوره يلفظ هذه الأشكال المعمارية المفتعلة ويزيلها سعياً وراء البحث عن عمارة تتناسب مع فكره الجديد وقيمه الجديدة ، فبدأت تظهر أنماط معمارية جديدة فى صورة المبانى السكنية التى تحاول أن تحمل ملامح العمارة الأندلسية مرة وملامح العمارة الفاطمية مرة أخرى ، ومنها ما حاول التعبير عن العمارة الاسلامية المعاصرة فى قوالب معمارية جديدة ، ومنها ما

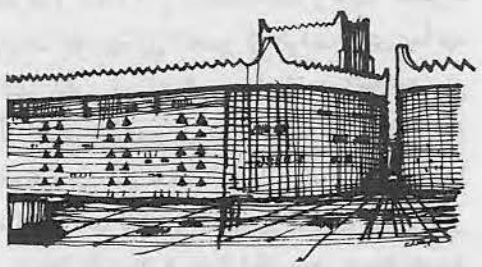

مبنى هيئة الأمم المتحدة للتخطيط العمرانى – الرياض

رأى قيمه الحضارية فى بناء بعض القصور التى تحمل ملامح العمارة الرومانية أو الكلاسيكية ، وهكذا بدأت الواجهة المعمارية للكويت تتغير ، وبعد فترة أخرى وفى نهاية السبعينات بدأت الصورة تتغير مع التقدم العلمى والثقافى فى المجتمع وظهور أجيال تفاعلت مع الحضارات الأجنبية فى أوربا وأمريكا .. وبدأت تعتمد على الوظيفة فى العمل والأداء ، وهكذا بدأت الوظيفية تظهر فى العمارة فى الكويت خاصة فى مشروعات الاسكان المتكاملة والمراكز التجارية والمالية والترفيهية وقليل منها حاول تأصيل بعض من قيم العمارة المحلية ، وهكذا تغيرت صورة العمارة بتغير الصورة الاجتماعية والثقافية للمجتمع . وتشهد سلطنة عُمان نفس هذه التحولات منذ بداية الثمانينات ، فهى مثل الكويت والمملكة العربية السعودية ودولة الامارات لا تزال تحتفظ ببعض قيمها الحضارية فى المأكل والملبس والعادات والتقاليد ومن ثم تحاول مشروعاتها المعمارية المعاصرة أن تتواكب مع هذا الاتجاه للتعبير عن التراث المعمارى ، ويعنى ذلك أن مجتمع الجزيرة بعد توقف المنحنى المتصاعد للثروة بدأ يبحث عن تراثه الذى ابتعد عنه أثناء فترة الثورة العمرانية ، والبحث عن التراث هو شعور حضارى وثقافى سوف ينعكس بالتبعية على عمارة المجتمع فى المستقبل .

ويختلف اتجاه العمارة فى المستقبل من جزء لاخر من أجزاء الجزيرة العربية تبعاً للحركة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات فى كل جزء منها وتبعاً لقربها أو بعدها عن مراكز التأثير أو الأحداث سواء على المستوى الداخلى أو المستوى الخارجى ، فإذا كانت الحركة الاجتماعية والثقافية فى اليمن الشمالية فى جنوب الجزيرة تتحرك بعيداً عن مراكز التأثير ، فعماراتها بالتالى تتحرك بعيداً عن هذه المراكز ويستمر ارتباطها أكثر بالقائم لديها من عمارة متميزة بارتباطها بالبيئة المحلية . وعلى الطرف الآخر تتأثر الكويت أكثر بمراكز الأحداث والتأثير سواء فى مجالات التحولات الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية ، فمستقبل العمارة فيها يبدو متحركاً مع هذه التحولات مع البحث عن الذات الاقتصادية والثقافية وبالتبعية البحث عن الذات المعمارية . وفى نفس الاتجاه تسير المملكة العربية السعودية سعياً وراء الاكتفاء الذاتى من القوت ، ومن ثم الاكتفاء الذاتى من الانتاج الصناعى ، ويتبع ذلك الاكتفاء الذاتى من الثروة البشرية ، فتنحسر حدة الهجرة الأجنبية ويبدأ المجتمع السعودى مرحلة جديدة من الاعتماد على النفس ؛ وهكذا تعود العمارة السعودية أيضاً للاعتماد على النفس معبرة عما يصل إليه المجتمع من أوضاع اقتصادية واجتماعية وثقافية ترتبط أساساً بالجوانب الروحية التى تبعثها المناطق المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وهى الجوانب التى تعمل على الموازنة المستمرة بين الماديات والمعنويات فى القيم الوسطية للحضارة الاسلامية . وهكذا تترابط التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الأجزاء المختلفة من الجزيرة العربية ومن ثم تترابط التحولات العمرانية والمؤثرات المعمارية فيها ، وذلك فى صورة من التنافس الحضارى بين دول الجزيرة ، وهو تنافس سوف يؤدى إلى التقدم كما يؤدى إلى التكامل الاقتصادى والسياسى بين هذه الدول ، وينتظر مع ذلك أن تأخذ العمارة فى المنطقة اتجاهاً حضارياً يرتبط بالتراث المعمارى فى الأجزاء المختلفة من الجزيرة العربية وذلك بالتوازى مع الاتجاه الحضارى الذى بدأ فى مجالات الفنون والآداب بحثاً عن الأصالة فى التراث الأدبى والاجتماعى لشعوب المنطقة .

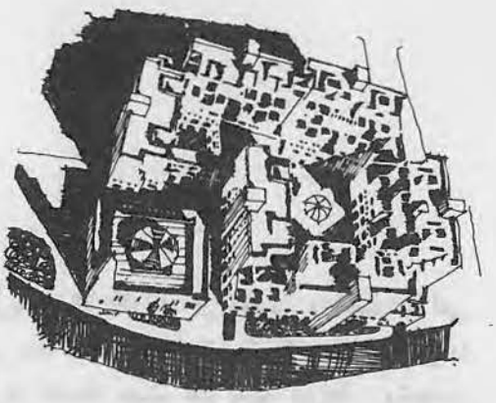

مجمع الأوقاف/ جدة تصميم مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية

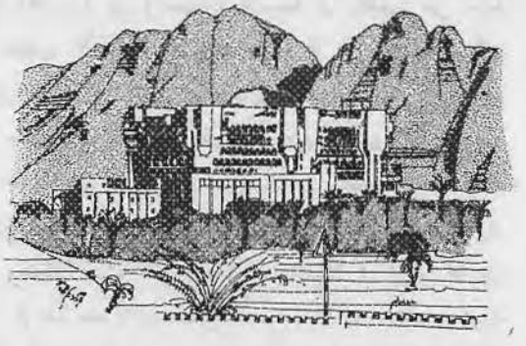

– سلطنة عمان – قاعة مؤتمرات بالبستان .

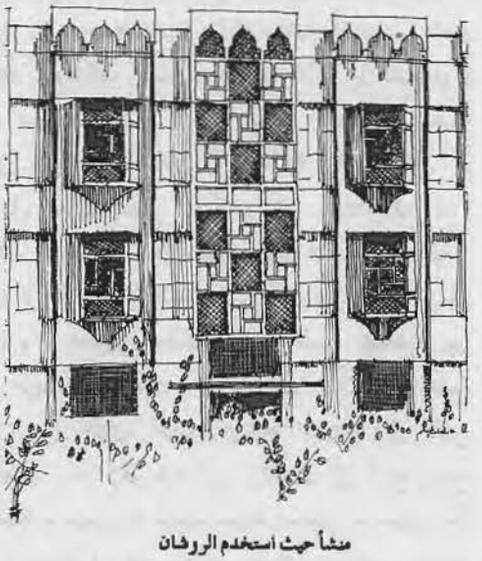

منشأ حيث استخدم الروشان
المطور عن الروشان التقليدى

بناء مقومات العمارة العربية فى العراق على مر العصور

خريطة توضح المناطق الأثرية – العراق

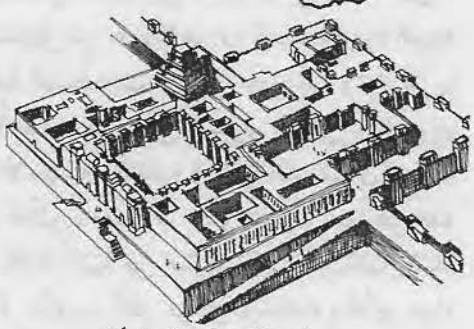

قصر سارجون – فيروز أباد

– العمارة الشعبية فى العراق – عمارة الأعشاب فى الجنوب

تزخر العراق بثروة معمارية عريقة تكونت عبر العصور والحضارات التى نشأت فى أرض ما بين النهرين منذ فجر التاريخ . فقد ظهر العمران فى أرض ما بين النهرين فى الفترة الحجرية الحديثة حيث كان بداية الزراعة . وشهدت مستويات لعمران متواضع ومتتابع ، وتلتها الفترة النحاسية الحجرية التى ظهرت فيها حضارة (العبيد) التى خطت خطواتها البطيئة فى العمارة كما تدل على ذلك أثار قرية « العقير » ثم فى مدينة « أور » خاصة فى عمارة المعابد ، وظلت قوالب « اللبن » هى مادة البناء الرئيسية طوال عصر ما قبل التاريخ . واستعان المعماريون على إدخال عنصر الزخرفة فى عمارتهم اللبنية عن طريق تعاقب المشكاوات (الدخلات) فى واجهاتها المتسعة بما يخفف من حدة استقامتها ، ويعمل على تعاقب الأضواء والظلال فيها ، ثم عن طريق كسائها بطبقة من الملاط وتلوينها بلون واحد ، أو تصوير صغوف من الحيوانات والنباتات عليها ، وكان منهم من ينقشون أقارير حجرية صغيرة تمثل صور الحيوانات ثم يثبتونها فى الجدران الرئيسية . وكان منهم من يرصعون المساحات الصغيرة من الجدران بلوحات فخارية على هيئة حيوانات أو زهور لتكون أشكالاً هندسية مثلثية . وهكذا نبت الفن المعمارى متأصلاً فى أرض ما بين النهرين قبل فجر التاريخ ، ثم بدأ بعد ذلك عصر الأسرات « السومرى » حيث توسع « السومريون » فى البناء باللبن واستخدام الآجر (الطابوق) الذى استخدمه أسلافهم على نطاق ضيق ، واستعاضوا به عن قلة الأحجار فى بيئتهم . واعتاد المعماريون على تشكيل بعض قوالب اللبن فى بداية عصرهم بوجه مسطح وآخر محدب ، واستخدموها فى المداميك الرأسية فى مبانيهم وبناء العقود فوق الأبواب ، كما استعملوا الحجر فى تدعيم أساسات المبانى الكبيرة . وهكذا بنيت هياكل المعابد على مسطحات عالية متتالية اشتهرت باسم « زاقورة » أى القمة المرتفعة . وهكذا تأصلت صناعة الآجر (الطابوق) واستعمالاتهم فى العراق منذ فجر التاريخ . كما ظهر انتظام العمران فى مدينة « بابل » فى عهد « حمورابى » بعمارتها التقليدية (١٨٨٠ ق . م) . ثم تقدمت نظم البناء بعد ذلك فى عمارة العصر « الكاسى » (١٥٨٠ ق . م) سواء فى الانشاء أو الزخارف أو صفوف الأعمدة حول الأفنية الداخلية . وامتد تأثير هذا العصر خاصة فى عهد « الميتانيون » إلى أن وصل إلى مصر فى عصر الملكة « حتشبسوت » و « تحتمس الثالث » حيث تمت مصاهرة بين « امنحوتب » والملك الميتانى بزواجه من ابنته . وامتد هذا التأثير فى العصر « الآشورى » (١٢٥٠ ق . م) الذى شهد مرحلة متقدمة فى الفن المعمارى ، خاصة فى بناء المعابد و « الزقورة » التى ارتفعت إلى أربع وسبع طوابق وظهرت أثاره فى مدينة « نينوى » قرب مدينة الموصل ، حيث بدأ استعمال الحجر والألبستر ، وخاصة فى قصر « أشوربانيبال » وقصور الملوك

فى مدينة (كالح التوراه) أو (تمرود) الحالية . وفى عمائر (سرجون) فى مدينة (دورشروكين) استخدم المعماريون الأحجار بكثرة فى الأساسات والقواعد والدعامات وأعتاب الأبواب ورصف الأرضيات وأسافل الجدران ، بينما استخدموا قوالب اللبن فى بناء بقية الجدران واستخدموا الآجر (الطابوق) فى بناء الأقبية والعقود المدببة ، واستفادوا فى تنفيذ مبانيهم من أساليب العمارة (الحيثية) والسورية ، ثم جاءت فترة نايل الكلدانية (٦٢٦ – ٥٣٩ ق . م) ، والتى اشتهرت بعمرانها المتمثل فى الحصون ذات الأسوار المتتالية والأبراج العالية والقصور « والزقورات » وأشهرها برج بابل . هنا يظهر اهتمام الحاكم بالعمران حيث يحمل أدوات البناء فوق رأسه ويحمل ولى عهده طين اللبنة الأولى لبدء تحديد هذه « الزقورة » واستمر هذا الاهتمام عبر الأجيال المتعاقبة فى هذا الجزء من المشرق العربى .

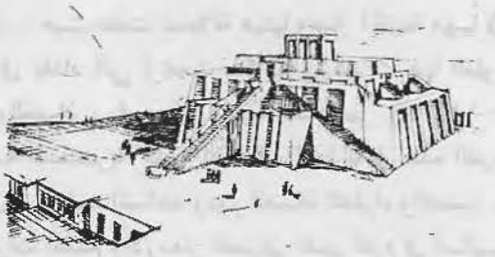

الزقورات

تعرضت العمارة العربية فى العراق لعدد من المتغيرات الوظيفية والشكلية بعد دخول الاسلام فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٦٣٤ – ٦٤٢ م) على يد سعد بن أبى وقاص (٦٣٧ م) ، حيث أمر الخليفة بعد ذلك ببناء البصرة والكوفة والفسطاط كركائز عسكرية ، وأصبح العراق بعد ذلك ولاية فى العصر الأموى الذى اختار دمشق عاصمة له ، عندما انتقلت الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، واتسع المد الاسلامى إلى أقصى الأمصار شرقاً وغرباً . وازدهرت الحضارة الاسلامية ليس فى مجال البناء والعمارة فحسب ، بل تعدت ذلك فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وبعد اتساع رقعة العمران فى الدولة الاسلامية بدأت مرحلة من الضعف الذى أدى إلى زوال الحكم الأموى على يد عبد الله بن محمد بن على بن عباس من القبائل التى سكنت شرق العالم الاسلامى ، حيث قضى على آخر الخلفاء الأمويين فى معركة ، واستقل بالولاية واتخذ « الكوفة » مقراً لحكمه عام ٧٥٠ م . ثم بدأت الدولة العباسية التى انتقلت عاصمتها بعد ذلك إلى « الأنبار » ثم « الهاشمية » إلى أن جاء الخليفة العباسى الثانى أبو جعفر المنصور ، وبنى مدينته الدائرية فى مكان متوسط على الشاطىء الغربى لنهر دجلة (عام ٦٧٢ م) وسماها مدينة السلام . ثم بدأ العمران يزحف إلى الجانب الشرقى للنهر شاملاً القصور والمساجد والمدارس ودور العلم . ويقال إن قسطنطين ملك « بيزنطة » فى ذلك الوقت أشار على أبى جعفر المنصور بشكل بنائها حفاظاً على حياته ، حيث بنى قصره والمسجد الأكبر فى المركز وأحاطهما بسور ثم بمناطق من أشجار النخيل ثم بسور آخر ، وذلك فى شكل هندسى يسهل الدفاع عنه والحركة فيه ، وقسم إطارها الخارجى إلى عدد من القسائم لسكنى الناس . وفى هذا تعبير عن تحكم الحاكم فى مجريات الحياة فى مدينته وفصل الحاكم عن الرعية . وعلى بعد ١٢٠ كم فى الشمال من مدينة السلام بنى الخليفة العباسى المعتصم بالله (٨٣٣ – ٨٤١ م) عاصمته الجديدة التى دعاها (سُرَّمَن رأى) . ثم جاء المتوكل ليبنى مدينة أخرى شمالى « سرمن رأى » سماها « المتوكلية » أو « الجعفرية » تماماً كما كان يقام فى مصر (القاهرة) من مدن متتالية ومتباعدة ، تعبر كل منها عن رغبة الحاكم أو الخليفة ولا تعبر عن استمرارية الحياة المنطلقة من مكان واحد وهو قلب المدينة . وبدأ المعتصم يستعين بالمماليك الأتراك السلاجقة ، واستمر حكمهم (٩٩١ – ١١٧٥ م) حيث طردوا إلى إيران ، واستمرت سيطرة

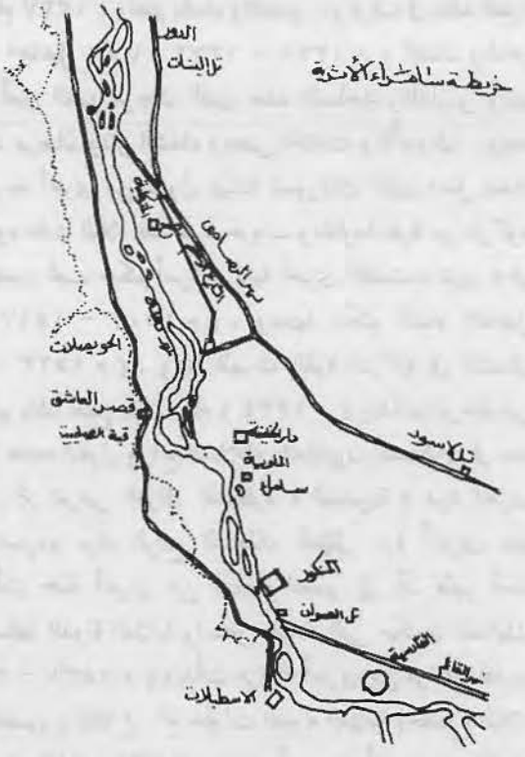

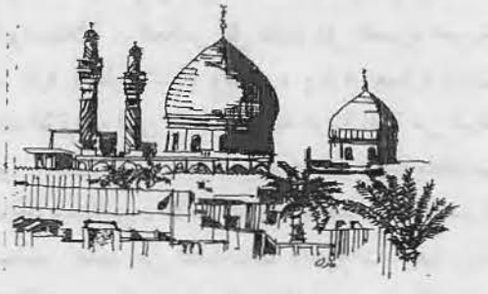

الروضة العسكرية وجامع المهدى – سامراء (٦٠٦ هـ – ١٢٢٥ هـ)

الخليفة على جنوبى العراق ، حيث عادت للخلافة هيبتها وصار الخليفة مهيباً فى دولته . واستقر الحكم فى بغداد التى ارتفعت مكانتها وازدهرت فيها العلوم والآداب وكثر البناء والعمران ، ثم جاء الخليفة المستنصر (١٢٢٦ - ١٢٤٢ م) وأقام المدرسة المستنصرية كأبرز الأعمال المعمارية فى هذه الفترة على شاطىء دجلة الشرقى ، كما شيد المساجد ودور الضيافة للفقراء والقصور ، دخل العراق فترة من فترات التقدم والازدهار العمرانى الذى التزم فى أساليب بنائه بما ورثه من التاريخ القديم إلى أن بدأ المغول بقيادة هولاكو يزحفون عليها من الشرق ناشرين الدمار والخراب ، حتى سقطت بغداد فى (١٢٥٨ م) ، وزحفوا منها إلى باقى مدن العراق ، وفقد العراق بعد ذلك دوره فى القيادة ، وأصبح ولاية من الأقاليم الامبراطورية « الايلخانية » التى كانت عاصمتها فى شرق العالم الاسلامى ولمدة ثمانين عاماً إلى أن جاء الشيخ حسن الجلائرى ، واستولى على بغداد عام ١٣٣٧ ، واهتم بالبناء والتعمير . وعرف فى هذه الفترة السلطان وجيه الدين اسماعيل زكريا (١٣٧٢ - ١٣٧٨ م) كفنان وشاعر وخطاط ، والخواجه أمين الدين مرجان الذى جدد المساجد والمدارس ومنها مدرسة مرجان وخان مرجان ودار الشفاء وبعض الخانات والأسواق . وبعد فترة تعرض العراق لموجة أخرى من المغول بقيادة تيمورلنك الذى دخل بغداد عام (١٣٩٣ م) ، ودخلت البلاد بعد فترة حروب ومقاومة فترة من الركود الحضارى ، إلى أن وقعت تحت حكم أسرة تركمانية أخرى اتخذت « تبريز » فى إيران عاصمة لها (١٤٦٧ - ١٥٠٢ م) ، وتبعها حكم الشاه اسماعيل الصفوى (١٥٠٢ - ١٥٢٣ م) . وهنا ظهرت القوة التركية فى الشمال وتحركت بقيادة ابراهيم باشا لفتح بغداد عام (١٥٣٤ م) وبدأت مرحلة من إعادة البناء وتجديد ما هدمه المغول وراح السلاطين العثمانيون يتسابقون فى بناء المساجد والأضرحة . ثم تعرض العراق للسيطرة « الصفوية » مرة أخرى (١٦٢٣ م) ، ثم استرده مراد الرابع السلطان العثمانى مرة أخرى عام (١٦٣٨ م) . وبدأت حملة أخرى من البناء والتعمير إلى أن ظهر أحد المماليك وخرج عن سلطة الدولة العثمانية واستقل بالبلاد التى حكمها المماليك بعد ذلك من (١٧٤٨ - ١٨٣١ م) وبدأت مرحلة أخرى من مراحل تجديد المساجد والمدارس والقصور والقلاع . ثم حاولت الدولة العثمانية إخضاع البلاد لحكمها بعد ضعف المماليك (١٨٣٧ م) لتبدأ جولة أخرى من البناء والتعمير . واستمر الحكم العثمانى إلى أن دخلت القوات الانجليزية غازية بغداد عام (١٩١٧) . وهنا دخل العراق مرحلة مختلفة من الاستعمار والاحتلال إلى أن استقل عام ١٩٢١ م . وهكذا مر العراق بفترات متقلبة صعوداً وهبوطاً .. تعميراً .. وتخريباً .. غزواً واستغلالاً .. انعكس كل ذلك على العمارة العربية فى العراق ، والتى تأثرت تارة بعمارة الشام ومصر ، وتارة بعمارة إيران وتركيا . وقد انصهرت هذه المؤثرات لتفرز عمارة عراقية عربية نابعة من البيئة المحلية ومستمدة من جذور الحضارات القديمة ، وانعكست عليها متطلبات المجتمع الاسلامى من مساجد ومدارس ، الأمر الذى أعطاها ملامح معمارية مميزة ، وإن ظهر بين المسلمين عديد من المشاحنات والغزوات سعياً وراء الحكم والسلطان . وهنا لابد من تقييم هذه العمارة فى ضوء المقومات الاسلامية للحكام . خاصة وأن تاريخ العمارة عادة ما يقرأ من عمارة الحكام

- مدرسة المستنصرية .

- مدرسة مرجان

- خان مرجان .

أكثر منها من عمارة الشعب نفسه ، وهذه مرآة لا تعبر عن واقع الحياة فى العصور المتعاقبة .

تأثرت المدن العراقية فى العصر الاسلامى بالاستراتيجية العمرانية للحكام فى كل فترة ، ففى صدر الاسلام اختيرت مواقعها على أساس استراتيجية دفاعية حربية ، بينما فى العصر الأموى اختيرت المواقع على أساس استراتيجية إدارية . وكذلك فى العصر العباسى بنيت المدن على أسس إدارية ودفاعية معاً . كما ظهرت أهداف الخلفاء فى توجيه العمران داخل هذه المدن . فقد أوصى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ببناء المسجد فى قلب المدينة تجاوره دار الخلافة وتحيط به الخطط والقطائع ، التى تفصل بينها شوارع متوازية بعرض ٢ م وتتخللها أزقة بعرض ١ م ، بحيث تؤدى جميع الشوارع الرئيسية إلى قلب المدينة حيث الجامع ودار الامارة وتنتشر فى خطط المدينة ساحات مربعة (٣٠ × ٣٠ م) . كما أوصى الخليفة بأن تكون دور الناس من طابق واحد ، وألا تزيد غرف الدار عن ثلاثة . وتعبر هذه الاتجاهات التخطيطية عن القيم الحضارية الاسلامية فى حكم الدين والمساواة بين البشر . وإذا كانت المدن الأولى مثل البصرة والكوفة والفسطاط لم تسوّر إيماناً بتكافل المجتمع والتفافه حول الحاكم ، فإن المدن التالية كمدينة السلام (المدينة الدائرية) قد أحيطت بالأسوار تلو الأسوار التى عزلت الحاكم عن المجتمع . كما أحيطت بالخنادق التى تعكس عامل الدفاع عن الخارج والسيطرة من الداخل ، حتى أن الطرق الأربعة المتعامدة لا تصل إلى مركز المدينة وقصر الحاكم إلا من خلال بوابات (طاقات) ، كباب البصرة من الجنوب الشرقى ، وباب الكوفة فى الجنوب الغربى ، وباب الشام فى الشمال الغربى ، وباب خراسان فى الشمال الشرقى . وإذا كان قصر الحاكم قد ارتبط بالمسجد الكبير فى وسط مدينة السلام ، إلا أنه كان بعيداً عن المسجد فى مدينة « سرمن رَأى » ، وهذه الاختلافات تعبر عن نظام الحكم وارتباط الحاكم بالمحكوم فى كل فترة من فترات التاريخ .

أبدع المعمارى العربى فى العراق فى استخدام الطابوق استخداماً يدل على دقة العمل ووحدة البناء ، وهو تقليد متوارث من العصور القديمة . ولم يقتصر استعمال الطابوق على الهياكل الأساسية للبناء ، بل شمل أيضاً الجوانب التجميلية والكتابة ، واستعمل فى العقود والقباب والمحاريب . وفى هذا امتداد لتأثير العمارة فى دول شمال وشرق العراق . ومنها استمد استعمال القيشانى فى تغطية القباب والحوائط . لقد أبدع الصناع المهرة فى التقنية الجديدة لصناعة الزخارف بأنواعها المختلفة . وهذا يوضح استقرار العمالة ، وتوارث الصنعة ، وارتباط الصانع بالعمل الذى يتقنه أكثر منه تأثراً بالأحداث السياسية ، أو التقلبات الاقتصادية . فكان الشعب بعيداً عن مجريات الأمور التى تحركها القيادات الغازية من الشرق أو الغرب ، أو القيادات المتناحرة فى الداخل . ولم يظهر اسم المعمارى العراقى فى العصر الاسلامى إلا فى القليل من الأعمال . فظهر اسم كل من القاسم بن ابنار وأبو شعيبة ابن الحجاج ، وهما المعماريان اللذان أوكل إليهما الحجاج بن يوسف الثقفى إنشاء دار الامارة ، التى كانت تدعى بقصر الحجاج ، وهى ضعف مساحة المسجد الجامع الذى التصقت به . كما جاء اسم الحجاج بن أرطأ كمخطط لمدينة المنصور (مدينة السلام)

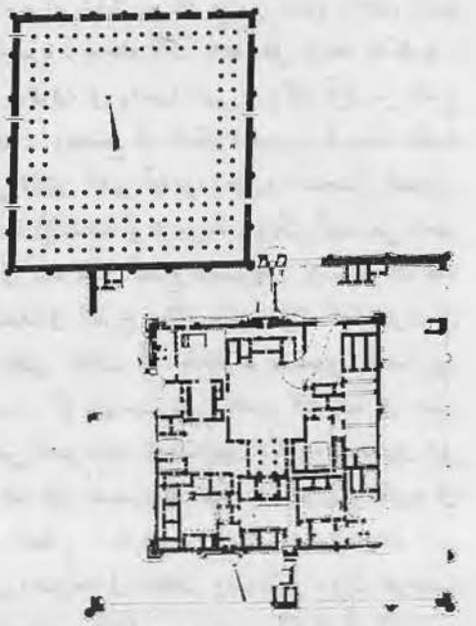

دار الإمارة والمسجد الجامع – عمارة تكررت فى الكثير من المدن العراقية .

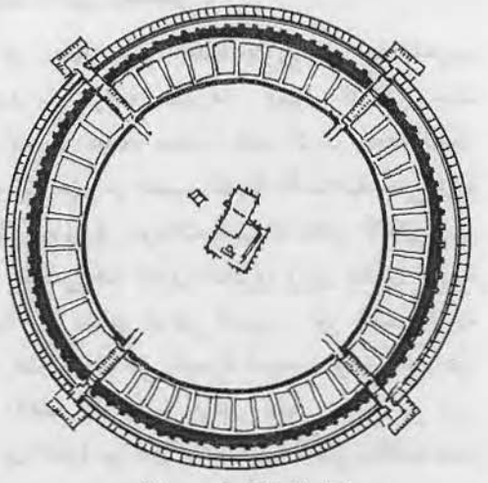

مدينة السلام الدائرية ، يتوسطها قصر الحاكم والمسجد الكبير .

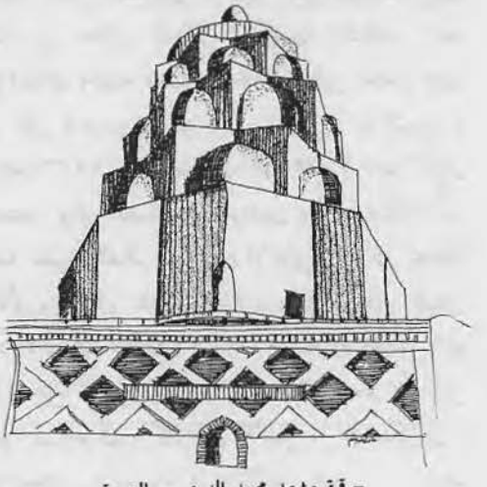

– قبة مشهد محمد الدرى – بالبصرة .

الدائرية فى بغداد . كما ذكر اسم أبو شاكر بن الفرج بن ناسوه ، البنّاء الذى بنى مشهد محمد الدرى بالبصرة . وجاء ذكر اسمه على لوحة تذكارية ، استخدمت ضمن تشكيلات زخرفية فى واجهة المبنى ، وكان أول من أبدع القبة المقرنصة على هذا المشهد . ويتضح أن الفكر المعمارى فى هذه الفترة التاريخية قد توارثته أجيال من البنّائين الذين أبدعوا وطوروا استعمال الطابوق فى البناء ، ليس فقط من الناحية الإنشائية أو الزخرفية ، ولكن أيضاً من ناحية التكامل الإنشائى الزخرفى ، فى بناء هذه النماذج المعمارية . كما يظهر أن هذا الفكر المعمارى له جذوره العميقة فى التاريخ ، الأمر الذى يؤكد استمراريته فى المراحل التاريخية المتتابعة ، ويظهر كذلك أن الحكام لم يستعينوا بالمعماريين الأجانب أو من غير المسلمين ، كما شهدت نفس الفترة التاريخية فى مصر والشام ، وإن كانت هناك بعض الممارسات للمعماريين الألمان والفرنسيين قبل الحرب العالمية الأولى . من هنا فإن استمرارية الفكر المعمارى وتطوره فى العراق على مر العصور دون انقطاع ، بالرغم من النكسات والغزوات التى تعرضت لها البلاد يساعد على وضوحه فى الحاضر والمستقبل ، وإن تعرضت البلاد لموجات من الغزو الاقتصادى والثقافى ، سواء من الشرق أو الغرب ، الأمر الذى له دلائله ومظاهره فى العمارة العربية المعاصرة فى العراق ، كحلقة من حلقات التاريخ التى تربط الماضى بالمستقبل .

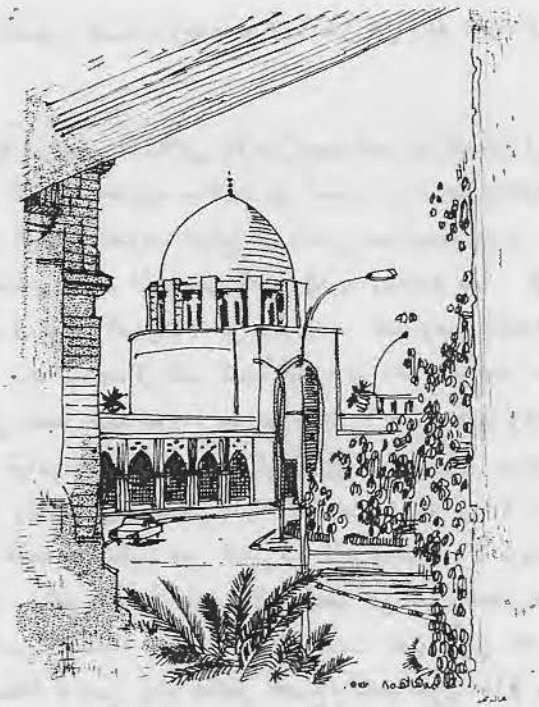

الضريح الملكى ببغداد (١٩٣٦ م) – المعمارى كوبر .

دخلت العمارة العراقية من بداية الحرب العالمية الأولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية مرحلة جديدة من مراحل تطورها . فيقول الدكتور خالد السلطانى المحاضر فى كلية الهندسة بجامعة بغداد « لقد تأثرت وحدة الفكر المعمارى العربى ، التى تبلورت على مر عصور الدولة الاسلامية حتى نهاية الحكم العثمانى ، بتقسيم الوطن العربى إلى دويلات تحت الاحتلال الانجليزى أو الفرنسى أو الايطالى . فقد انعكس هذا العزل الفكرى ، بين الدول العربية وضمور العلاقات الاعتيادية بين مناطق الوطن العربى ، على مختلف أوجه التعاون الثقافى ، وانسحب هذا العزل على العمارة أحياناً . ومع ذلك فإن انتقال الفكر المعمارى بين الأقطار العربية لم يتوقف كلية . فليس من باب الصدفة أن يعمل فى العراق فى الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية عدد من المعماريين السوريين مثل « بدرى قدح » و « عباس هبة الدين » . ومع الاحتلال الانجليزى للعراق بدأ تأثير المعماريين الانجليز الذين أوكلت إليهم تصاميم مختلف المبانى العامة من خلال الدوائر الحكومية المختلفة . فقد استحدثت لأول مرة فى تاريخ العراق وظيفة معمارى الحكومة التى تعاقب عليها عدد من المعماريين الانجليز مثل « ميسون » و « كوبر » و « جاكسون » ومساعده « باكستر » حتى عام ١٩٣٦ ، عندما عين أحمد مختار ابراهيم كأول عراقى فى هذا المنصب ، واستمر توالى المعماريين العراقيين فيه . وهكذا تأثر الفكر المعمارى العراقى فى هذه الفترة بالفكر المعمارى الانجليزى الأكثر محافظة بالنسبة للفكر المعمارى الأوروبى فى هذه الفترة ، بالرغم من ظهور الاستخدامات المنطقية للمواد الانشائية الجديدة ، وما أحرزته فى انجلترا ذاتها والتى أثرت بمحصلتها النهائية على تطور العمارة الحديثة فى العالم . ولكن المعماريين الانجليز الذين عملوا فى العراق ، كانوا فى الأصل من العسكريين ؛ مثل الميجور « ولسون » والميجور « ميسون » والكابتن « ترنر » ، وهم

المدرسة الجعفرية ببغداد (١٩٤٦) جعفر علاوى .

المحافظين على الأساليب الكلاسيكية فى العمارة ، هذا بالاضافة إلى توظيفهم للعمارة فى الربط الثقافى مع الاتجاهات السائدة فى بريطانيا فى ذلك الوقت ، شأنها شأن الجوانب السياسية والاقتصادية . وكان بعض هؤلاء المعماريين قد عملوا فى الهند وحاولوا إضفاء بعض الجوانب الشكلية للعمارة المحلية على ما يقومون به من أعمال . كما حاولوا تطبيق نفس المبدأ على ما يقومون به من أعمال معمارية فى العراق طيلة ربع قرن ، ومنها جامعة آل البيت (١٩٢٢ م) للمعمارى « ولسون » مدير الأشغال العامة ، والمعمارى « ميسون » والكابتن « ترنر » ، والتى بنى منها الكلية الدينية فقط ، واستعملوا فى تصميمها الجدران الحاملة السميكة والأقبية والعقود . وكان الطابوق هو المادة الانشائية الأساسية للمبنى . وهكذا غلبت المادة المحلية على البناء مؤكدة استمرارية العمارة من خلال الثوابت البيئية فى العراق . كما قام نفس المعماريين بوضع تصميمات مطارى بغداد والبصرة (عام ١٩٣١ م) وقصر الزهراء (١٩٣٣ م) التى تعكس الملامح المعمارية الكلاسيكية أو الانجليزية ، ثم مبنى المقبرة الملكية التى صممها « كوبر » (١٩٣٦ م) ، واستخدم فيها بعض عناصر العمارة العربية القديمة بصورة آلية دون اعتبار للتقدم التكنولوجى المعاصر . وصمم « كوبر » أيضاً مدرسة الهندسة فى منطقة باب المعظم ببغداد (١٩٣٧ م) وتشغله الآن كلية الهندسة التابعة لجامعة بغداد ، واستعمل فيها الحوائط الحاملة التى تعبر عن مادة البناء المحلية فى محاولة لربط المبنى بالبيئة . ومن الأبنية الهامة التى أقيمت فى هذه الفترة مستشفى « مود » فى البصرة (١٩٢١ م) للمعماريين « ولسون وميسون » ، ودار المعلمين الابتدائية فى الأعظمية (١٩٣٦ م) للمعماريين « كوبر وجاكسون » ، ومستشفى المجنونين فى بلدة العمارة (١٩٣٦ م) للمعماريين « جاكسون والحسينى » ، ومبنى النادى الأوليمبى فى بغداد (١٩٤٠ م) للمعمارى العراقى أحمد مختار ابراهيم . فقد حاول المعماريون الذين عملوا فى هذه الفترة أن يعبروا نوعاً من الاعتبار لخصائص المناخ فى العراق ، وأن يستخدموا بعض الوسائل المعمارية سعياً لتقليل سلبيات المناخ السائد وإن كانت لا تخرج عن كونها أساليب تقليدية وشائعة فى عمارة بلدان المناخ الحار . وتعتبر العمارة فى فترة ما بين الحربين عمارة واجهات ، الممتدة من عمارة عصر النهضة بالرغم من ظهور نظريات لأعمال رواد العمارة فى العالم فى هذه الفترة . وفى هذه الفترة التاريخية بدأت العمارة العربية فى العراق تدخل فى إطار التفاعلات المعمارية العالمية متأثرة بالفكر المعمارى المنقول مباشرة عن طريق المعماريين الأجانب ، أو غير مباشرة عن طريق المعماريين المحليين الذين تعلموا فى الخارج . وهو نفس التأثير الذى شاهدته العمارة العربية فى بلدان المشرق العربى فى هذه الفترة من التاريخ .

- جامعة آل البيت (١٩٢٢ م) – المعمارى ولسن .

جزء من واجهة قصر الزهور

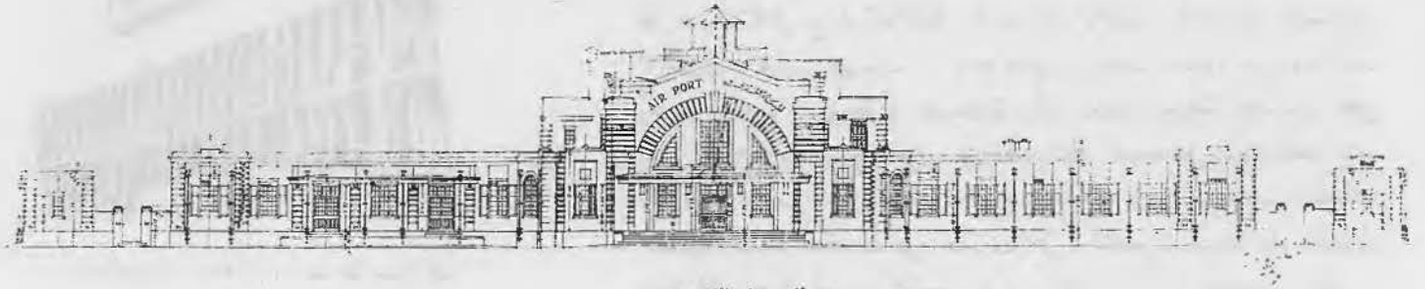

مطار بغداد القديم

بعث الأصالة في العمارة العربية المعاصرة بالعراق

بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وفى بداية الخمسينيات ، بدأ المعمارى العراق يأخذ موقعه فى توجيه العمارة المحلية بعد فترة الادارة الانجليزية لمشروعات التعمير والبناء فيها . كما ظهرت المجموعات الفنية المتخصصة والمتكاملة التى تساعد المعمارى على انجاز أعماله . وبدأت تعود إلى العراق مجموعات من المعماريين ، الذين درسوا فى انجلترا وألمانيا وأمريكا ومصر وبعدها من بولندا وروسيا وغيرها من دول الكتلة الشرقية ،حاملين معهم معالم الفكر المعمارى الغربى الحديث نظرياً وتكنولوجياً . وساعد على ذلك التقدم الهائل فى وسائل النقل والاتصالات ، الأمر الذى أدى إلى سهولة هجرة الأفكار المعمارية والتكنيكية وانتقالها . وهو ما انعكس على المدارس المعمارية المحلية وعلى برامج وخطط التعليم المعمارى فيها بهدف الوصول بها إلى مصاف المدارس العالمية . فقد عاد إلى العراق المعمارى جعفر علاوى عام (١٩٤٠ م) وبعده مدحت على مظلوم (١٩٤١ م) وقبله أحمد مختار ابراهيم (١٩٣٥ م) وحازم فايق (١٩٣٦ م) وسامى قيردار (١٩٣٨ م) ، ثم أعقبهم عبد الله إحسان (١٩٤٣ م) ومحمد مكية (١٩٤٦ م) ليصل عدد المعماريين العراقيين فى نهاية الخمسينيات نحو نيف وعشرين ، ومع الركود النسبى فى حركة العمران أثناء الحرب الثانية بدأ المعماريون العراقيون فى دراسة المواد المحلية ، والاحتكاك مع المعماريين الأجانب ، الأمر الذى ساعد على تنمية مداركهم الفنية والعلمية وهيأهم لاستقبال مرحلة جديدة من النشاط المعمارى فى الخمسينيات ، وهى الفترة التى ارتقى فيها الانتاج الفنى العراق من شعر ورسم وأدب . ومع النمو الاقتصادى من انتاج النفط بدأت تتجه الأموال إلى مشاريع التعمير والتنمية ، الأمر الذى انعكس بالتبعية على الانتاج المعمارى فى البلاد ، وبدأت العمارة العراقية تأخذ أبعاداً جديدة ارتفعت فيها المبانى حتى كادت تطغى على القباب والمآذن ، والتى كانت علامات فى بناء المدن العراقية . فقد صمم « مدحت مظلوم » عام ١٩٤٦ م مبنى « سوفير » فى شارع الرشيد ببغداد من أربعة أدوار ، كما صمم « نيازى فتو » عام ١٩٤٨ م عمارة الدامرجى من ستة أدوار ، ثم فى عام ١٩٥٣ بدأت تظهر عمارات أكثر ارتفاعاً مثل عمارة « الدفتردار » من (١٤) دور ، والذى ساهم فى تصميمها المعمارى العراق عبد الله إحسان كامل مع شركة ألمانية ، ثم مصرف الراشدين (١٥) دور للمعمارى الانجليزى « فيليب هيرست » . ومع دخول نوعيات جديدة من مواد البناء وطرق الإنشاء المستوردة أو المستحدثة بدأت العمارة العراقية تفقد ثوبها المحلى لتلبس أزياء غريبة النسج واللون . وانعكس ذلك بالتبعية على الذوق العام الذى تأثر بالقيم الحضارية الواردة من الخارج . وبدأت تظهر لدى المجتمع تطلعات حضارية جديدة انعكست على المعمارى المحلى . فانحسرت حرفة البناء بالطابوق لتحل محلها حرف أخرى كالكساء بالمرمر والحجر أو أنواع المعادن أو البياض .

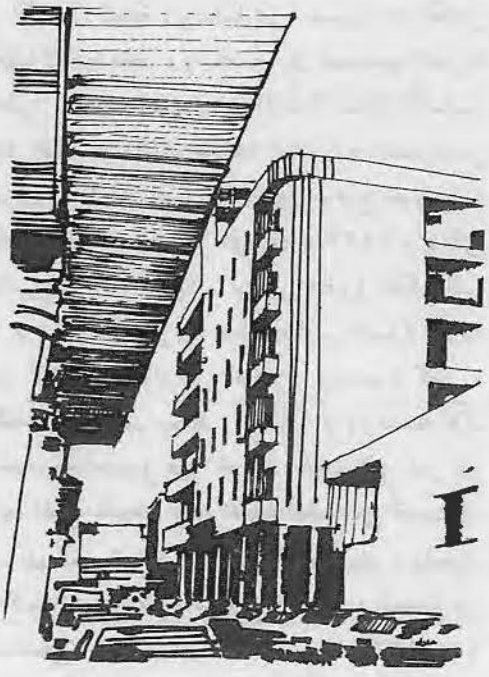

عمارة الدامرجى (١٩٤٨) من تصميم نيازى فتو

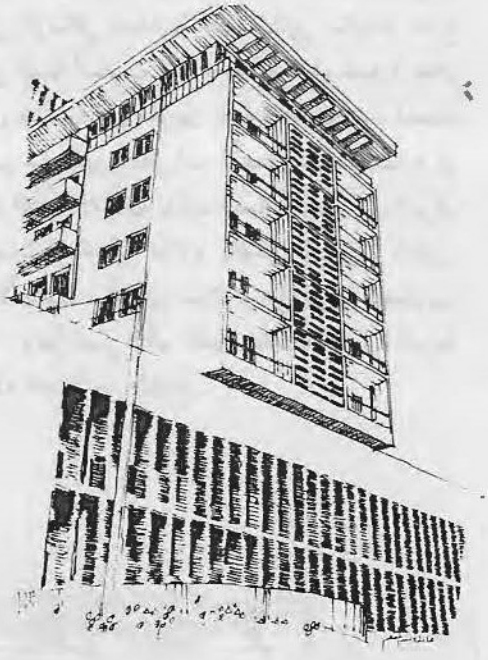

عمارة الدفتردار (١٩٥٣ م) - عبد الله إحسان كامل

وظهر ذلك فى بناء مصرف الرافدين ومبنى بنك بغداد للمعمارى « ريتجى » و « جبرائيل خمو » عام ١٩٥٧ والبنك العثمانى للمعمارى « فيليب هيرست » و « العرنى » و « كوبر » عام ١٩٥٦ م . وهكذا دخلت نظم التبريد والتدفئة المركزية وكذلك أنواع المصاعد الكهربائية للانتقال إلى الأدوار المرتفعة . وإذا كانت هذه الظاهرة قد وضحت على المبانى العامة خاصة المبانى التجارية مثل البنوك إلا أنها لم تظهر بنفس القوة على المبانى الادارية الحكومية . كما لم تؤثر كثيراً على المبانى الشعبية فى العمارات أو المساكن المنفردة . كما كان للفكر المعمارى الغربى ، الذى انتقل إلى العراق عن طريق المراجع الأجنبية من كتب ومجلات ، كما انتقل عن طريق الدارسين فى الخارج أثره على المعمار . فقد بدأت تظهر بعض العناصر المعمارية التى تغلف الواجهات مثل كاسرات الشمس أو الستائر المبنية ، وهى من سمات العمارة البرازيلية فى هذه الحقبة ، والتى لاقت رواجاً كبيراً فى المشرق العربى . كما كانت من الارهاصات المعمارية للكوربوزيه التى ظهرت فى الجزائر (١٩٣٨ م) وتونس (١٩٣٢ م) . وظهرت هذه الملامح فى عمارة المعماريين العراقيين أمثال عبد الله إحسان كامل ، ورفعة الجادرجى ، وهشام منير ، والانجليزى « فيليب هيرست » . كما ظهرت فى هذه الفترة بعض الأعمال المعمارية المرموقة مثل مبنى « مشغل الهلال الأحمر » للمعمارى « ألين جودت الأيوبى » عام ١٩٤٨ م . وبه أيضاً مبنى مدرسة ثانوية للبناء بمنطقة المنصور ببغداد عام ١٩٥٦ م ، أبرزت فيه ملامح البيئة العراقية باستعمال مواد البناء التقليدية فى أشكال مستحدثة . كما تمثل أعمال عبد الله إحسان كامل الذى تعلم فى ليفربول وهارفارد صورة عامة لعمارة فترة الخمسينيات مثل مبنى المصرف الزراعى (١٩٤٩ م) وخان الباشا (١٩٥٦ م) ومصرف الرهون (وزارة المالية حالياً) (١٩٥٧ م) ومبنى الشورجة وعمارة أحمد عبد اللطيف فى شارع المستنصر وغيرها من الأعمال . وظهر فى الخمسينيات ، أيضاً « جعفر علاوى » الذى صمم المدرسة الجعفرية (١٩٤٦ م) ومبنى سامى سعد الدين فى ساحة الصافة (١٩٤٩ م) ومدرسة دار المعلمات (وزارة التربية الآن) (١٩٥٧ م) وعمارة مرجان فى الباب الشرقى فى بغداد (١٩٥٣ م) ، كما ظهر المعمارى مدحت على مظلوم الذى صمم مسبح البلدية (١٩٤٧ م) وعمارة سوفير فى شارع الرشيد ببغداد (١٩٤٦ م) وسينما الأضرواملى (١٩٤٦ م) ، ومبنى جمعية النور فى الصالحية ، ومبنى كلية الاقتصاد والسياسة (١٩٥٦ م) . كما ظهر أيضاً فى نفس الفترة المعمارى العراقى الدكتور محمد مكية الذى قام بتصميم العديد من البيوت السكنية الذى بدأ يوظف فيها الطابوق كمادة رئيسية للانهاءات ، وذلك فى أوائل محاولاته لتأصيل القيم المعمارية المحلية فى العمارة المعاصرة كما صمم مبنى مستوصف فى ساحة السباع (١٩٤٩ م) وفندق ريجنت بالاس فى شارع الرشيد ، وفى نفس الاتجاه بدأ يظهر معمارى آخر هو « رفعة الجادرجى » الذى صمم سوق الشوربجى فى منطقة الشيخ عمر ببغداد (١٩٥٤ م) ودار عائلة « كتخدا » عام (١٩٥٥) فى ساحة الفردوس ، كما ظهر أيضاً « قحطان عونى » الذى صمم مبنى مستشفى الفردوس بالعلوية ببغداد ، ومع هؤلاء مجموعات أخرى من المعماريين الذين ساهموا فى تشكيل عمارة الخمسينيات فى العراق بمدنها المختلفة . وكانت السمة الغالبة على عمارة هذه الفترة هى محاولة التجديد والخروج من الأنماط المحلية واستعمال أنماط

- مصرف الرافدين وبنك بغداد (١٩٥٧ م) - جبرائيل خمو وريتجى .

البنك العثمانى - بغداد
نيازى فيتو وفيليب هيرست

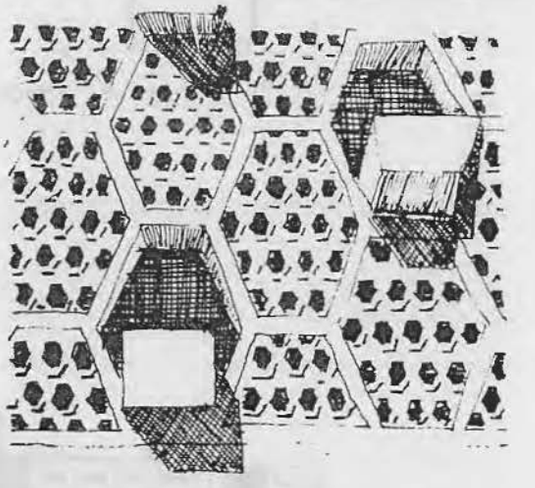

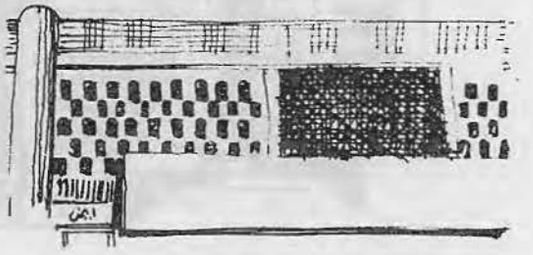

عمارة خان الباشا (١٩٥٧) من أعمال م. عبدالله إحسان كامل

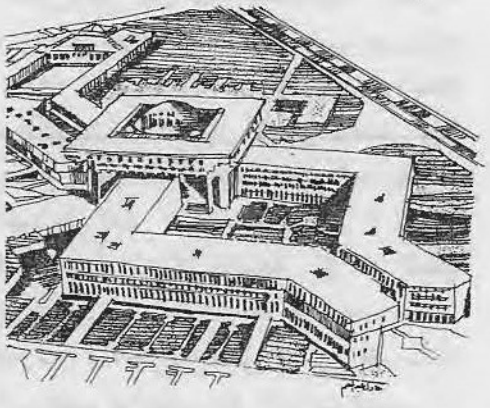

المجمع الزراعي – هشام منير ١٩٧٥

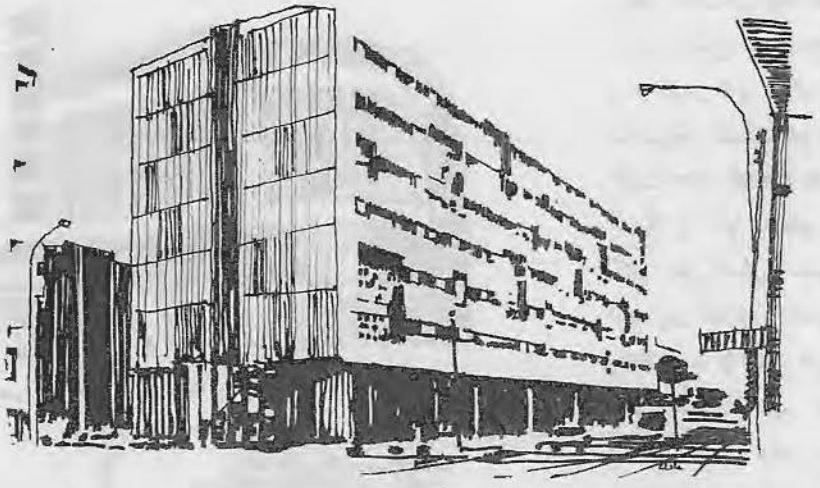

مبنى إداري ببغداد من أعمال المعماري قحطان عرفي

عمارة التأمين ببغداد من أعمال المعماري/ رفعة الجادرجي

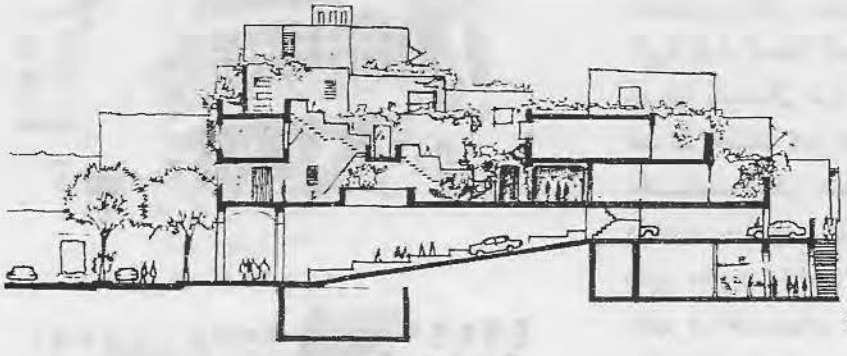

– مشروع باب الشيخ ببغداد – من تصميم المعماري أوف آروب .

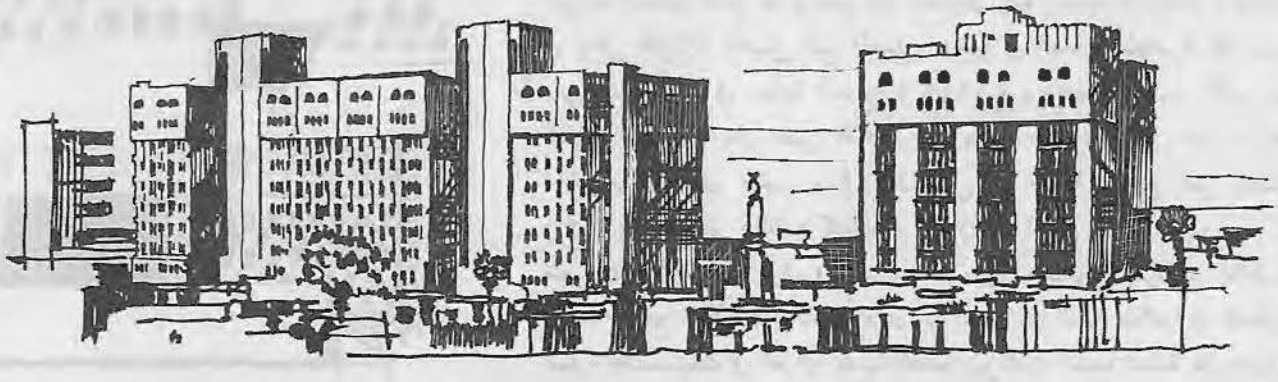

الواجهة الخلفية للمباني السكنية ومبنى المكاتب – مشروع تطوير شارع الخلفاء ببغداد ١٩٨٠

معمارية مستحدثة توفرها مواد البناء وطرق الانشاء الجديدة . فكان الناتج المعمارى العام خليطاً من الأشكال والتعبيرات المعمارية المختلطة بالفكر المعمارى الغربى . وهكذا تأثر الطابع المعمارى للمدن معبراً عن المتغيرات الحضارية التى انتقلت إليها من الغرب والشرق على حد سواء . ولم يع هذا الوضع إلا مجموعات قليلة من المعماريين المحليين الذين بدأوا فى أوائل الستينيات البحث عن الاصالة الحضارية للعمارة المحلية . فقد شهدت هذه الفترة أنماطاً معمارية لا تختلف كثيراً عن غيرها من مصر والشام أو الجزيرة العربية ، خليط من الانفعالات المعمارية مع خليط من مواد وطرق الانشاء المستحدثة دخلت البلاد نوعيات من المواد والصناعات المستوردة مع ما تحمله من قيم حضارية دخيلة غيرت من بعض الملامح العامة للانسان فى العراق ومتطلباته المعيشية .

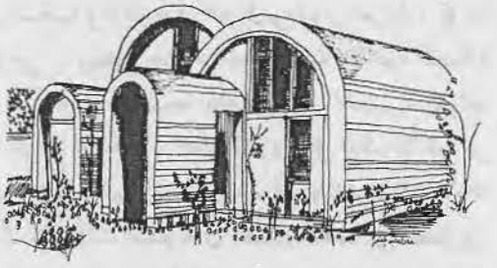

فيلا حمود – بغداد – رفعة جادرجى

دخل المعمارى الغربى العراق مع الاحتلال البريطانى كما دخلها بعد ذلك مع زيادة عائدات البترول والرغبة فى بناء صروح عمرانية تقفز ببغداد العاصمة إلى مصاف المدن المتقدمة فدعا لذلك أعلام العمارة الغربية فى أوائل الستينيات مثل « فرانك لويدرايت » الأمريكى و « لوكوربوزيه » الفرنسى السويسرى و « الفارآلتو » الفنلندى و « بيرلويجى نيرفى » الايطالى ، فقام مكتب المعماريين المتحدين (جربيوس) بتخطيط وتصميم جامعة بغداد ولم يتم لغيرهم من المعماريين تحقيق مشروعاتهم الكبيرة . ومن أوائل الستينيات بدأ التأثير المعمارى الغربى فى العراق مصحوباً بالمعونات الفنية من العديد من دول شرق أوربا خاصة روسيا وبلغاريا وألمانيا الشرقية وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا . ومن أوربا الغربية قدمت شركات استشارية مثل دكسيادس لتضع التخطيط العام لبغداد مع مشروعات للاسكان الاقتصادى . وفى عام ١٩٥٩ م أنشىء قسم للعمارة فى جامعة بغداد فى إطار كلية الهندسة برياسة الدكتور محمد مكية ، الذى بدأ مرحلة جديدة فى تاريخ العمارة العراقية المعاصرة ، حررتها من المؤثرات الغربية مع تأصيل القيم الحضارية فى العمارة العراقية المعاصرة . وبدأ هذا الاتجاه يظهر بوضوح فى تصميم مسجد الخلفاء فى بغداد (١٩٦٣) ومسجد الدولة فى الكويت عام (١٩٨٢) . كما ظهر هذا الاتجاه واضحاً أيضاً فى تصميمه لعدد من المبانى التعليمية ، وإن كان تصميمه لمبنى وزارة الخارجية فى بغداد يحمل بعضاً من ملامح مبنى بلدية بوسطن بالولايات المتحدة ، وهو المبنى الذى كان له تأثير قوى على العديد من المشروعات المعمارية فى المشرق العربى . وينقسم نشاط مكية بين بغداد ولندن وعدد من دول الخليج العربى . وفى نفس الحقبة ظهرت أعمال المعمارى هشام منير ، الذى رأس قسم العمارة بجامعة بغداد فترة من الزمن (١٩٦٨ – ١٩٧٢) . وقد ارتبط عمل هشام منير بفكر شركائه من المعماريين الأمريكيين ، الذى يعبر عن عمارة الدولة الصناعية . ويظهر ذلك فى مساهمته فى تصميم مشروع جامعة بغداد (منذ ١٩٥٧) وجامعة الموصل (١٩٦٦) مع نفس المجموعة الأمريكية ، حيث ظهرت ملامح العمارة المحلية أكثر وضوحاً . ومن بداية الستينيات بدأت أعمال رفعة الجادرجى تظهر معبرة عن اتجاهاته المعاصرة المرتبطة بالتراث المعمارى العراقى ، كما يظهر فى مبنى شركة الدخان (١٩٦٦) متأثراً بالعمارة التاريخية فى العراق مثل قصر الأخيضر ومسجد سامراء ، ثم استمرت إضافاته المعمارية

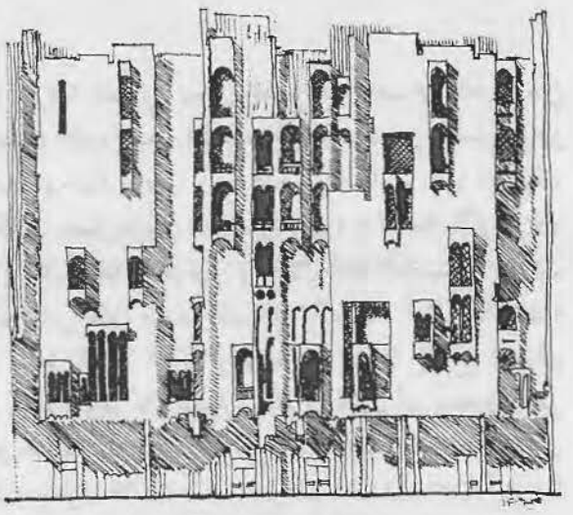

مبنى اتحاد الصناعات – رفعة جادرجى

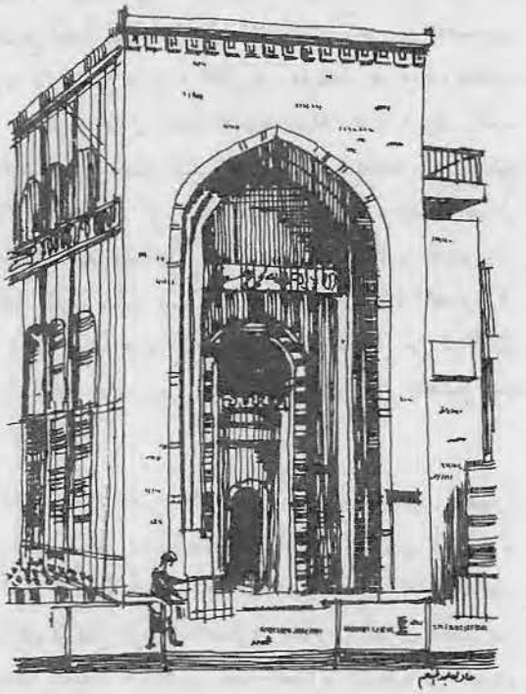

– جامع الخلفاء – بغداد (١٩٦٣ م) محمد مكية .

تتبلور فى العديد من المبانى السكنية والادارية فى العراق والدول العربية ، كما بدأ نشاطه على المستوى الخارجى . ويظهر من مراجعة الحقبة الأخيرة للعمارة المعاصرة فى العراق ظهور الاتجاهات الواضحة لتأصيل القيم الحضارية العراقية فى العمارة المحلية المعاصرة بالرغم من ظهور التأثير الغربى على الكم الأكبر من الانتاج المعمارى فى العراق . فقد استمر المعمارى العراق بذلك يترك علاماته المميزة فى العمارة خاصة وأن السلطات المسئولة فى العراق تحافظ على المعماريين العراقيين للعمل داخل العراق ، بخلاف ما يشاهد فى مصر ، حيث ترك عدد كبير من شباب المعماريين البلاد للعمل فى دول البترول أو فى أمريكا وأوربا وأفريقيا .

مشروع شارع حيفا .
الجزء الأول

وتتميز العمارة العراقية المعاصرة ببعض المشروعات العمرانية الكبيرة مثل مشروع شارع حيفا ، الذى صمم قطاعاته المختلفة عدد من المعماريين من بلجيكا وفرنسا ولندن ومالطة وانجلترا ، مع عدد من المكاتب المحلية العراقية ، التى تتعامل مع مكاتب معمارية مثل « على موسوى » و « معاذ الألوسى » ، وتعمل كلها تحت إشراف رفعة الجادرجى من خلال أمانة العاصمة فى بغداد ، ومشروع شارع أبو نواس الذى صممه المعمارى الكندى « آرثر أريكسون » (١٩٨٢) . وهنا يدخل التأثير الغربى واضحاً فى صياغة الفراغ العمرانى للمدينة العربية فى بغداد ، وإن كان المعمارى الغربى يحاول أن يستعمل بعض العقود والأقواس فى الغلاف المعمارى الخارجى . وهنا أيضاً يبدو التأثير الغربى واضحاً فى مواد البناء وطرق الانشاء ، فتتراجع القيم الحضارية المحلية أمام هذا التيار الغربى ، وإن كان المشروع الاسكانى فى باب الشيخ ببغداد ، وهو من تصميم المكتب الانجليزى (أوف آروب) يحتوى على بعض المحاولات المعمارية المنتمية إلى البيئة المحلية ، خاصة فى استعمال الأفنية وتدرج الفراغات الخارجية . وفى باب الشيخ أيضاً مشروعات إسكان لعدد آخر من المعماريين الأجانب مثل « شيرود وروبسن » و « كالفريد موتشلر » و « ريتشارد انجلند » وفيها محاولات معمارية تحاول أيضاً الانتماء للبيئة المحلية ، وإن كانت آثار العمارة الغربية سائدة فى كل هذه المشروعات ، التى تعتمد على تصنيع البناء واستيراد معظم مكوناتها . ومع كل هذه المعاناة المعمارية ، فإن الرغبة فى البحث عن الأصالة فى العمارة العراقية المحلية تزداد باستمرار ، الأمر الذى يبشر بنتائج إيجابية فى هذا الاتجاه الذى بدأت تسمع أصداؤه فى الأوساط المعمارية فى معظم الدول العربية ، وإن كانت هذه الأصداء تزداد وتنقص من دولة إلى أخرى ، تبعاً لقناعة المسئولين فيها عن اتخاذ القرار ، وتقبّل المجتمع لهذه الاتجاهات تبعاً لتفهمه الثقافى .

مشروع تطوير شارع حيفا
الجزء الثانى

مع كل الانجازات المعمارية المعاصرة التى تمت فى العراق فإن الصورة المعمارية العامة لا يمكن قياسها على ما يقدمه قادة الفكر المعمارى فى الدولة سواء كانوا يعملون فى اتجاه الأصالة أو فى اتجاه المعاصرة أو فى كلا الاتجاهين معاً . فهذا الانتاج المعمارى لا يمثل الوضع المعمارى العام فى العراق الممتد من الشمال إلى الجنوب ببيئاته المختلفة ، والذى تمثله العمارة الشعبية فى القرى والمدن على حد سواء . فالانجاز المعمارى هنا دائماً يقاس بالمقاييس المعمارية التقليدية أو الأكاديمية . وتبقى عمارة الانسان الذى يبنى الحجم الأكبر من

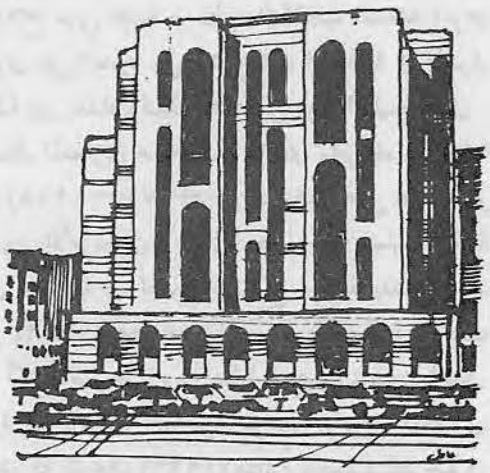

مشروع تطوير شارع حيفا
الجزء الثالث

العمران بعيدة عن التقييم أو القياس ، مع أنها الممثل الحقيقى للواقع المعمارى عند الشعوب . فعمارة الإنسان فى الجنوب العراق تعكس بصدق البيئة المحلية التى تتميز بالأحراش والمستنقعات ، كما تعكس بصدق متطلبات المجتمع المحلى فى حركته الاقتصادية وسلوكياته الاجتماعية . من هنا نشأت عمارة الأعشاب التى تبنى منها المساكن ووسائل الحركة على مياه المستنقعات . وعمارة الانسان فى وسط العراق تعكس بصدق البيئة الزراعية المحلية التى تتميز بالسهول والوديان ، كما تعكس بصدق متطلبات المجتمعات الريفية سواء فى القرى أو المدن ، وإن ظهرت بينها بعض النماذج الشاذة للعمارة ، التى فقدت شخصيتها وذاتيتها ، باقتباسها بعض ملامح أو مفردات العمارة الوافدة من الغرب . وعمارة الانسان فى الشمال تعكس أيضاً وبصدق البيئة الجبلية بمواد البناء المتوفرة فيها وبالأجواء الباردة التى تتميز بها ، كما تعكس متطلبات المجتمع الزراعى أو الصناعى أو الجبلى فى المجتمعات السكنية الصغيرة والكبيرة أيضاً ، بالرغم من ظهور تلك النماذج المعمارية الشاذة بينها والتى تزداد أو تنقص تبعاً لدرجة التأثير الحضارى الخارجى على العمران المحلى ، فعمارة الشعوب تقاس بالمقاييس الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمع قبل أن تقاس بالمقاييس المعمارية التقليدية أو الأكاديمية . فالعمارة فى النهاية هى نتيجة لرغبات المجتمع وقدرات المعمارى فى المدينة ، أو البنّاء فى القرية ، مع ما توفره البيئة من مواد وطرق للانشاء . من هنا يمكن وضع المقاييس التى تبين الوضع الراهن للعمارة المحلية فى العراق ، فى ضوء التحولات الحضارية السابقة واحتمالات التطورات الحضارية المستقبلة حتى يمكن استقراء مستقبل العمارة فى العراق . أما إذا قيست العمارة بالمقاييس التقليدية أو الأكاديمية ، فإن التقييم سوف ينحصر فيما يقدمه الفكر المتقدم من وجهة نظر المعمارى وليس من وجهة نظر المجتمع . وهذا يستقر فى عينات قليلة من الأعمال المعمارية الكبيرة التى يقوم بها كبار المعماريين . وفى جميع الحالات سوف تستمر العمارة فى العراق متأثرة بالتفاعلات الداخلية والخارجية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً وهكذا يتفاعل المجتمع مع قدرات المعمارى والبنّاء فى كل موقع للبناء .

مشروع تطوير شارع حيفا
الجزء الرابع

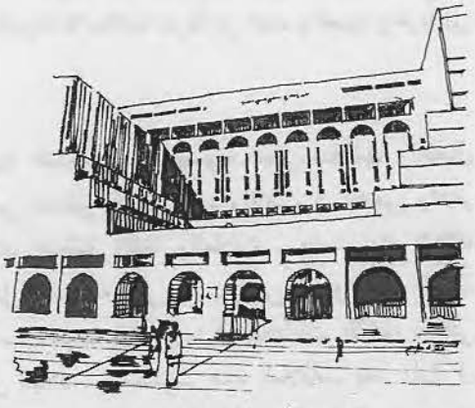

مشروع تطوير شارع حيفا
الجزء السادس

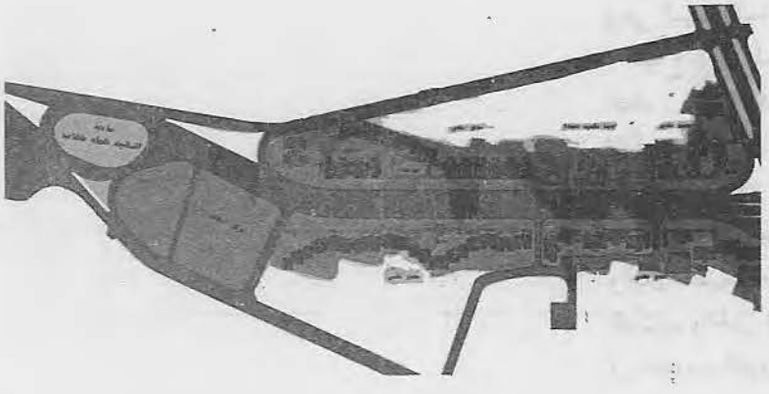

المرحلة الأولى والثانية والثالثة من مشروع تطوير شارع حيفا

الخصائص البيئية التى شكلت عمارة الشام

تؤثر الخصائص البيئية فى العمارة على مر العصور تأثيراً مباشراً فيما توفره لها من مواد محلية للبناء أو مؤثرات حضارية . ويظهر هذا التأثير قوياً فى العصور الأولى حتى الثورة الصناعية ودخول العالم حلقته التاريخية الثانية ، التى زاد فيها التأثير المتبادل بين دول العالم اقتصادياً وثقافياً ومعمارياً . والمنطقة الثانية فى هذه الدراسة هى منطقة الشام التى تضم سوريا وفلسطين ولبنان والأردن . وهى منطقة متجانسة المعالم الجغرافية والحضارية ، ومن ثم متجانسة المعالم المعمارية . وكانت المنطقة تسمى بسوريا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . فقد كانت سوريا القديمة مهد اليهودية ومكان مولد المسيح ثم مقراً للدولة الأموية بعد الفتح الاسلامى . من هذا المكان ظهرت الأبجدية التى أنارت طريق العلم والمعرفة أمام العالم فى عصر الدولة الاسلامية شرقاً إلى الهند والصين وغرباً إلى أسبانيا وفرنسا .

خريطة توضح المعالم التاريخية والأثرية فى بلاد الشام

اجتذبت أرض الشام منذ القدم بسبب خصوبة بعض مناطقها واعتدال جوّها العديد من القبائل من المناطق المحيطة بها ، وأقامت فى حمص وتدمر والبتراء ، وامتزجت بسكان المنطقة باللغة والعادات . واستمرت العلاقة التجارية بين قبائل المنطقة مثل الغساسنة وبنى كليب وبنى لخم والقبائل العربية فى نجد والحجاز . وظهر اسم العرب فى سوريا فى الكتابات الآشورية التى ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد . واستمرت هذه العلاقات بعد ذلك فى العصور التالية حتى العصر الاسلامى كما فى رحلة الصيف التجارية من الحجاز إلى الشام . وكما كانت الشام على مر العصور وبسبب موقعها الجغرافى بين القارات الثلاث ملتقى للثقافات والحضارات بين الشرق والغرب .

تتميز جغرافية الشام بثلاث مناطق متوازية تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وهى السهل الساحلى ثم سلسلة جبال الغرب تليها بادية الشام وحوض التصدع (البقاع) ثم سلسلة الجبال فى الشرق . وهنا تظهر مادة الحجر كمادة أساسية فى البناء ، الأمر الذى ميز عمارة هذه المنطقة على مر العصور . وقد أعطى التكوين الجغرافى للشام خاصية مستقلة تفصلها عن المناطق الشرقية ، ولا يتم الاتصال إلا من خلال نقطتين فى الطرف الشمالى والجنوبى . كما أدى هذا التنوع فى تضاريس المنطقة وألوان تربتها وصخورها وتباين المناخ بين أجزائها والتغير الطبيعى من ساحل البحر إلى السهل إلى غابات الجبال أدى إلى الاثراء الفكرى والحس الجمالى . وكانت الشام تمثل طريق الحركة الحضارية بين مصر فى الجنوب الغربى وبلاد ما بين النهرين فى الشرق .

حدثت هجرة سكانية حوالى عام ٣٥٠٠ ق . م من البدو الرحل فى شبه الجزيرة العربية إلى منطقة ما بين النهرين وامتزجت مع السومريين . وبعد حوالى ألف عام تعرضت المنطقة لهجرة من الأموريين إلى سهول سوريا الشمالية . وفى نفس الوقت هاجر إلى سواحل المنطقة الشعب الكنعانى الذى أطلق عليه اليونانيون اسم الفنيقيين . وفى الفترة من ١٥٠٠ – ١٢٠٠ ق . م دخل الأراميون إلى سوريا والفلسطينيون إلى جنوب غرب الاقليم والعبرانيون إلى القسم الجنوبى . وفى حوالى ٥٠٠ سنة ق . م أقام الأقباط حضارة رفيعة فى الجنوب الشرقى ، وكانت عاصمتهم « البتراء » . وفى القرن الثانى الميلادى أقامت بعض القبائل العربية فى « حمص » و « تدمر » ، ثم جاء العرب مع الفتح الاسلامى فى القرن السابع الميلادى . وهكذا اختلطت بعض الشعوب فى المنطقة وانصهرت فى كيان واحد بعد الفتح الاسلامى إلى أن فرق بينهم التقسيم الاستعمارى بعد ذلك فى هذه المنطقة . بدأ الاستقرار الزراعى فى مناطق السهول والوديان حوالى ٦٠٠٠ سنة ق . م وبدأت معه عمارة الطين أو اللبن فى مساقط دائرية أو مستطيلة تتناسب مع تكنولوجيا البناء البدائية . ثم بدأ الإنسان الأول يتطلع إلى الظواهر الكونية حوله ويعبر عنها فى الأسطح الداخلية لمسكنه . وقد أدت البيئة الطبيعية إلى إحاطة التجمعات السكنية بأسوار من الحجر بهدف الحماية . وبعد الاستقرار واتساع حركة التجارة مع مصر من جهة وبلاد ما بين النهرين من جهة أخرى ظهرت الكتابة وبدأ تسجيل التاريخ فى هذه المنطقة .

معبد بيتراء

دلت الحفريات على وجود مستوطنات بشرية فى تل (مريبط) على الضفة الشمالية لنهر الفرات (٨٥٠٠ – ٦٩٠٠ ق . م) وفى تل « تيراس » على الشاطىء الأيمن للنهر (٦٤٠٠ – ٥٩٠٠ ق . م) ، وهى أقرب المستوطنات إلى جنوب الأناضول ، الأمر الذى أدى إلى وجود علاقة بين الحضارتين فيهما . وفى هبوبه وعلى الضفة اليمنى للجزء الأوسط من الفرات وجدت مدينة صغيرة (٣٥٠٠ – ٣٣٠٠ ق . م) بها مبان سكنية متلاصقة ، استعلمت فيها الأفنية ، كما وجد فيها أمثلة للمدخل المنكسر الذى يوفر الخصوصية فى الاستعمال السكنى . كما وجد فى منطقة تل براك (٤٣ كيلو متراً شمال مدينة الحسكة) عدد من المساكن التى تُماثل فى مساقطها ذات الصالة المركزية مسقط المعبد ، وقد استعملت فيها المواد المحلية مثل البوص المغطى بالأسفلت فى الأسقف والطين المزين بأشكال نباتية من الحجر الأبيض والأحمر والأسود وهكذا بدأت ملامح العمارة المحلية تظهر فى هذه المنطقة .

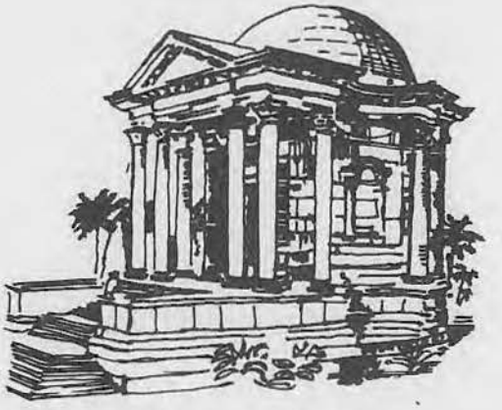

معبد فينوس – بعلبك

لقد تأثرت المنطقة بحكم موقعها الجغرافى بالحضارتين السومرية والبابلية فى الشرق والحضارة المصرية فى الجنوب الغربى . ثم بعد ذلك تأثرت بحضارة هندية أوروبية عبر كريت واليونان وروما ، بالاضافة إلى تأثيرات هندية إيرانية من الهند وبلاد فارس . وتظهر ملامح العمارة الأولى فى القصر والبيت الدائرى فى ماري وفى مدينة « إيلا » (تل مرديخ) . كما ظهرت هذه الملامح فى مدن الكنعانيين الذين كانت لهم علاقة قوية مع مصر واليونان ، واعتمدوا فى حضارتهم على الزراعة والصناعات الحرفية التى ظهر فيها التأثير الآشورى فى عمارة مدينة « اسلان طاش » على نهر الفرات بالغرب من الحدود التركية . كما

ظهرت الأنماط المعمارية الحيثية الأرامية فى (تل حلف) بمنطقة نهر الخابور بأحد روافد الفرات الأوسط . وقد تعرضت الشام كذلك للحكم الفارسى بعد سقوط بابل فى ما بين النهرين عام (٥٣٩ ق . م) ثم الغزو اليونانى بقيادة الاسكندر الأكبر (٣٣٦ – ٣٢٣ ق . م) الذى استمر بعدها إلى مصر وأسس مدينة الاسكندرية ، وامتد ذلك حتى عام (٦٤ ق . م) بدخول الرومان . وهكذا ترك اليونانيون تأثيرهم العمرانى والمعمارى فى مدن المنطقة فأقيمت بها الأجورات والمبانى العامة والملاعب والمسارح كما فى « دورا أوروبس » الصالحية وأنطاكيا وأنامبا . واستمرت الشام تحت الحكم الرومانى حتى عام ٣٢٣ م حينما نقل قسطنطين عاصمته من روما إلى بيزنطة ، وتركت هذه الفترة أيضاً ملامحها العمرانية والمعمارية . وبالمقابل كان للمهندسين السوريين دور كبير فى المعمار خارج وطنهم أمثال (أبولودور الدمشقى) . وترك الرومان آثارهم فى معبد جوبتر فى بعلبك فى لبنان وتدمر ومسرح ومجلس الشيوخ . كما ظهرت فى السكن التدمرى ذى الفناء الداخلى الذى تطل عليه الغرف من خلال الأروقة التى تحيط به . وظهر أيضاً المدخل المنكسر الذى يوفر الخصوصية داخل السكن . مع قلة الفتحات أو انعدامها فى الحوائط الخارجية . واستعملت الحجارة والطوب اللبن فى البناء ، وغطى بطبقة من الجص بها زخارف هندسية ونباتية ورؤوس تماثيل اسطورية . كما استعملت الفسيفساء فى هذه المساكن وهو ما ظهر فى المساكن الاسلامية بعد ذلك .

وفى عهد قسطنطين (٣٠٦ – ٣٣٧ م) الذى اعتنق المسيحية بدأ تحويل المعابد إلى كنائس ، وبدأت العمارة تظهر فى بناء الكنائس ذات المسقط البازيليكى وإن اختلفت فى بنائها من منطقة إلى أخرى ، فاستعملت الأحجار الجيرية فى مدن الشمال والجنوب والأحجار البازلتية فى المدن الصحراوية مع قليل من الطوب اللبن أو المحروق . ومع وجود التربة الطينية يقل استعمال الحجر . كما ظهر تأثير العمارة الرومانية والقسطنطينية فى تصميم الكنائس ومع تنوع مواد البناء المتوفرة بدأ يظهر التشكيل اللونى لهذه المواد فى العمارة السورية حيث استعمل البازلت والحجر الجيرى والطوب المحروق فى تشكيل الواجهات على شكل مداميك متنوعة على التوالى .

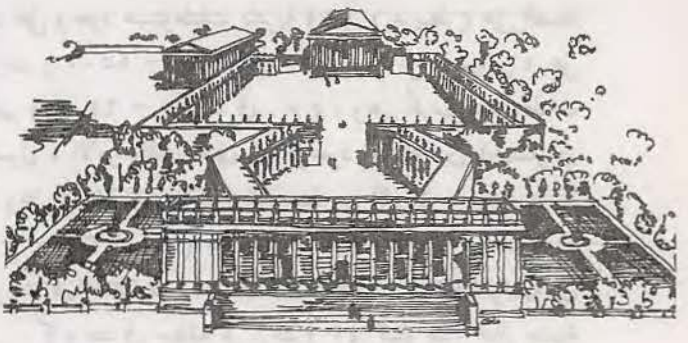

معبد بعلبك لبنان

العماره فى ظل الحضاره الإسلامية فى الشـــام

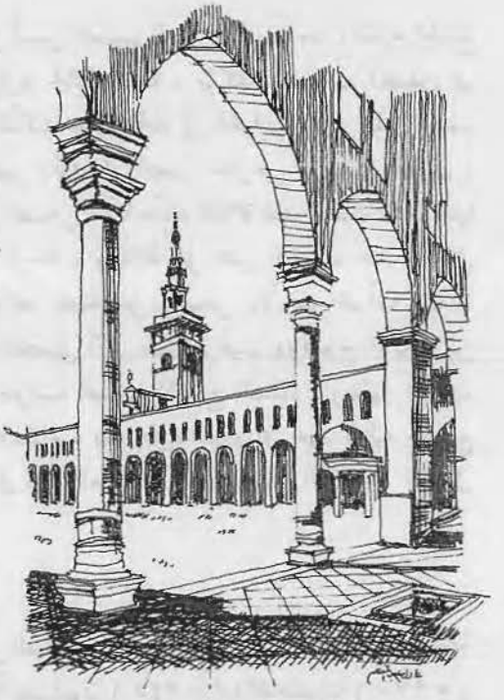

- دمشق - الجامع الكبير - العصر الأموى (٧٠٦ - ٧١٥ م) .

دخل الاسلام سوريا على يد خالد بن الوليد عام ٦٣٦ م ، وبدأت الخلافة الأموية عام ٦٦١ م فى عهد معاوية ، وبدأ عصر الانتشار الاسلامى شرقاً وغرباً ووصلت الدولة الاسلامية إلى مدى اتساعها فى عهد الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٧١٥ م) . وقد شهدت هذه الفترة حركة علمية بدأت بترجمة الكتب فى الطب والكيمياء عن اليونانية والسريانية إلى العربية . كما ظهرت بعض القيادات الفكرية الاسلامية فى دمشق نتيجة للاحتكاك بالديانة المسيحية . وهذه الحركة تمثل المكمل الحضارى للدعوة الاسلامية ، فالاسلام دين حياة وارتقاء حضارى فى بناء الانسان . هو دين كل مكان وزمان ، دين الاطلاع على كل علوم الدنيا والتعرف على أسرار الكون . من هنا لم يكن هناك ما يتعارض دينياً مع التزاوج بين العمارة الهيلينية الرومانية وعمارة ما بين النهرين ، مضافاً إليها الفن المعمارى البيزنطى لتنصهر جميعها فى بوتقة واحدة ولتفرز المعمار المحلى الذى ظهر فى هذه الفترة ملبياً لاحتياجات البشر . وبدأت العمارة تأخذ من المنهل الكلاسيكى إلى نهاية القرن السابع الميلادى حينما استقر الاسلام وثبت . فبدأ التطلع إلى إظهار المميزات المعمارية للمجتمع الاسلامى ، خاصة فى المساجد الجامعة التى بدأ إنشاؤها فى هذه الفترة ، فكانت دمشق أول العواصم الاسلامية التى أقيم فيها مسجد جامع كبير (٧٠٦ - ٧١٥ م) يعكس فى مظهره وتكوينه عظمة الاسلام ومركز الخلافة للدولة الاسلامية الأولى . فكانت تكسياته الخارجية من الرخام والفسيفساء المذهبة تعبيراً عن هذه المكانة أكثر منها نوعاً من البذخ أو التجميل . وخارج المدن بنيت القصور والحمامات والحدائق ومبانى الخدمات وعملت فى تشييدها الأيدى العاملة الايرانية من الشرق ومن الدولة البيزنطية من الغرب . وهكذا امتزجت فنون النحت والزخرفة والرسم فى بناء العمارة المحلية .

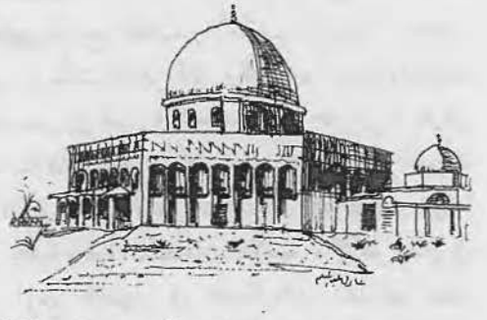

- فلسطين - قبة الصخرة - العصر الأموى (٦٩٠ - ٦٩٢ م) .

بدأ ارتباط مركز الحاكم بالمسجد الجامع فى تكوين متكامل عندما بنى الخليفة الأموى معاوية قصره ملاصقاً للجامع الذى أقيم على أحد المعابد الرومانية . وشهدت المنطقة معالم معمارية عظيمة مثل قبة الصخرة بالقدس (٦٩١ م) والجامع الأموى بدمشق (٧٠٦ - ٧١٥ م) وقصر الحد الغربى (٧٢٧ م) . وإذا كان تصميم قبة الصخرة قد تأثر بالأمثلة البيزنطية ، خاصة بالنسبة للانشاء الخشبى للقبة ، والزخارف البنائية فى الكورنيش أعلى الدعائم ، وكذلك فى تكسيات الموزاييك الخارجية ، إلا أن العمل تم فى أسلوب سورى تطورت فيه الزخارف ، كما ظهر تسلسل وإنسياب الفراغات الداخلية . وهنا تمتزج الحضارات الخارجية والمحلية فى بناء الصخرة ، كما يمثل بناء الجامع الأموى تتابعاً حضارياً حيث بنى على موقع معبد رومانى أقيمت على جزء منه كنيسة فى نهاية القرن الرابع الميلادى . وبعد الفتح الاسلامى اقتسم المسلمون والمسيحيون

سطح المعبد ، وأقام المسلمون المسجد الأول (مسجد الصحابة) على الجانب الشرق ، ثم بنى الجامع الأموى على كل مسطح المعبد شاملاً الكنيسة . وهكذا تظهر حضارة الاسلام فى التعامل مع الواقع ، فى البناء ، فى التسامح ، فى التعايش مع كل الحضارات ، إلا فيما يخالف تعاليم الدين .

ويعبر الجامع الأموى عن أسس التصميم المعمارى للمساجد ، فحرم الجامع مكون من ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة ، مؤكدة لصفوف المصلين فى التشكيل الفراغي . كما تم التأكيد على الاتجاه إلى المحراب بالمجاز الذى صمم متعامداً على الأروقة . وظهر ذلك فى التعبير الخارجى للسطح العلوى ، وكذلك الواجهة المطلة على الصحن ، أما مآذنه الثلاثة فقد أقيمت اثنتان منها مكان أبراج المعبد كانتهاء لمرحلة ، والثالثة على محور المحراب عند المدخل الشمالى . وقد رسمت الحوائط المطلة على الصحن بالآيات القرآنية المفذة بالفسيفساء ليس من باب التجميل أكثر منها للترغيب ووضوح الآيات لمن يقرأها فى ضوء النهار على جوانب الصحن المفتوح للسماء . ويظهر المحراب المجوف فى الجامع الأموى لثالث مرة بعد الحرم النبوى فى عهد الوليد وجامع عمرو بن العاص فى القاهرة فى نفس العهد . وهنا تظهر القيم الاسلامية جلية فى تصميم المسجد .

عندما انتقلت الخلافة من العباسيين فى العراق (٧٥٠ م) تناوب حكمها الطولونيون (٨٧٨ م) والأخشيديون (٩٤٥ م) والفاطميون (٩٧٠ م) والسلاجقة (١٠٧٦ م) والبوريون (١١٠٤ م) ثم الأيوبيون (١١٧٦ م) . وهكذا اتجهت الحركة العمرانية إلى الشرق عند العباسيين ، ولم تشهد سوريا أى انجازات معمارية كبيرة إلا فى عهد السلاجقة (١٠٧٦ – ١١٧٤ م) ، وهم من الأتراك المسلمين وأصلهم من تركستان . بدأ السلاجقة حكمهم فى خراسان بإيران ، ثم انتقلوا إلى العراق ومنه إلى سوريا . وفى هذه الفترة بدأت بعض التحولات تظهر على العمارة المحلية ، فشاع البناء بالحجر ، كما بنيت العديد من المبانى الدفاعية ومبانى الخدمات . كما شاع استعمال المقرنصات فى الداخل كتعبير إنشائى ومعمارى معاً ، بالإضافة إلى استعمال القبوات فى التسقيف ، ثم تنشيط بناء المآذن التى غيرت خط السماء للمدينة الاسلامية بظهورها مع القباب والأسقف المستوية . واستمر هذا التأثير فى العصر الأيوبى ، وبدأت المدافن تمثل مكاناً مميزاً على الواجهات الرئيسية للمبانى ، الأمر الذى يشير إلى تحول فى العقيدة بفكر خارجى ، حرص على بناء الأضرحة ، التى تم بناؤها بالحجر فى الأساسات والآجر فى القبوات والقباب . هنا زاد الاهتمام بأشكال القباب وتطورت أشكال المقرنصات ، وبدأ التركيز على المحراب بالتغطية بالقبة وبقية المسطحات بالأقبية ، كما هو الحال فى مدرسة ابن العديم بحلب . ومع الاظهار فى التشكيلات الخارجية قلت الزخارف الداخلية الحجرية أو الجصية فى العمارة الأيوبية بسبب الظروف الحربية التى صاحبت الحروب الصليبية .

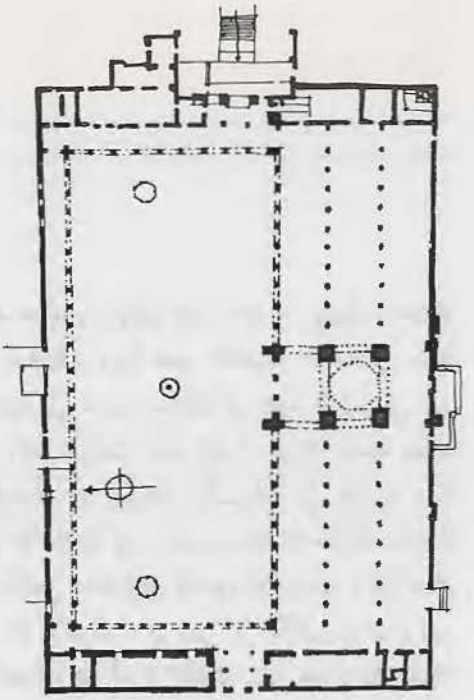

– دمشق – الجامع الكبير – مسقط أفقى .

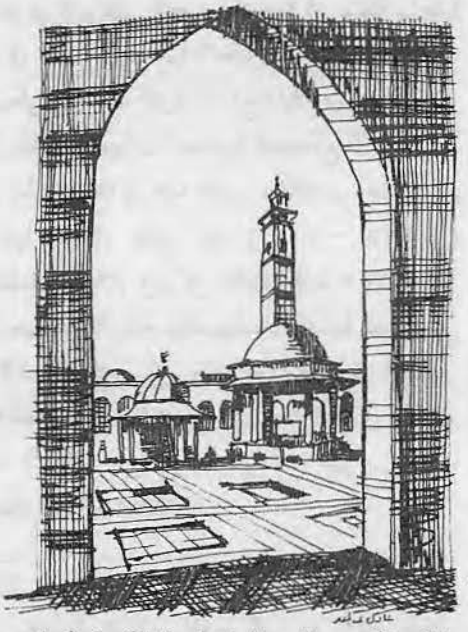

– الجامع الكبير من العصر السلجوق والمملوكى فى الفترة من القرن الحادى عشر إلى القرن الثالث عشر .

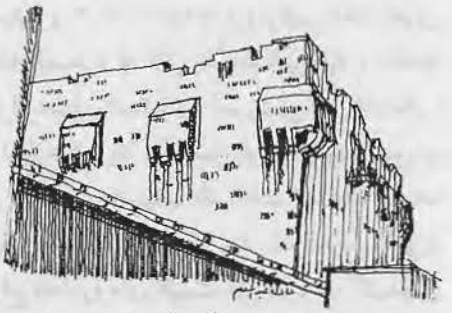

– دمشق – القلعة – العصر الأيوبى أوائل القرن الثالث عشر .

تعرضت العمارة فى الشام بعد ذلك لمرحلة جديدة عندما خضعت سوريا لحكم المماليك (١٢٦٠ – ١٥١٦ م) المتمركز فى القاهرة ، وقد تعرضت هذه المنطقة لهجمات المغول (١٣٠٠ م) ثم غزوة تيمورلنك (١٤٠٣ م) الذى نقل معه عدداً من الحرفيين السوريين إلى سمرقند . ومع ذلك فقد شهدت المنطقة نشاطاً معمارياً مكثفاً بسبب الرواج الاقتصادى والتجارى . وتعتبر هذه الفترة العصر الذهبى للعمارة العربية بسبب المغالاة فى البناء والزخرفة والتسابق نحو المفاخرة بين المماليك ، الذين هم أصلاً من غير المسلمين ، الذين وفدوا من ألبانيا وأرمينيا وتركيا كغلمان للسلاطين . وانتقلت القيم المعمارية من مصر إلى بلاد الشام ، فأقيمت الأضرحة ملحقة بالمساجد محتلة أماكن مميزة على الطرق العامة ، ومعبرة عن أرفع مستويات العمارة من ناحية وأكثرها ابتعاداً عن القيم الاسلامية من ناحية أخرى ونجح معمارى هذا العصر فى التعبير عن أجزاء المبنى المختلفة ، كل حسب وظيفته ، وذلك بتنوع استعمال طرق الانشاء واستعمال فتحات متعددة متنوعة تتغير مسطحاتها تبعاً لوظيفة العنصر الذى تحتويه . كما ظهرت فى الواجهات معالجات تشكيلية عن طريق المداميك الملونة التى ظهرت من قبل ، نظراً لتعدد أنواع الأحجار وألوانها فى المنطقة ، وكذلك الزخارف الحجرية بالاضافة إلى التلاعب بالمسطحات الرأسية عن طريق إبرازها وارتدادها ، مستغلاً فى ذلك التباين الحادث بين الظل والنور ، بالاضافة إلى تأكيد وإبراز منطقة المدخل بالتشكيل والزخرفة والمقرنصات . كما توجت المبانى فى نهايتها العلوية بالشرفات الملونة . وقد لوحظ تعدد المنشآت الدينية وصغر مساحاتها ، لأن العمارة فى هذه الفترة كانت تعبر عن متطلبات الولاة من المماليك ، الذين كثر عددهم وزاد بينهم الشقاق والحروب . كما ظهرت فى هذه الفترة بعض المحاولات لدراسة الفراغ الداخلى ، فوضح مدى تفهم المعمارى فى تلك الفترة لطرق معالجة الفراغ الداخلى ، عن طريق دمج الفراغات مع بعضها وتأكيدها عن طريق التلاعب فى المناسيب بالأرضيات والأسقف . كما زادت عمليات تكسية الحوائط الداخلية باستعمال شرائح الرخام الملون والزخرفة الحجرية بأشكال نباتية وهندسية ، مع استعمال الزخارف الجصية بشكل ملحوظ . وظهرت هذه الاتجاهات فى المبانى الدينية ومبانى الخدمات (الحمامات العامة) والمستشفيات (البيمارستان) والمبانى التجارية (الخانات والقيسريات) .

وإذا كان التاريخ يشير إلى التراجع الحضارى بعد انتهاء حكم العباسيين من جرّاء تكوين المعتصم الخليفة العباسى جنده من الأتراك المجلوبين كمماليك ، الأمر الذى أدى إلى الانقلاب السياسى فى عصر الخليفة المتوكل (٨٢١ – ٨٦١) وسيطرة العسكر الغرباء عن روح الأمة القومية على الحياة الفكرية . « واستعجمت » الحضارة العربية ، وتحول الفقهاء إلى وعاظ للسلاطين يبررون المظالم ويمنحونها الشرعية . وفى هذا الشأن يقول د . محمد عماره فى كتابه (الاسلام والمستقبل) « فى العصر المملوكى تطور فن العمارة وشمل ضمن ما شمل المساجد .. فانتقل المسجد من دور البساطة التى تميز بها الاسلام ، وغدا عمارة شامخة تتكلف المبالغ الطائلة ، وتحتاج فى إقامتها إلى هندسة وعمالة لا مثيل لها فى الجهود الذاتية التى يملكها بسطاء المسلمين » . فمنذ ذلك التاريخ اقتصر إنشاء مثل هذه المساجد الكبيرة على الدولة والأمراء والأغنياء . وكذلك

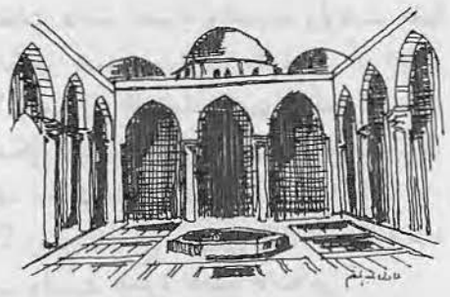

– حلب – مدرسة الفردوس – العصر الايوبى ١٢٣٤ – ١٢٤٧ م

– حماه – الجامع الكبير – العصر الأموى إلى العصر المملوكى من القرن الثامن إلى القرن ١٣ .

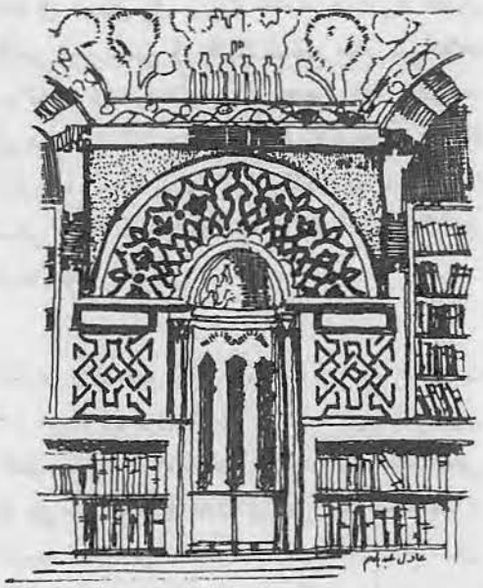

– دمشق – المدرسة الزهيرية – العصر المملوكى – ١٢٧٩ م .

تطلبت هذه العمائر الدينية نفقات دائمة للصيانة والتجديد وأوقفت عليها الأوقاف .. الخ » ويستطرد الدكتور محمد عمارة « وعلاوة على أن انتقال عمارة المسجد من البساطة الاسلامية إلى الفخامة والشموخ المملوكى كان علامة من علامات الاهتمام بالشكل دون المضمون فى مجال لا ينفع فيه سوى المضمون .. فإن هذا التطور قد أحدث ما هو أخطر فى الحياة الفكرية » . وهكذا ارتبطت الحضارة بالحاكم وليس بالمجتمع . ويعنى ذلك أن عمارة هذا العصر هى عمارة الحاكم الغريب وليست عمارة المجتمع الاسلامى .

استمرت النكسة الحضارية فى المنطقة العربية من حكم المماليك إلى حكم العثمانيين من عام ١٥١٦ م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ ، حيث انتقل مركز الثقل السياسى والحضارى إلى اسطنبول ، التى تأثرت بالعمارة البيزنطية . ومع ذلك استمرت العمارة فى سوريا متأثرة بالطابع المملوكى فى كثير من المبانى ، خاصة فى حلب ، وإن كان قد ظهر التأثير البيزنطى فى بعض المبانى باستعمال الأقبية والقباب ، وظهرت « التكية » محل « الخانقاه » المملوكية والأيوبية . كما ظهر التأثير التركى أيضاً فى شكل المئذنة الدائرية المسقط المنتهية بقمة مخروطية . واستمر استعمال الحجر فى البناء وشاع استعمال العقود الدائرية والمدببة والأعمدة ذات التيجان المقرنصة . واستعملت المقرنصات فى الداخل واستعملت « الفخريات » ذات الزجاج الملون وزخرفت الحوائط ، وظهر ذلك فى المبانى التجارية والمبانى السكنية . وبعد اتصال الامبراطورية العثمانية بأوروبا انتقل إلى الشرق تأثير العمارة الأوروبية الذى ظهر فى عمارة « الباروك والركوكو » واستعمال الخطوط المنحنية فى الزخارف والمساقط بخلاف مساقط المساجد التى لا تتحمل هذا الاتجاه . وكما دخل الاتجاه الأوروبى الكلاسيكى المنحدر من العمارة الرومانية فى سوريا فى العصر التركى ، فظهرت عمارة الرومانسك وبعض العناصر المعمارية المميزة لعصر النهضة كما فى مكتب السلطان والمستشفى الوطنى بحلب . كما استعملت سلالم الشرف فى المبانى العامة فى دمشق وفى بيروت خاصة حيث زاد اتصال لبنان مع أوروبا فى فترة الأمير فخر الدين فى القرن السابع عشر ، وعلاقته بحكام نوسكانا فى إيطاليا ، وكذلك فى فترة الأمير بشير الشهابى الثانى وانفتاحه على الغرب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . هذا بالاضافة إلى الحركة التجارية النشيطة بين لبنان وأوروبا . وهنا بدأت العمارة الأوروبية تدخل لبنان على أوسع نطاق وأخذ المسكن ذو الفناء الداخلى يتحول فيه الصحن الداخلى إلى صالة مركزية تلتف حولها عناصر السكن .

ودخلت المنطقة مرحلة أخرى تأكد فيها التأثير الأوروبى فى عصر الانتداب الفرنسى (١٩١٨ - ١٩٤٣ م) ، ودخول العديد من المعماريين الفرنسيين حاملين الفكر الأوروبى فى التصميم وطرق الانشاء ، مع محاولتهم إضفاء بعض الملامح الشكلية للعمارة المحلية على مبانيهم ، كما حدث فى نفس الفترة فى مصر ، فظهر مبنى مؤسسة عين الفيجة المبنى من الخرسانة المسلحة به ملامح المبانى السكنية ذات الشرفات ، ولا يعبر عن الوظيفة الحقيقية كمبنى إدارى ، كما ظهر فى عمارة بنك مصر ومبنى جمعية الهلال الأحمر بالقاهرة . وظهرت الملامح

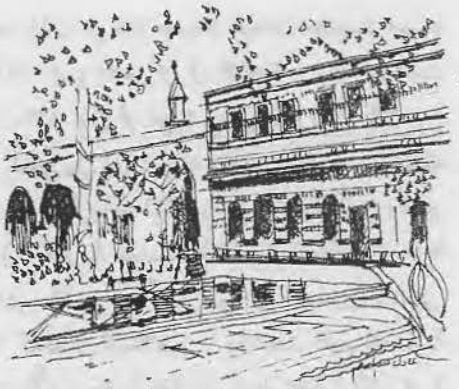

- دمشق - قصر العظم - العصر العثمانى ١٧٤٩ م .

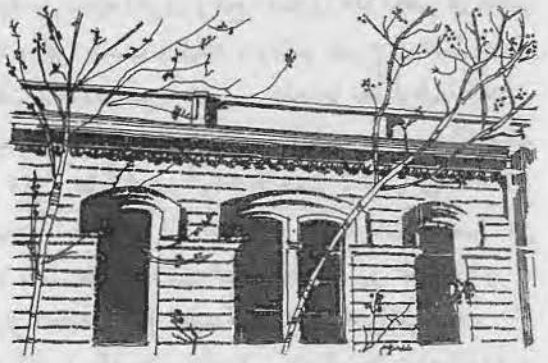

- مدرسة المكتب السلطانى بحلب - ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ م .

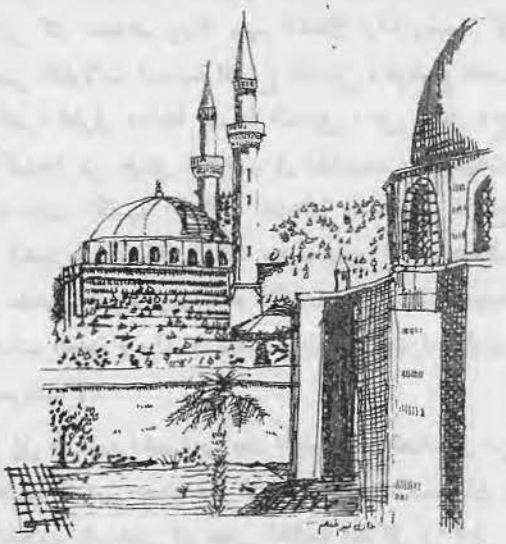

- دمشق - تكية سليمان الثانى - العصر العثمانى ١٥٦٠ م .

- الجامعة الأمريكية ببيروت - بداية القرن العشرين .

المعمارية العربية فى إضافات سطحية فى تشكيل العقود وزخرفة المسطحات بالزخارف العربية والكلاسيكية . ولعل هذا الاهتمام بالتشكيل السطحى الزخرفى يعود أيضاً فى هذه الفترة إلى بعض الحركات المعمارية الأوروبية فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، مثل (حركة الفن الحديث) أو إلى نظريات بعض المعماريين الأجانب مثل (سكوت ١٨١١ – ١٨٧٨ م) عندما قال « الهدف الأساسى من العمارة هو تزيين كتلة المبنى » وقول راسكين (١٨١٩ – ١٩٠٠ م) « إن زخرفة المبنى هى أهم جزء فى العمارة » . وهذه مبادىء تتنافى مع قيم الحضارة الاسلامية التى تدعو إلى الوسطية فى كل الأمور . فى هذه الفترة بدأت الأنماط السكنية تدخل العمارة العربية ، ففى لبنان بدأ بناء العمارات السكنية ذات الطوابق الأربعة ، بكل طابق مسكن مستقل ذو صالة مركزية ، ويصل بينها سلم فى داخل الكتلة البنائية واستعملت فيها الجسور أو الكمرات الحديدية والخشبية فى الطوابق العليا والأقبية الحجرية فى الطوابق السفلى ، وانفتحت فيها غرف المعيشة وغرف النوم على الصالة المركزية بدون استثناء . وفى نهاية فترة الانتداب شاع استعمال الخرسانة المسلحة والجسور أو الكمرات الحديدية وقبوات من الطوب ، وزاد مسطح اللوجيا (البلكونة) للجلوس والإطلال على الخارج ، وانضم الحمام إلى غرف النوم فى جناح مستقل عن الصالة المركزية .

دخلت عمارة الشام مرحلة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية حتى الآن (١٩٥٠ – ١٩٨٤ م) ، فدخل الطابع الغربى فى تصميم المبانى المدنية خاصة فى لبنان ، وانفتحت المبانى إلى الخارج واختفى الاتجاه إلى الداخل تماماً ، وتحول الغلاف الخارجى إلى مسطح خارجى مع هيكل خرسانى دون مراعاة للظروف البيئية أو ارتباط بالقيم الحضارية المتوارثة ومع ذلك فلا تزال بعض الأعمال المعمارية فى الجبل اللبنانى مرتبطة قليلاً بالظروف البيئية ولمسات العمارة المحلية . أما فى سوريا فقد جرت بعض المحاولات سواء فى المبانى السكنية أو المبانى العامة بهدف إعطاء الغلاف الخارجى بعض الملامح من العمارة العربية مثل استعمال العقود فى الواجهات أو فى تفاصيل النوافذ والأبواب وإن تعددت هذه الملامح من مملوكية إلى عثمانية إلى أوروبيةمعربة ، وانتشرت الفوضى المعمارية بعد ذلك وامتدت إلى المبانى الدينية الحديثة فأصبحت ممسوخة التصميم وضعت عليها القباب بدون مضمون وبنيت مساجد دائرية المسقط أو متعددة الأضلاع الأمر الذى لا يتوافق مع نظام الصلاة فى الاسلام وترتيب الصفوف .

فى هذه الفترة بدأ المعمارى الأجنبى يغزو الساحة العربية بأكملها .. ففى لبنان صمم المعمارى الفنلندى « الفارالتو » بناية الصباغ ببيروت كمركز تجارى إدارى كما صمم « إدوارد ستون » فندق فينسيا ببيروت ، أما فى دمشق فقد حاول المعمارى الأمريكى الذى صمم فندق شيراتون دمشق أن يؤكد الاتجاه إلى الداخل مع استخدام المياه والحديقة كعنصر تشكيلى فى الفراغ الداخلى . وعلى جانب آخر نرى أن التعليم المعمارى فى المنطقة سواء فى سوريا أو لبنان قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمدرسة الفرنسية فكراً وتطبيقاً ، وهذا ما زاد من اغتراب العمارة العربية فى الشام فى هذه الفترة من التاريخ ، هذا بالاضافة

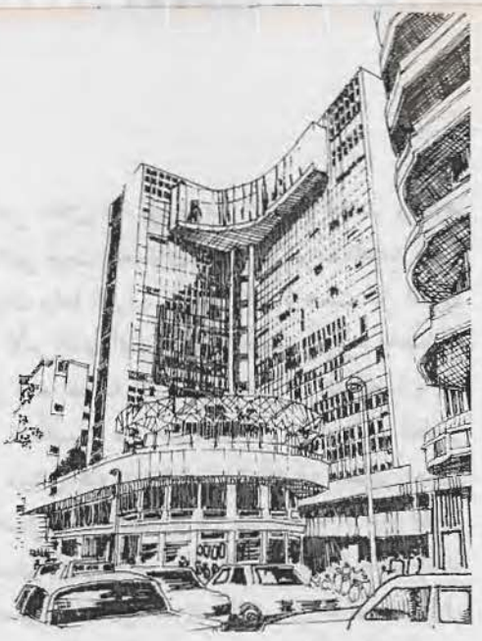

مبنى مكاتب الحمراء – بيروت .

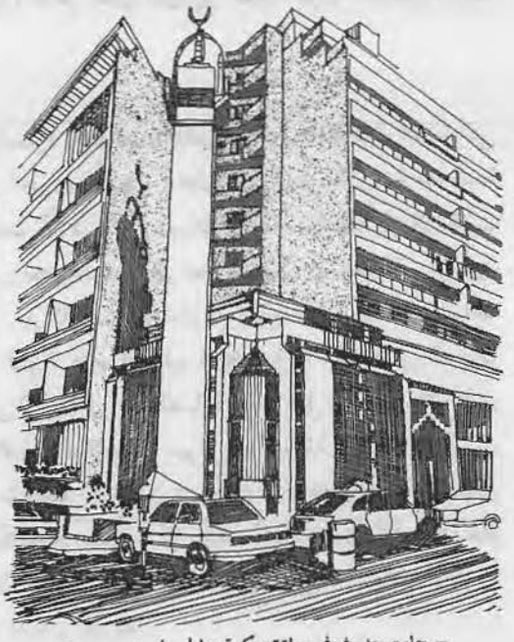

– جامع حديث فى منطقة سكنية (الحمراء) – بيروت .

– مبنى مؤسسة عين الفيحة – بيروت .

إلى الانتماء الفكرى للغرب من خلال ما يوفره من كتب ومجلات ونماذج متقدمة من الأعمال المعمارية التى بهرت المعمارى العربى كما بهرت المجتمع نفسه الذى أخذ كثيراً من قيم وعادات ولغة الغرب ، وهى ظاهرة عمت كل الدول العربية فى الشرق أو الغرب ، الأمر الذى أفقد العمارة المحلية جذورها الحضارية مما دعى المعماريين العرب فى هذه المنطقة إلى البحث عن الذات المعمارية فى التراث المعمارى والحضارى ، فأقيمت فى حلب عام ١٩٨٤ ندوة لتطوير حلب القديمة كما عقدت فى دمشق عام ١٩٨٥ ندوة أخرى لتطوير دمشق القديمة ، وكلها محاولات لتأصيل القيم الحضارية فى بناء المدينة .. هذا الفكر الذى بدأت آثاره تظهر فى العملية التعليمية فى بعض المدارس المعمارية كما بدأت تظهر فى بعض المشروعات المعمارية المعاصرة . وإن كانت على نطاق ضيق وفى إطار الفكر الثقافى العام للمجتمع الذى لا يزال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالغرب فكرياً واقتصادياً واجتماعياً ، الأمر الذى أدى إلى فقدانه لهويته الحضارية ومنها شخصيته المعمارية .

عمارة سكنية حديثة – حلب .

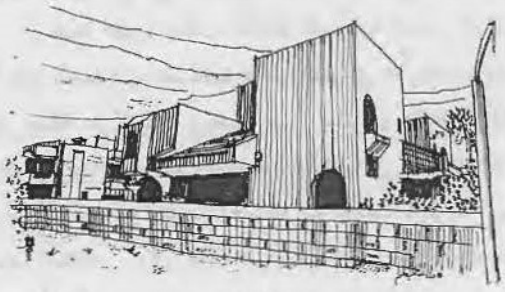

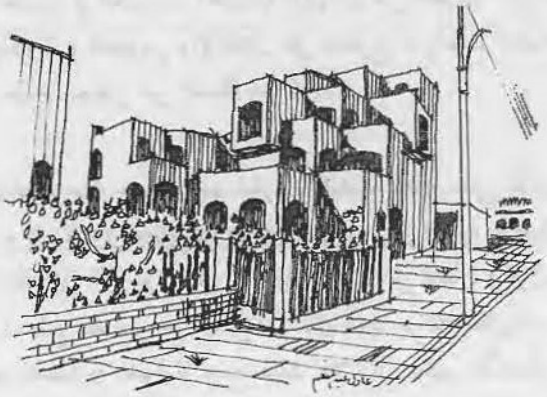

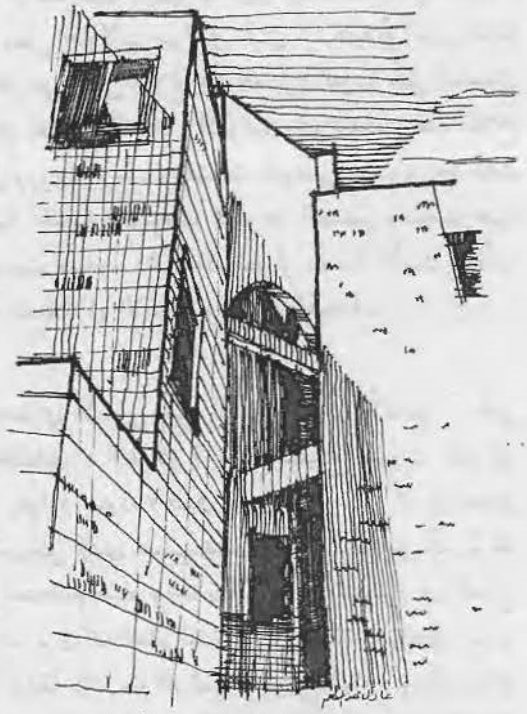

– نماذج من المساكن المعاصرة بالأردن .

فى الأردن احتفظت العمارة بخصائصها المحلية متأثرة بمادة البناء المحلية التى توفرها الجبال وهى الحجر الجيرى الأبيض ، فظهرت العمارة الأردنية متجانسة المظهر الأمر الذى ميز المدن الأردنية عن غيرها من مدن المنطقة ، وإن كانت العاصمة عمان لم تسلم من بعض العمائر المرتفعة أو المبانى المستحدثة . وتشهد الأردن فى العصر الحاضر حركة عمرانية ملتزمة بالقيم المعمارية المحلية ساعد عليها قناعة المسئولين فى الدولة بتأصيل القيم الحضارية الاسلامية فى العمران المعاصر ، كما ظهرت بعض الأسماء فى عالم العمارة المحلية مثل راسم بدران الذى ظهرت أعماله ملتزمة بالقيم الاسلامية ، سواء فى مسابقة جامعة الدول فى بغداد أو فى مسابقة مبنى مؤسسة آل البيت فى عمان ، كما ظهر اتجاهه المعمارى فى العديد من المبانى السكنية فى عمان . كما بدأت أسماء أخرى تظهر فى عالم البناء فى الأردن وإن كان المعمارى الغربى لا يزال مؤثراً فى بعض الأعمال المعمارية المحلية شأن باقى الدول العربية .

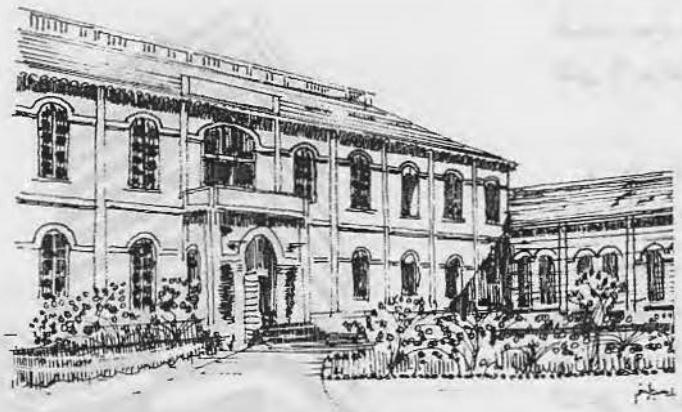

المركز التجارى السوفيتى – بيروت

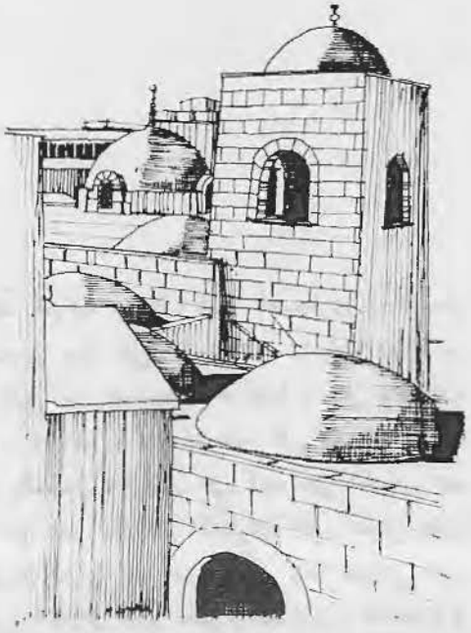

الأردن - جامع الملك عبد الله

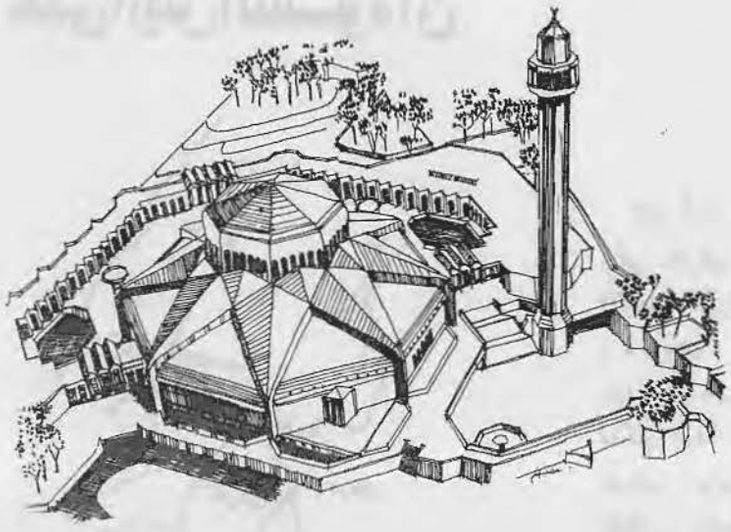

الأردن - عمارة معاصرة مسجد .

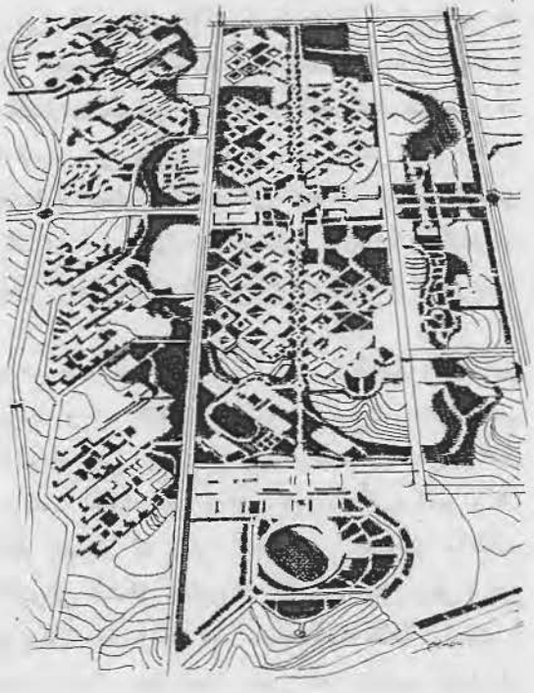

الأردن - جامعة اليرموك .

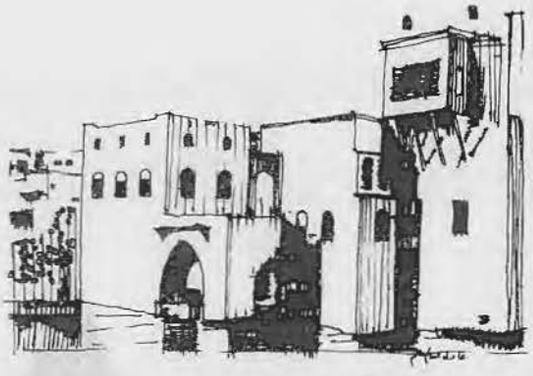

- حلب - مناظر عامة من المدينة .

تباين الأنماط المعمارية على أرض السودان

خريطة السودان التاريخية

تمثل أرض السودان أنماطاً جغرافية متباينة ، فمنها الصحارى فى الشمال والتى يخترقها نهر النيل الذى لم يترك على جانبيه إلا مساحات ضيقة من الأراضى الزراعية ومن ثم قليل من التجمعات السكنية ، مثل « دنقلة » و « مروى » حتى « بربر » و « الدامر » ، ثم الخرطوم التى يبدأ فى الجنوب منها نمطاً جغرافياً آخر يمتاز بالسهول والبرارى التى تمتد حتى الجنوب عند ملكال ليبدأ نمطاً جغرافياً آخر يمتاز بالغابات الاستوائية التى تتصل جنوباً بأوغندا ، وتبدأ أطراف السودان الغربية نمطاً جغرافياً آخر يمتاز بالمراعى حول القاشر . والسودان بهذا التنوع الجغرافى تتميز بالتنوع المعمارى . فالعمارة فى السوادن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيئة الطبيعية التى تنبت فيها سواء فى اختيار مواد البناء المناسبة أو فى مواجهة الظروف المناخية المتباينة من حرارة شديدة إلى أمطار غزيرة ومن مناطق صحراوية غنية بأحجار البناء أو سهول غنية يطمى النيل أو مراعى وغابات غنية بالأشجار ، ويظهر هذا التباين فى المناطق الجغرافية كما يظهر أيضاً فى المجتمعات السكانية التى تعيش فيها فمن عرب الأصل فى الشمال إلى القبائل الأفريقية فى الجنوب أو القبائل الرحل فى الغرب . فالتباين الجغرافى السكانى يفرز بالتبعية عمارة متباينة من حيث التصميم أو طرق الانشاء أو تلبية الاحتياجات المعيشية المتباينة فى التقاليد والعادات ، ومع اتساع الأرض فى السودان وبعدها عن طرق المواصلات الاقليمية يضعها فى موقع تتباين فيه المؤثرات الحضارية . فتأثير العمارة المصرية القديمة لم يتعدى مدينة (شندى) شمال الخرطوم ثم تأثير الحضارات اليونانية والرومانية يكاد يكون منعدماً . أما تأثير الحضارة الاسلامية فيمتد حتى بوابة مديريات الجنوب التى يتأثر سكانها بالحضارات الأفريقية القديمة أو التعاليم المسيحية التى انتشرت على يد المبشرين والسودان بصفة عامة كان فى طرف المؤثرات الحضارية والثقافية والاقتصادية التى هبت عليه من الشمال . سواء بالتأثير المباشر أو بالفتوحات أو بالغزوات .

امتد التأثير المعمارى من مصر إلى السودان منذ الأسرة الثامنة عشرة حينما جمعت بين مصر والسودان وحدة ثقافية وسياسية ، وامتدت عمارة مصر القديمة إلى أرجاء شمال السودان حتى وصلت إلى ما بعد مدينة (شندى) شمال مدينة الخرطوم ، حيث كانت المعابد المصرية تبنى على شواطىء النيل وكان السودانيون يعبدوا الآلهة المصرية كما تقبلوا الكثير من العادات والتقاليد المصرية ، فكان التل المخروطى الشكل والمعروف باسم « جبل برقل » على مقربة من الشلال الرابع مكاناً مقدسا أقيم على سفحه معبد الالهة (امون – رع) ، وأصبحت مدينة « نبتا » عند هذا الجبل مقراً لنائب الملك فى « كوش » وعلى مساحة منه أقيمت القصور التى عاش فيها الكهنة . وكان أهل « نبتا » يتكلمون اللغة المصرية ويبنون مبانيهم على الطراز المصرى ويزينون

أهرام مروى كما كانت عام ١٨٢٠

جدرانها بالرسومات والكتابة المصرية ، وكان أهل السودان أقرب إلى أهل صعيد مصر أكثر منهم إلى أهل الدلتا فى الشمال واستمر التأثير الفرعونى بين القوة والضعف . وفى عهد البطالمة وامتداد نفوذهم إلى الجنوب من مصر تقهقر ملوك أثيوبيا من « كوش » عاصمتهم فى منطقة النوبة السودانية إلى مدينة « مروى » جنوباً على مقربة من مدينة « شندى » . وأصبحت « مروى » عاصمة البلاد من (٣٠٠ ق . م إلى ٣٥٠ م) وهكذا ظهر المعمارى المصرى إلى الجنوب حتى وصل إلى حوالى ٥٠٩ كيلو متر شمال مدينة الخرطوم . وظهرت العمارة الفرعونية فى أهرامات من الحجر أو غيرها من الطين كما ظهرت فى عدد من المعابد التى استعملت فيها نفس المواد وكان القياس المعمارى فى هذه الفترة بالذراع المصرى المقسم إلى سبعة أكف (راحة اليد المكون من ٢٨ أصبعاً) ، وهكذا ظهر التأثير فى تكنولوجيا البناء وأصوله رأسمه . ومع ذلك فإن هذا التأثير لم يتعد مدينة « شندى » .

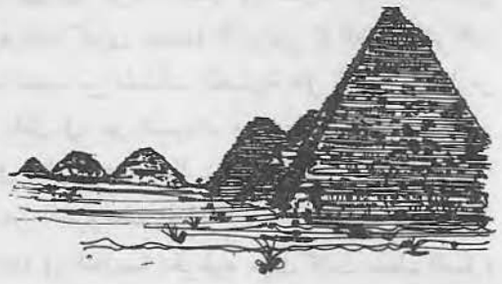

أهرامات نورى

وكما تعرضت مصر فى الشمال لغزوات الهكسوس أو الرومان أو اليونان امتد تأثير هذه الغزوات إلى شمال السودان ، ولم ينفذ إلى أعماقها شرقاً أو غرباً أو جنوباً . وعندما تعرضت مصر إلى الفتح الاسلامى الذى امتد إلى الجنوب حتى وصل إلى السودان الذى دخله الاسلام أيضاً من ناحية الشرق عبر البحر الأحمر وتمركز فى مدينة سواكن ، وكانت هناك الحركة التجارية التى تربط مدن السودان على البحر الأحمر بالمدن الحجازية وانتقلت معها تعاليم الاسلام واللغة العربية التى سادت شمال السودان كذلك بما تأثرت به مصر فى العصر الأموى والعباسى ثم العصر المملوكى والأيوبى ، وإن لم يكن بقوة التأثير فى مصر التى كانت ملتقى الحركة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، تظهر الآثار المعمارية لهذه العصور فى القليل من المبانى فى شمال السودان خاصة فى المساجد التى كانت مراكز للدعوة الاسلامية – ثم دخل السودان بعد ذلك تحت الحكم العثمانى فى القرن التاسع عشر (١٨٨٦ – ١٨٩٨) عندما دخلت الجيوش التركية والمصرية السودان لقمع ثورة المهدى ولتقيم عاصمتها فى الخرطوم ، ومن ذلك التاريخ أصبحت الخرطوم هى العاصمة الثانية للبلاد ، وظهر التأثير التركى ضعيفاً فى العمارة المحلية ، فقد كان السودان يمثل أطراف الحركة والتأثير . وبعد ذلك دخل البريطانيون السودان فاتحين باحثين عن مواردها الطبيعية وذلك فى إطار الغزو البريطانى لدول شمال أفريقيا الشرقية ، وترك هذا العصر آثاره المعمارية فى المبانى العامة التى اتخذت النمط الانجليزى فى العمارة مع التطوير الذى يتلائم مع البيئة المحلية فقام « كتشنر » الحاكم الانجليزى فى ذلك الوقت ببناء مدينة الخرطوم الجديدة على شبكة من الطريق الفسيحة تمثل العلم البريطانى وعمل فى البناء أعداد كثيرة من العمال (٥٠٠٠ عامل) وزرع على طول الشوارع عدد كبير من الأشجار (٧٠٠٠ شجرة) وأقيمت الدواوين الحكومية والتعليمية وقصر الحاكم (جوردن) على الطراز الانجليزى كمقر للحاكم حتى العصر الحاضر ، وبالمثل تحولت كلية « جوردن » إلى جامعة الخرطوم واستمر التأثير البريطانى فى نظام الحكم والادارة كما استمر فى نظام البناء والتشييد إلى فترة طويلة أثناء الاحتلال وبعده إلى أن دخلت السودان فى مجال التأثير العربى والعالمى بعد ذلك ، فاستقبلت السودان حجماً كبيراً من الاستثمارات العربية لتنفيذ مشروعاتها التنموية ، كما استقبلت حجماً كبيراً من

المساكن التقليدية فى مناطق السافانا الحارة .

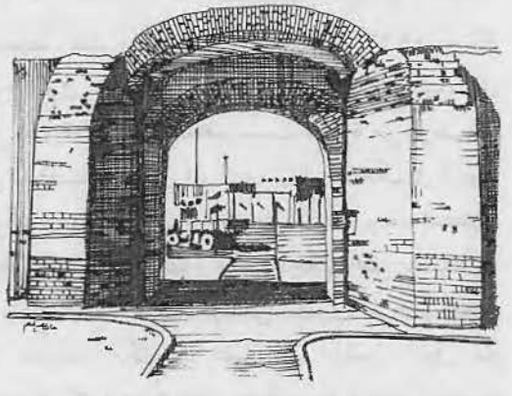

بوابة عبد القيوم – من البوابات القديمة فى الخرطوم

المعونات الغربية والشرقية ظهرت آثارها بالتبعية فى عمران البلاد ، فالصين الشعبية أقامت فى الخرطوم قاعة كبرى متعددة الأغراض كما أقامت الشركات من أوربا الشرقية والغربية العديد من المنشآت المعمارية مثل الفنادق والمدارس والمستشفيات ، وكما هو الحال فى غير السودان من دول المنطقة ظل التأثير الغربى المعمارى منحصراً فى المبانى الرسمية وظلت العمارة الشعبية بعيدة عن هذا التأثير إلا فى القليل جداً من المشروعات المتكاملة .

تظهر المعالم المعمارية عادة فى العاصمة الخرطوم حيث كانت معظم العمارة الشعبية يغلب عليها اللون البنى الفاتح لطمى النيل وكانت المدينة القديمة تظهر وكأنها قرية كبيرة ، وبنفس مادة الطين بنيت العديد من المساجد المحلية وبعض المبانى الدينية المسيحية حتى دخلت الخرسانة المسلحة والبلوكات الأسمنتية فى البناء فى بداية نصف القرن العشرين على يد المعماريين الأجانب والشركات الأجنبية متنافرة مع النمط المعمارى المحلى الذى يختلف من منطقة إلى أخرى من مناطق السودان ، ويظهر تأثير العمارة العربية واضحاً فى المدن الساحلية على البحر الأحمر مثل « سواكن » التى تضم أنماطاً من العمارة الشعبية العربية ، وهنا يظهر تأثير التجارة عبر البحر الأحمر كما يظهر مدى الترابط المعمارى بين العمارة العربية فى سواكن والعمارة العربية فى مدن الجزيرة العربية مثل جدة على الشاطىء الآخر من البحر الأحمر ، حيث تأثير العمارة التركية فى بعض الملامح المعمارية المحلية مثل استعمال الأخشاب فى الفتحات والنوافذ كمشربيات أو لمعالجة رطوبة الجو . ويظهر هذا التأثير أيضاً على الشواطىء الأفريقية المطلة على البحر الأحمر كما يظهر على عمارة الشاطىء الأفريقى المطل على المحيط الهندى حيث وصل المد الحضارى العربى الاسلامى فى هذه المناطق حاملاً معه العادات والتقاليد العربية سواء فى المسكن أو الملبس وحتى فى اللغة المحلية . ونظراً لضعف الامكانيات المادية للسكان ودخول الجديد من مواد البناء للمنطقة بدأت العمارة الشعبية تتأثر ببعض هذه المواد الدخيلة والتى شوهت القيم الحضارية للعمارة المحلية خاصة ما استعمل منها بطرق بدائية فى البناء أما فى الداخل فى مناطق المراعى والغابات فالتأثير القبلى لا يزال قائماً وهو ما ينعكس على أنماط العمارة المحلية الدائرية والمخروطية التى تتناسب مع مادة البناء المتوفرة من الأشجار والأعشاب . والشكل المخروطى لم يظهر فقط فى هذه المبانى التقليدية ولكنه يظهر أيضاً فى تغطية بعض المبانى الدينية مثل المساجد والأضرحة وإن كانت مبنية من مادة الطين أو غيرها من المواد المحلية .

بدأ النشاط المنظم لتخطيط المدن والقرى فى السودان عام ١٩٢٧ بإنشاء لجنة تخطيط مدينة الخرطوم ، وفى عام ١٩٣٨ وضعت لوائح تنظيم البناء وفى عام ١٩٤٦ بدأت مشاكل التنمية العمرانية تتفاقم بسبب الهجرة من الريف إلى المدن وأنشىء لذلك مجلس التخطيط العمرانى المركزى بهدف التحكم فى التنمية الحضرية والريفية للمدن والقرى فى السودان . وفى عام ١٩٥٦ وبعد استقلال السودان صدر قانون التخطيط العمرانى لتقوم وزارة الحكم المحلى بتطبيقه فى الأقاليم المختلفة من البلاد . واستدعت لذلك المهندس المصرى المرحوم محمود رياض حتى عام ١٩٥٧ لدراسة امكانيات تنفيذ هذا القانون . وفى عام ١٩٥٨ تعاقدت الوزارة مع شركة « دوكسيادس » اليونانية لإعداد التخطيط العام للعاصمة المثلثة وبور سودان . وامتد نشاط هيئة التخطيط العمرانى إلى

- قبة المهدى .

- سواكن - زاوية صغيرة .

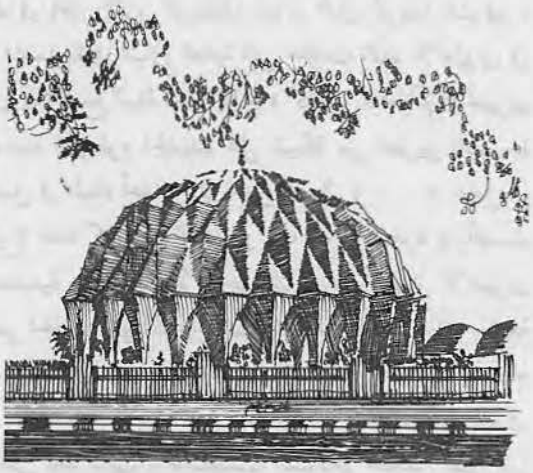

- مسجد الطين - من المساجد الحديثة فى أم درمان .

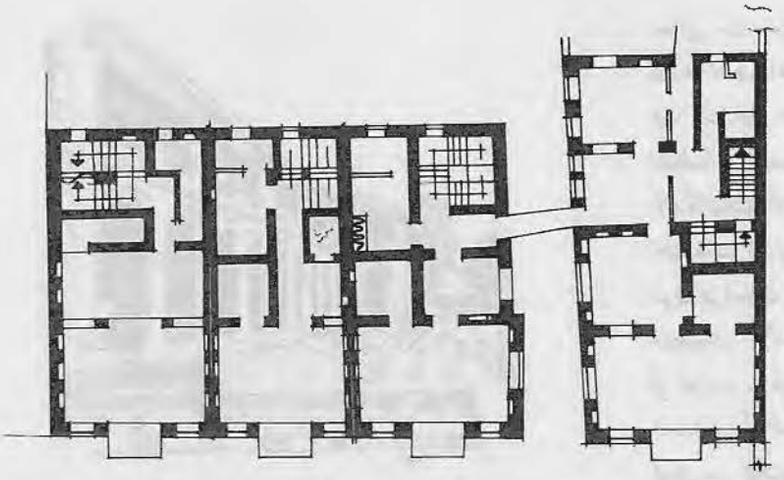

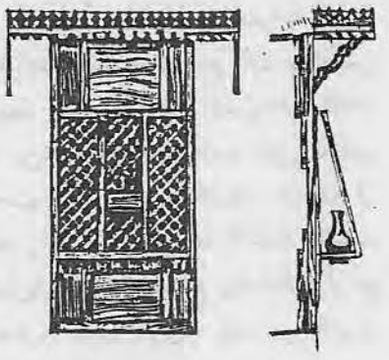

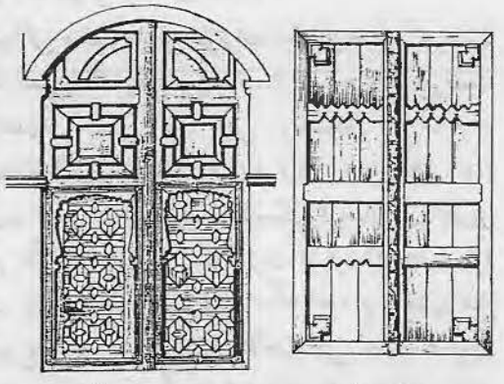

- سواكن - أمثلة للأبواب والنوافذ الخشبية كنموذج لتأثير العمارة التركية .

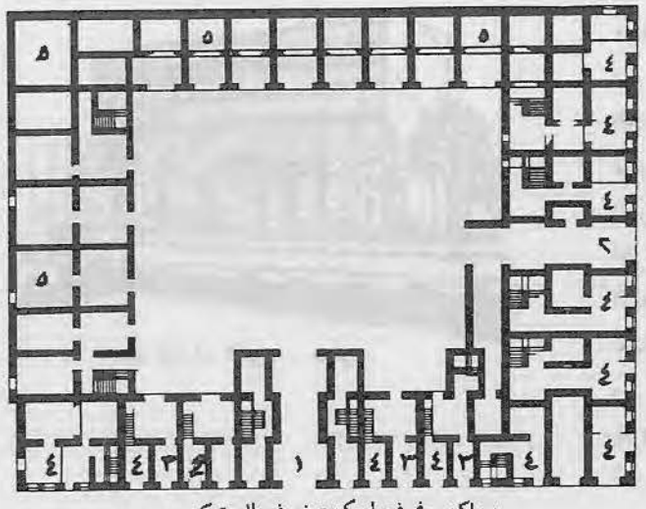

سواكن - نموذج لمسكن صغير ذو طابع تركى

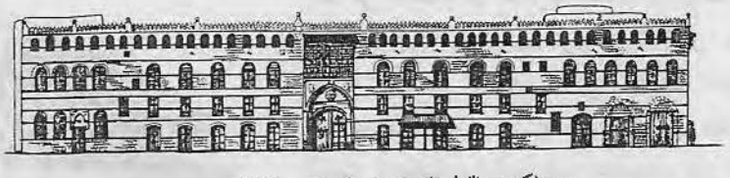

- سواكن - النمط المصرى فى العمارة - الوكالة .

حوالى ٤٠ مدينة من مدن السودان . وهكذا بدأ نشاط التنمية العمرانية المرتبط بنظام الحكم المحلى الذى ارسى الانجليز قواعده فى السودان ومع ذلك لم ينعكس هذا النشاط على العمارة المحلية فتخطيط المدن يعتبر من المشروعات العامة المنظمة والتعمير ، أما العمارة فهى من المشروعات الخاصة التى تعكس الامكانيات الاقتصادية والثقافية لصاحب المبنى وهى امكانيات ضعيفة فى المجتمعات السودانية . فما يقام من بناء يرتبط أساساً بسرعة الاعداد والتنفيذ دون دراسات متعمقة فى القواعد المعمارية التى تتناسب مع بيئة المكان أو مع متطلبات الانسان الذى اختلط حضارياً بالقيم الواردة إليه من الشرق أو الغرب . هذا مع قلة وجود الامكانيات الفنية المحلية سواء على مستوى المعمارى أو العامل الفنى . وإذا كانت التنمية الاقتصاية الاجتماعية فى السودان تعانى من الكثير من العثرات فالعمارة بالتبعية تعكس هذه المعاناة سواء فى أسس التصميم أو أساليب الانشاء أو التنفيذ ، ويبقى مستقبل العمارة فى السودان معلقاً بالوضع الاقتصادى والاجتماعى والثقافى السائد .

تمثل عمارة مدينة « سواكن » نموذجاً من المؤثرات الحضارية فقد تعرضت المدينة إلى مؤثرات العمارة المصرية القديمة عام (٣٠٠٠ ق . م) كما تعرضت لتأثير العمارة اليمنية القديمة كمعبر بين اليمن وفلسطين (٩٦٠ – ٩٢٦ ق . م) وتأثير البطالمة الذين حكموا مصر (٣٣٢ – ٣٠ ق . م) فكانت سواكن أحد موانىء البحر الأحمر الخاضعة للحكم الرومانى فى الطريق بين الشرق الأقصى والبحر الأبيض المتوسط . كما تأثرت عمارة المدينة بعمارة العصر المملوكى الذى مهد للحكم العثمانى (١٢٥٠ – ١٥١٧ م) مثلها مثل مدينتى « جدة » و « مصوع » من موانىء البحر الأحمر التى بلغت عمارتها الذروة فى القرن السادس عشر الميلادى ثم تأثرت بعد ذلك بالعمارة المصرية فى القرن التاسع عشر ، ثم خضعت بعد ذلك للحكم البريطانى الذى نقل نشاطها التجارى إلى بور سودان والتى انتقل إليها سكان « سواكن » ، حيث نزل تعدادها من ٥٠٠٠٠ نسمة إلى ٤٠٠٠ نسمة بين عامى ١٩٠٤ – ١٩٢٣ وتركت الجزيرة التى تكون الجزء الرئيسى من المدينة وتتصل بالأرض بجسر بحرى مهجور إلا من آثار التاريخ . ويدل هذا التحول فى العمران على مدى الارتباط بين التطور الاقتصادى والاجتماعى بالتطور العمرانى . كما يدل على مدى تقهقر القيم الحضارية فى العمارة أمام القيم المادية التى أوجدتها الثورة الصناعية وتحول السكان من الموطن التاريخى فى سواكن إلى الموطن الاقتصادى فى بور سودان ، وهذه الظاهرة أصابت معظم المدن العربية . ومع ذلك فلا يزال هذا الأثر العمرانى مجالاً للدارسين من مختلف المدارس المعمارية فى أوروبا بحثاً عن الاصالة فى عمارتها القديمة فى الوقت الذى لا يلقى هذا الأثر مثل هذا الاهتمام من المجتمع الذى تحول عنه بحثاً عن مصادر للرزق حيث فاقت رغباتهم المادية ارتباطهم العاطفى بالقيم والتراث الحضارى وهذا ما تعانى منه معظم المجتمعات النامية ومنها مجتمعات المشرق العربى ومستقبل العمارة هنا يرتبط أساساً بالمتطلبات المادية لهذه المجتمعات قبل المتطلبات الثقافية أو المعنوية . إلى أن يتم التوازن بين الجانبين بعد الفترة الزمنية التى تستقر فيها المتطلبات المادية لتأخذ المتطلبات المعنوية أهميتها بعد ذلك . وهذا التوازن المستمر بين الماديات والمعنويات هو الذى يحدد مستقبل العمارة على مر العصور .

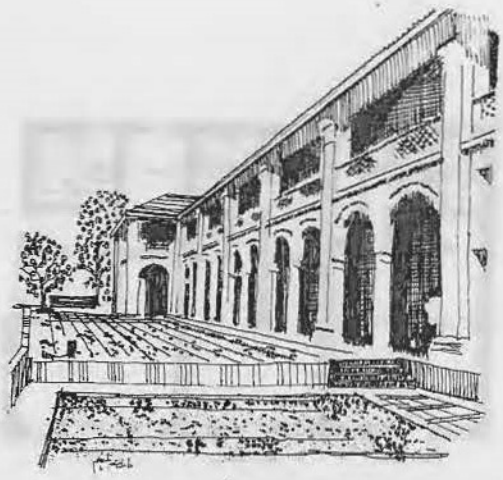

– فندق على الطراز الأوروبى – الخرطوم .

– قاعة المؤتمرات الكبرى – الخرطوم .

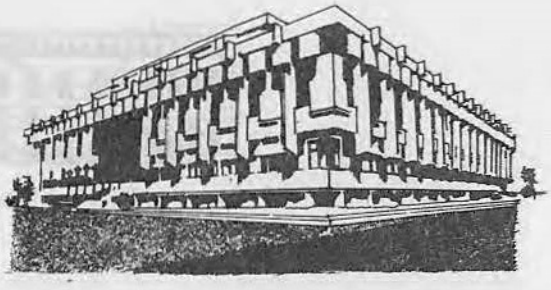

– قاعة مؤتمرات حديثة فى أم درمان .

العمارة العربية في الفكر المعاصر

دخلت العمارة العربية فى الفكر المعاصر من خلال الكتب والمؤلفات الأجنبية التى تعرضت لمنجزات المعماريين الأجانب أكثر مما تعرضت لمنجزات المعماريين العرب والتى تعدهم قلة فى الانجاز المعمارى المتميز . ويأخذ المعمارى المصرى حسن فتحى الاهتمام الأوفر فى المؤلفات والمجلات الأجنبية ، ويتبعه عدد من المعماريين العرب الذين ينطلقون بأعمالهم من الدول الغربية ، مثل الدكتور محمد مكية المعمارى العراقى الذى أتم دراسته فى انجلترا ، وانتشرت أعماله فى العراق ودول الامارات العربية والكويت ، وله نشاط كبير فى المجال المعمارى العربى ، والمعمارى العراقى رفعة جادرجى الذى أتم دراسته فى انجلترا وأمريكا وتميزت أعماله بالانتماء الحضارى للعمارة العربية وظهرت أعماله فى العراق والكويت ودول الإمارات وله نشاطه العلمى فى انجلترا وأمريكا واشترك مع مكية فى نشاط مؤسسة الأغاخان للعمارة الاسلامية . وفى الأردن ظهر المعمارى راسم بدران الذى أتم دراسته المعمارية فى ألمانيا عام ١٩٧٠ وظهر العديد من أعماله المتميزة فى الأردن ملتزماً بالقيم الحضارية للعمارة المحلية ، وفى الغرب ظهرت مجموعة من المعماريين المغاربة أمثال عبد السلام فراوى وباتريس دى مزيير وغيرهم ممن أتموا دراساتهم فى باريس . وفى المملكة العربية السعودية ظهر اسم المعمارى زهير فايز فى أعماله التى حاول أن يعطى لها طابعاً محلياً ، وسعيد فارسى أمين مدينة جدة الذى دأب على إعطاء القيم الحضارية لعمارة جدة القديمة والحديثة . وفى أعقاب هؤلاء نشر عن المعمارى المصرى عبد الواحد الوكيل كأحد تلامذة حسن فتحى ، كما نشر أيضاً فى مجلات وكتب الغرب عن أعمال مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية بالقاهرة ، والدكتور عزت أبو جد الأستاذ بجامعة الاسكندرية ، كما نشر عن أعمال المعماريين المصريين إخوان المنياوى فى الجزائر ، والمعمارى المصرى كمال الكفراوى الذى صمم جامعة قطر . وهكذا انحصر الفكر الغربى المعاصر فى تقديم عدد قليل جداً من المعماريين العرب ، فى الوقت الذى يحاول العديد منهم البحث والنشر وإثبات الذات بالأعمال المعمارية التى طالما تصطدم بمتطلبات ومحددات أصحاب المشروعات ، فتخرج أعمالهم فى النهاية معبرةً عن خليط من أفكارهم المعمارية والمستويات الثقافية والحضارية لأصحاب هذه الأعمال . وهذه ظاهرة لم يقابلها المعماريون العرب الذين تنطلق أعمالهم من خارج الوطن العربى ، حيث تساعدهم الأجهزة الفنية القادرة على انجاز تصميماتهم فى مستوى أعلى من التقديم والأداء ، وهو ما لا يصادفه زملاؤهم فى داخل الوطن العربى بسبب محدودية الأجهزة المساعِدة .

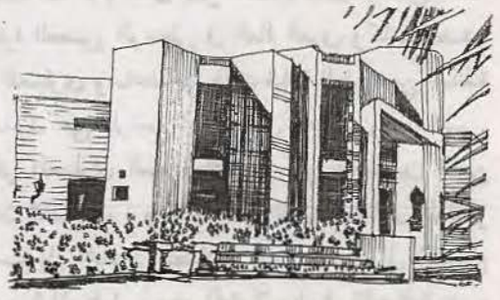

من أعمال راسم بدران

من أعمال عبد الواحد الوكيل

ويركز الفكر الأجنبى فى معظم مؤلفاته المعمارية على العمارة الاسلامية ، وظهر اهتمام خاص بهذه الناحية خاصة من قبل منظمة الأغاخان للعمارة

الاسلامية التى مقرها الفنى بجامعة هارفارد بأمريكا ومقرها الادارى فى جنيف بسويسرا ، ثم منظمة الفنون الاسلامية فى لندن التى تمول اخراج الكتب المعمارية التى تبحث عن التراث المعمارى الاسلامى ، وآخرها الغرفة التجارية البريطانية العربية التى خصصت جوائز للبحوث العلمية والانجاز فى العمارة العربية . وتركز هذه المؤلفات على الخصائص الشكلية لعمارة العصور الوسطى فى العالم العربى والاسلامى دون الاهتمام بالمضمون . وهى فى هذا المجال تصف عمارة هذه الفترة التاريخية بالاسلامية ، وإن كانّ يشوب هذه العمارة كثير من المتناقضات والمظاهر التى تتنافى مع العقيدة الاسلامية ، وتخرج عن نطاق المسمى الاسلامى الذى يشوه صورة المجتمع الاسلامى فى هذه الفترات التاريخية ، ويعطى قيماً زائفة للاسلام الذى يمثل حضارة مادية ومعنوية لأمة وسط . وهنا اعتبرت عمارة العصور الوسطى فى العالم العربى وكأنها المصدر الأساسى لاستلهام التراث المعمارى وساعد على ذلك قناعة العديد من أساتذة العمارة العرب الذين يعتمدون على المراجع الأجنبية فى أبحاثهم ودراساتهم . ومن ثم يؤثرون على الفكر المعمارى العام وبالأخص على المعماريين الذين يبحثون عن الأصالة والتراث المعمارى . وهنا يتعرض الفكر المعمارى المعاصر لاهتزاز فى التقدير ، وينقسم إلى اتجاهين متضادين الأول يسعى إلى استلهام الحاضر من الماضى لرسم صورة المستقبل ، وهو اتجاه لا يزال فى قالبه النظرى ، وقليل منه فى صورة محاولات لم تتبلور بعد . ويعترض هذا الفكر العديد من المحددات الفكرية والثقافية عند أصحاب الأعمال . أما الاتجاه الثانى فيسعى إلى ترك الماضى بكل قيمه ، والبدء من منطلق جديد يعتمد على قيم وتكنولوجيا العصر ، وهذا اتجاه لا يواجه الواقع الحياتى الممتد من الماضى إلى الحاضر والمستقبل والذى لا يمكن الفصل بين حلقاته المتابعة . وكلا الاتجاهين لم يحاول أن يبحث عن القيم الانسانية فى الحضارة الاسلامية كأساس لتحديد القيم المعمارية فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وهى قيم لا تتغير بتغير الزمان أو المكان .

وإذا كان الفكر المعاصر الذى يتعرض للعمارة العربية يدور بين المعماريين العرب والأجانب ، إلا أنه بالنسبة للفكر الاسلامى العام يخرج عن هذا النطاق ويمتد إلى كل جوانب المقومات الحضارية الاسلامية الشاملة . وفى هذا المجال يكتب المفكر الاسلامى محمد عمارة عن الاسلام والمستقبل فيقول « لقد كان الاسلام فى تلك القرون الاسلامية الأولى طاقة روحية مبدعة وخلاقة التحمت بحياة الأمة ودنياها فأبدعت تلك الحضارة التى كانت حضارة العالم أجمع فى تلك القرون .. كان الاسلام جوهراً ومضموناً .. ولم يكن شكلاً ولا زينة ولا زخرفاً .. » . وعن عصر المماليك كتب « ودخلت الحياة الفكرية عصر الانحطاط واكتفى « أعلام » ذلك العصر بالجمع والتدوين والحواشى والتعليقات والتخريجات والمحسنات والحكايات » « .. فى هذا العصر المملوكى كان الإبداع فى الشكل وكان الموات للمضمون .. عقيدة تتجسد فى أمة صنعت حركتها الحيوية .. حضارة عملاقة تميزت مساجدها وشعائرها بالبساطة فى الشكل .. على حين زخرت هذه المساجد بالإبداع العلمى والاشعاع الفكرى الذى تجسّد فى علوم الاسلام ومذاهب الأئمة الأعلام .

وعندما كان القرآن نهجاً تسلكه الأمة لدينها ودنياها ، وشريعةً تحكم سلوك هذه الأمة وتتعايش مع واقعها وتسهم فى تشكيل هذا الواقع وفق قيم الاسلام .. تميز رسم هذا القرآن بالبساطة التى جسدتها مخطوطاته فى تلك القرون الأولى » .. أما فى العصر المملوكى – كما يستطرد الدكتور محمد عمارة فى كتابه الاسلام والمستقبل – عصر الجمود والتراجع على جبهة المضمون والتطبيق لروح الاسلام وجوهره فإن الازدهار والتألق سادا على جبهة الشكل وكانت الزينة والزخرفة والروعة فى مخطوطات القرآن الكريم .. ففى العصر المملوكى تحول المسجد من دور البساطة الذى مكن آحاد الناس وجماعاتهم من إقامة المساجد .. فى استقلال عن الدولة وذوى النفوذ والسلطان .. إلى دور غدا فيه المسجد عمارة شامخة يعجز عن القيام بها الآحاد من الناس والفقراء من الجمهور . ودخلت الدولة والأمراء ميدان السباق فى تشييد هذه العمائر ثم أوقفوا عليها الأوقاف الغنية ، فظهرت للمرة الأولى فى حياة المسلمين فئة الفقهاء الموظفين لدى الدولة ، والذين يرتزقون من الأوقاف التى حبسها الأمراء على هذه المؤسسات .. » ويقول الدكتور محمد عمارة « ولا تسأل عن مصدر الأوقاف التى حبسوها على هذه المؤسسات ففى كتب « الخطط » التى تؤرخ لأحشاء المجتمع ولحياة جمهور الأمة – وليس لحياة السلاطين وحدهم – نجد العجب العجاب عن هذه المصادر التى اغتصبها المماليك بالقهر الذى فاق الحدود وتجاوز الخيال .. ثم بنوا فيها المساجد وحبسوها على فقهاء وطلاب ذلك الزمان !! فمن حيث الكم تقرأ فى الخطط الجديدة لعلى باشا مبارك أن عصر المماليك الجراكسة قد قفز بعدد الجوامع فى القاهرة من ثمانية إلى مائة وثلاثون جامعاً وذلك خلال ثلاث قرون ونصف .. تراجعت فيها الحضارة والحياة .. بل ونقص فيها تعداد السكان بالأوبئة والمظالم والمجاعات .. ومن حيث الشكل نقرأ أن هؤلاء الجراكسة قد تعالوا فى نظام المساجد وزينتها وأحدثوا المحاريب المطعمة بالصدف والعاج والأبنوس والأعمدة الممنطقة بالفضة .. حتى صارت مثل أفخر المبانى » أما الأمراء المماليك الذين بنوا هذه الصروح المعمارية فلقد جسدت حياتهم الفرائب والمفارقات – ويستطرد الدكتور محمد عمارة فى كتابه – وعندما يتحدث على مبارك عن الأمير عبد الرحمن كتخدا (١٧٧٦ م) الذى لقب بصاحب العمائر لكثرة ما أقام من المساجد والزوايا والمدارس والأسبلة والسقايا والحيضان والقناطر ، ويقول عن دينه وتدينه وأخلاقياته « لقد كان – عفا الله عنه – يقبل الرشا .. ويتحايل على مصادره بعض الأغنياء فى أموالهم .. واقتدى به فى ذلك غيره .. حتى صارت سنة مقررة وطريقة سلوكه ليست مستنكرة » .. كما تحدث على مبارك عن الأمير جمال الدين الاسفادار (١٤٠٩ م) الذى كان من أصحاب العمائر والخيرات ، فبنى مدرسة من أعظم دور العلم بمصر ، وأوقف عليها الأوقاف الغنية ورتب منها المرتبات للشيوخ الصوفية وطلاب العلم الذين يدرسون الحديث والتفسير والمذاهب الأربعة .. لكن بناء هذه المدرسة وأوقافها قد جاء من القهر الحرام والمصادرات والاغتصاب فحتى ما بهذه المدرسة من تحف ونفائس وشبابيك وأبواب بل وحتى المصاحف وكتب الحديث التى جهزها بها فقد انتزعها بعشر ثمنها أما أوقافها فقد أخذها من الناس غصباً وأعمل فيها الصناع بأبخس أجرة ، كما يقول على باشا مبارك فى خططه الجديدة – ويقول

الدكتور محمد عمارة – لقد تراجع السلوك الفنى وتقهقر المضمون الاسلامى على حين ازدهرت الأشكال والمظاهر فتناقض الشكل والمضمون حتى فى مؤسسات الدين .. ويقول : صحيح أن الاهتمام بعمارة المساجد قد نهض بالفن الاسلامى فازدهر هذا الجانب من حضارة الأمة لكن غياب المضمون الاسلامى وتخلف التطبيق للجوهر والغاية قد أصاب حياة الأمة بالانفصام الذى جعل ذلك العصر – رغم تقدمه فى الشكل – عصر انحطاط لاعصر ازدهار .. ويقول « لقد تعلمنا ولا زلنا بحاجة لأن نتعلم من ذلك العصر أن الاهتمام بالشكل يجب ألا يطغى على الجوهر والمضمون ، خصوصاً فى ظل شريعتنا الاسلامية التى هى مقاصد وغايات » وهكذا تنتهى هذه المقتطفات من كتاب الدكتور محمد عمارة عن الاسلام والمستقبل .. فكر إسلامى معاصر يعالج مفهوم العمارة الاسلامية .. بل عمارة المجتمع الاسلامى بمعنى أصح .

وضد تيار التغريب الحضارى وقف جمال الدين الأفغانى (١٨٣٨ – ١٨٩٧ م) . فى كتاب الأعمال الكاملة يقول « إن المقلدين للتمدن الغربى إنما يشوهون وجه الأمة ويضيعون ثروتها ويحطون من شأنها .. إنهم المنافذ لجيوش الغزاة .. يمهدون لهم السبيل ويفتحون لهم الأبواب » وفى مكان آخر يقول « لقد شيد العثمانيون عدداً من المدارس على النمط الجديد .. وبعثوا بطوائف من شبابهم إلى البلاد الغربية ليحملوا إليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب ، وكل ما يسمونه تمدناً هو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانسانى . فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك .. نعم .. ربما وجد منهم من قبلوا أوضاع المبانى والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والمشارب والفرش والآنية وسائر الماعون .. وتنافسوا فى تطبيقها على أجود ما يكون منها فى الممالك الأجنبية .. وعدّوها من مفاخرهم فنقلوا بذلك ثروة بلادهم إلى غير بلادهم .. وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم ، وهذا جدْع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط شأنها » وهذا القول ينطبق على كل جوانب الحضارة ومنها الجانب العمرانى ؛ الناتج الطبيعى للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأمة .

وعلى النقيض ما يشير له الدكتور صالح لمعى فى سرده لفكر المؤرخ العربى فيليب حتى (اللبنانى الأصل الأمريكى الجنسية) (١٩٧٢ م) إذ يقول « إن هذا الأثر الذى كان لأوروبا الغربية على المشرق العربى فى القرن التاسع عشر هو الذى هز الشرق هذه الهزة التى أيقظته من رقدة العصور الوسطى . وبهذه الانتفاضة دنت أوضاع العصور الوسطى فى سوريا ولبنان من نهايتها ، وأخذ فجر العصر الجديد فى الانبلاج . وكانت هذه الفترة برمتها فترة تطور وانتقال ونشوء الحركة القربية واستيلائها على حياة الشعوب واقتباس مبادىء الديمقراطية السياسية والسير فى الاتجاه العلمانى التجددى » . ويتناسى المؤرخ تاريخ الأمة من العصور القديمة والعصر الاسلامى ومعطياته الحضارية للعالم قبل أن ينقلب الميزان ويصبح المشرق العربى هو المتلقى بعد أن كان هو العاطى . ويضيف الدكتور صالح لمعى إلى بعض التفسيرات النظرية لبعض المحللين مثل « بوركهارت » المستشرق السويسرى فى كتابه فن الاسلام الذى فسر فيه بعض الآيات القرآنية على المحراب فى المسجد أو تشبيه المبنى بكرسى البطريرك

أو الامبراطور .. وأن القبة على القبر تعطى صورة من الاتزان الناتج من التوافق بين السماء والأرض » ويقول عن جامع السليمية فى أدرنة بتركيا « .. ونرى الصورة الكونية فى القبة والأرض تتمثل فى القاعدة المربعة .. إن القبة تدل على السلام والرسالة (الاسلام) والحركة الرأسية للمئذنة المنطلقة من الأركان فى عنان السماء تمثل فرحة الشهادة الحقيقية لوحدة الاله .. » وينهى « بوركهارت » كتابه – كما يقول الدكتور صالح لمعى – ذاكراً بأن الأجنحة الأربعة على الفناء فى البيت الاسلامى تتوافق مع الزوجات الأربع لكل منهن جزء منفصل له خصوصيته » وغير ذلك من التفسيرات التى لا أساس لها فى العقيدة وكلها تفسيرات خاصة تتعامل مع شكليات الأمور وليس مع مضامينها الاسلامية . وهذا هو الغزو الثقافى الذى يتعرض له المعمارى العربى فى الفكر المعاصر .

ويستطرد الدكتور صالح لمعى فى تحليله للفكر المعمارى المعاصر ما ورد عن أحد المستشرقين الألمان فى كتاب العمارة والعالم الاسلامى قوله « إن العمارة الاسلامية لا تعبر الواجهات بها عن المضمون .. والقبة تتواجد فى المسجد والمدفن وفى القصور ولا تؤكد عنصراً معيناً .. هى رمز عام يمثل القوة أو التأكيد البصرى أو كعلامة مميزة ومظهرها الخارجى لا يوضح لنا تفهم العنصر أو المبنى المقامة عليه » .. ويقول « إن العمارة الاسلامية لا ترى من الخارج ولكن بعد الدخول من الباب » ويسوق كمثال على ذلك الجامع الأقمر فى القاهرة (١١٢٥ م) ويقول « إن هذا هو الأساس العام للواجهات فى التصميم الحضرى للمبانى الاسلامية » وهكذا تتوالى التحليلات الشكلية التى تنطوى على جهل بالتراث الحضارى للمجتمع الاسلامى . ويعود المستشرق مرة أخرى ليتحدث عن الضياع فى الفراغ داخل المسجد مشيراً إلى أنه بدون المحراب لا يمكن تحديد الاتجاه داخل الفراغ على عكس العمارة المسيحية ، وأن المسجد فى ذلك مثله مثل معبد الاله « يعل » فى باميرا بسوريا – ثم يقول إن المبنى الاسلامى فاقد الاتزان بين عناصره المختلفة ، وإن الاتزان الواضح فى المسقط ذى الايوانات الأربع يرجع إلى أن هذا المسقط وجد قبل الاسلام . ويقول ان العمارة الاسلامية اعتمدت فقط على الزخارف وبخاصة الفراغ الداخلى معطية بذلك الشعور بالفراغ اللانهائى وينهى مقالته بالقول « أعتقد أنه بالتعاون بين مؤرخى العمارة والفنون والعلماء المتخصصين فى الدراسات الاسلامية والسياسية والاقتصادية والدينية ورجال التاريخ يمكن من خلال ذلك كله تحديد الهدف ووضع الخطة للتفهم بعمق لحقيقة العمارة الاسلامية » وهكذا يبدو الغزو الثقافى والفكرى للتراث الحضارى للمجتمع الاسلامى فى المؤلفات الأجنبية وبلغة المستشرقين الذين يتبعون تفسير الشكل قبل تفسير المضمون وهذا ما يمثل خطراً واضحاً على الفكر المعمارى العربى أو الاسلامى .

الوحدة والتنوع في العمارة المعاصرة

بعرض الصور المتتالية لتطور العمارة العربية فى منطقة الشرق العربى على مر العصور يمكن إدراك عوامل الوحدة والتنوع التى ظهرت على ملامحها فى كل عصر ، وهى عوامل الوحدة التى أملتها الظروف البيئية والحضارية المشتركة ، وعوامل التنوع التى شكلتها الخصائص الطبيعية للمكان . فقد لجأ الانسان فى فجر التاريخ إلى نحت مبانيه ومساكنه فى الجبال فى مدائن صالح بالجزيرة العربية أو فى معابد ومدافن الفراعنة فى مصر ، أو فى كهوف الشام . وفى الفترات التاريخية ظهرت الوحدة فى العمارة المحلية فى كل من مصر الفرعونية أو بين النهرين أو الشام أو اليمن . كما ظهر التنوع فى العمارة على مستوى المنطقة التى كانت متباعدة الأطراف والحضارات ، إلى أن ظهر الاسلام ومعه وحدة العقيدة ووحدة اللغة ووحدة المنهج ووحدة الثقافة . الأمر الذى انعكس بالتبعية على وحدة الفكر المعمارى فى كل مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامى ، سواء فى أثناء الدولة الأولى فى المدينة المنورة ، أو فى العصر الأموى بعد ذلك فى دمشق ، أو العصر العباسى بعد ذلك فى بغداد ، أو عصر الفاطميين أو المماليك أو عصر العثمانيين بعد ذلك فى مصر . وكانت وحدة العمل المعمارى ترتبط عادة بالانجازات الحضارية للحاكم . وكثيراً ما كانت تتجه إلى عمارة المساجد فقط نظراً لاقترابه من دار الحاكم ، أو تظهر فى العمارة الرسمية فى مقر الخليفة . أما العمارة الشعبية فكانت متروكة لأصحابها وكبار الصناع والحرفيين تحركها المتطلبات العفوية للسكان ومستخدمة ما يتيسر من مواد البناء . وهكذا كانت وحدة الفكر المعمارى مرتبطة بالاتجاهات التعميرية للخليفة أو الوالى . وكان التنوع فيما توفره الولايات من مواد بناء محلية أو حرفيين . كما كانت وحدة الفكر المعمارى فى العمارة الشعبية نابعة من وحدة التقاليد والعادات والمتطلبات فى المجتمعات الاسلامية . وكان التنوع فيما تحمله بعض هذه التقاليد وهذه العادات والمتطلبات من قيم موروثة من حضارات سابقة رسبت فى وجدان الانسان ، ولكنها لا تتعارض مع القيم الاسلامية أو العقيدة حسب ما يشير به المفسرون .

وعندما بدأت المنطقة تتعرض للغزوات الأوروبية بعد الهبوط الحضارى لعصر المماليك والعثمانيين ظهرت وحدة الفكر المعمارى فيما قدمه المعماريون الأجانب من أنماط معمارية أوروبية إيطالية أو يونانية أو فرنسية أو انجليزية ، خاصة ما كان منها مرتبطاً بعمارة عصر النهضة وما قدمه هؤلاء المعماريون بعد ذلك من أنماط معمارية أوروبية / عربية حاولوا فيها إضفاء بعض الملامح المحلية ، وكان التنوع فى الخلفية المعمارية للمعماريين الأجانب الذين وفدوا بعد الغزوات الانجليزية أو الفرنسية التى تمركزت فيما تقاسموه من مناطق فى الوطن

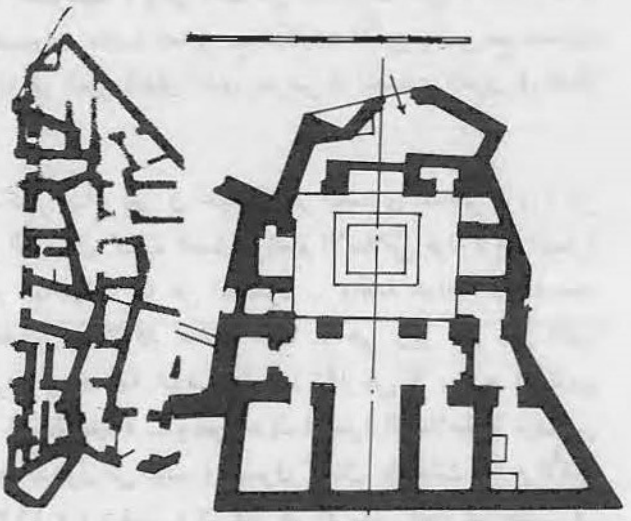

منزل فى الفسطاط

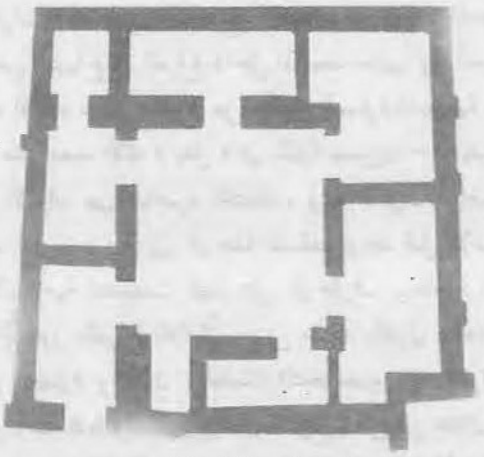

منزل فى مدينة أور – العراق

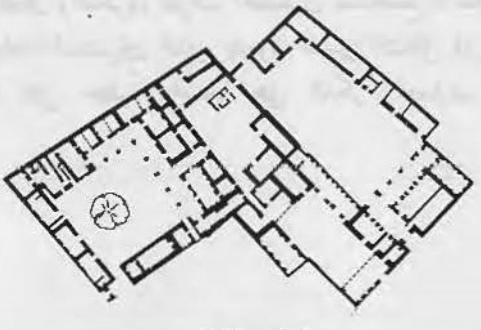

منزل تقليدى فى السعودية

العربى ، وغالباً ما تظهر جوانب هذه الوحدة أو مظاهر هذا التنوع فى العمارة الرسمية فى المدن الكبرى .

ومع ذلك بقيت وحدة الفكر المعمارى فى العمارة الشعبية فى الأحياء السكنية فى المدن والقرى بعيدة عن كل هذه التيارات ، والتزمت بفكر معمارى واحد على مدى أجيال طويلة لا يميز التنوع فيها إلا أسلوب الانشاء ومواد البناء التى تختلف من قطر إلى آخر ، بل ومن منطقة إلى أخرى ، حتى ظلت العمارة الريفية منذ العصور الأولى من التاريخ لم تتغير ملامحها الأساسية . واستمرت علامات الوحدة والتنوع فى العمارة العربية التى دخلت مع عصر البترول والانفتاح على الغرب ، وما صحب ذلك من تغيرات جذرية فى الأنماط الاستهلاكية للشعوب ، ومن ثم فى الأنماط الاجتماعية والثقافية . ووقعت المنطقة العربية بأسرها تحت عملية التغريب المعمارى . وهكذا أصبحت الوحدة العربية فى العمارة العربية المعاصرة هى وحدة التغريب التى انتشرت فى كل أرجاء المشرق العربى ، وإن ظهر التنوع فى مدى اعتماد الدولة على مواردها المحلية فى التشييد والبناء . فكلما زادت ثروة الدولة وقلت مواردها المحلية للبناء زاد اعتمادها على الفكر المعمارى الأجنبى وطرق الانشاء ومواد البناء المستوردة ، وزادت بذلك نسبة التغريب المعمارى فيها . وكلما قلت ثروة الدولة وزادت مواردها المحلية للبناء زاد اعتمادها على طرق الانشاء ومواد البناء المحلية ، وإن كان الفكر المعمارى فيها لا يزال مرتبطاً بطريقة أو بأخرى بالفكر المعمارى الأجنبى ، وهنا تقل نسبة التغريب المعمارى فيها .

وموضوع الوحدة والتنوع فى العمارة المعاصرة يرتبط أيضاً بمدى ملاءمتها للعصر . والملاءمة هنا تنقسم إلى شقين ، ملاءمة مادية ، وملاءمة معنوية . فالملاءمة المادية تعتمد على مستوى وحجم المتطلبات الوظيفية فى المبانى الرسمية ، ومستوى وحجم المتطلبات المعيشية فى المبانى الشعبية أو السكنية . وهنا يدخل العاملان المادى والثقافى معا كمعيارين لتحديد الملاءمة المادية ، خاصة بالنسبة للمستويات الدنيا من الدخل ، حيث تأخذ الملاءمة المعنوية مرتبة متأخرة من الأهمية . أما بالنسبة للمستويات الأعلى من الدخل فإن الملاءمة المادية تعتمد على ما يوفره من وظيفية ، سواء من مساحات وتجهيزات ومكملات ووسائل الراحة الجسمانية . وأما الملاءمة المعنوية فتعتمد على ما يوفره المبنى لشاغليه من وسائل الراحة النفسية والفكرية . وهذا يرتبط بالمستوى الثقافى والحضارى لصاحب المبنى ، والمستوى الفكرى للمعمارى ولا يرتبط بالمستوى المالى ويحدث الخلل فى العمل المعمارى هنا إذا تناقض المستوى المالى مع المستوى الثقافى لصاحب المبنى . وهذا ما يظهر فى العمارة العربية المعاصرة خاصة ما بنى منها فى السنوات الأخيرة ، حيث ظهرت طبقات اجتماعية جديدة من مستويات الدخل الأعلى ومستويات الثقافة الأدنى .

وهنا تظهر القيم المعمارية المتخلفة التى تُعنى بالأشكال الغريبة والألوان المتناقضة والتعبيرات المبتذلة . والقياس هنا نسبى عند هذه الطبقات عن غيرها من ذوى المستويات الثقافية الأعلى . والتقييم المعمارى فى كل هذه الحالات له قواعده العلمية والفنية . وملاءمة العمارة العربية المعاصرة للعصر لا تقتصر على

ملاءمتها للانسان الذى يستعمل فراغها الداخلى ، ولكن أيضاً للانسان الذى يستعمل فراغها الخارجى . وهنا تظهر أهمية ملاءمة العمارة للبيئة سواء بما تؤثر به على الداخل أو على الخارج . فالبيئة تفرض متطلبات على طريقة الانشاء ومواد البناء والألوان والتشكيل المعمارى الخارجى . وملاءمة العمارة المعاصرة للبيئة تختلف باختلاف قدرة المعمارى فى مواجهة متطلبات الانسان مع مواجهة متطلبات البيئة ، وهى قدرة محددة فى العمارة العربية المعاصرة . والحكم هنا على الغالبية العظمى وليس على الأعمال المعمارية المنتقاة . فالدراسة هنا لا تقتصر على النماذج المعمارية ذات القيمة الفنية العالية بل تتعامل مع العمل المعمارى ككل .

وتظهر الوحدة والتنوع فى العمارة العربية المعاصرة أيضاً من خلال العناصر المعمارية المميزة لها ، مثل الأبواب والنوافذ والأعمدة والمظلات والبروزات والشرفات ، أو مثل مواد النهو بصورتها الطبيعية أو المغطاة بطبقات من البياض ، أو أى عناصر معمارية أخرى ، وهى الأدوات التى يستعملها المعمارى لاستكمال صورة التشكيلات المعمارية التى يتوصل إليها . والوحدة بين هذه العناصر تعتمد على ما توفره صناعة البناء من مواد تدخل فى تصنيع هذه العناصر . ويعنى ذلك أن وحدة الانتاج الصناعى أو تنوعه لها تأثيرها على وحدة العمارة أو تنوعها . وصناعة البناء المعاصرة فى دول المشرق العربى هى فى الأصل نتاج لتطور صناعات البناء فى العالم الغربى ، ولا يرتبط منها بالبيئة المحلية إلا مواد البناء الطبيعية مثل الحجر أو الطابوق أو الحصى والرمل والأسمنت والجبس ، أما الخشب والألمونيوم والحديد والبلاستيك فهى وليدة التطور الصناعى الغربى سواء أكانت مستوردة جزئياً أو كلياً من الخارج أو منتجة محلياً . وغالباً ما تعطى مواد البناء الرئيسية مثل الحجر والطابوق والخرسانة التنوع المعمارى المرتبط بالبيئة . فالعمارة الحضرية المعاصرة فى مصر تلتزم بنظم البناء الموضوعة للمكان الذى يشكل هيكلها الخارجى ، الأمر الذى يعطيها الوحدة فى التعبير مع التغير فى الاستعمالات المختلفة لمواد البناء فى النهو الخارجى .. أما الداخل فيظل تعبيره مرتبطاً بالمستوى الثقافى والمادى لمستغل المبنى ساكناً كان أو مستأجراً . وبهذا تظهر الوحدة والتنوع على مستوى المشرق العربى دون تمييز يذكر إلا فى حالات معينة .. فالبناء بالحجر الأبيض يؤكد وحدة العمارة فى الشام ، والبناء بالأحجار الداكنة يؤكد وحدة العمارة فى اليمن مع التنوع عن سائر دول المنطقة . كما أن البناء بالطابوق يؤكد وحدة العمارة فى العراق ، والتنوع عن غيرها من المناطق . أما فى دول البترول فى الجزيرة العربية أو مصر أو السودان فإن وحدة البناء التقليدى قائمة خاصة فى التشكيلات الخارجية ، وإن تنوعت بالنسبة لمواد النهو الخارجى فقراً أو غنى . فالصورة العامة للعمارة العربية فى مثل هذه الدول تتقارب خاصة فى العمارات السكنية التى تمثل الحجم الأكبر من العمارة فيها .

والملاءمة للعصر تختلف بالنسبة للعناصر المعمارية أو بالنسبة لمواد وطرق البناء . خاصة بالنسبة لتلك العناصر المستوردة من الخارج مثل الشرفات المستطيلة التى تحيط بالعمارات وليست لها وظيفة معينة إلا الإطلال على الخارج ، أو نشر الغسيل كما فى المدن الايطالية واليونانية ، أو فى العديد من

الأحياء وخاصة فى المجتمعات المتوسطة ، والأقل منها تستعمل فى تخزين الفائض مع مخزونات المسكن . وفى بعض المجتمعات الفقيرة فى المدن تتحول هذه الشرفات إلى أماكن لتربية الدواجن ، أو قد تقفل من الخارج حتى تضاف مساحها إلى الداخل . وفى كل ذلك تعبير عن عدم الملاءمة الوظيفية للوحدة السكنية .. ومن الغريب أن عنصر الشرفات يتكرر فى المبانى الادارية دون ما منطق أو وظيفة . والأسرة العربية بصفة عامة تتميز باستحواذها على كم كبير من المنقولات ، سواء المنتفع بها أو غير المنتفع بها . وهى عادة تعبر عن عدم الاستقرار الحياتى . ولذلك فإن الاستغلال الأمثل للوحدات السكنية مثلاً يتعارض مع هذه الزيادة فى المنقولات التى تأخذ مكانها فى المساحات غير المستغلة من المبنى .. وهنا يمكن مناقشة ملاءمة المبانى العامة للأغراض التى تصمم من أجلها ، فعادة ما تصمم المبانى الادارية مثلاً دون حصر لمحتويات التأثيث خاصة إذا كانت هذه المحتويات غير مقررة من قبل ، وتخضع للتعديل والتغيير . الأمر الذى يقلل كثيراً من ملاءمة المبنى للوظيفة ويقلل من مستوى أدائه للغرض ، وهو ما يمثل بالتبعية فاقداً اقتصاديا . وإذا كانت المتطلبات تتغير من وقت لآخر ، بسبب التطورات التكنولوجية المتتالية فى التأثيث والتجهيز فإن ملاءمة المبانى المعاصرة وهى مكونات ثابتة كثيراً ما يصعب ملاءمتها لمتطلبات العصر من التجهيزات الحديثة ، خاصة ما يؤثر منها على الهيكل البنائى أو الانشائى للمبنى . وتعتمد هذه الملاءمة أيضاً على إمكانيات صاحب المبنى فى التجديد والتعديل لمواجهة الجديد من التجهيزات ، وهو ما لا يحدث فى بعض دول المنطقة مثل مصر واليمن وسوريا والسودان والعراق ، حيث تستمر التجهيزات القديمة قائمة سواء خضعت للصيانة أم لم تخضع . وهنا تفقد المبانى ملاءمتها لتطورات العصر التى غالباً ما تأتى متأخرة من الدول الصناعية أو المتقدمة .. أما فى الدول البترولية فى الجزيرة العربية فإن عمر العمران فيها قريب وتسهل ملاءمته لمتطلبات العصر .

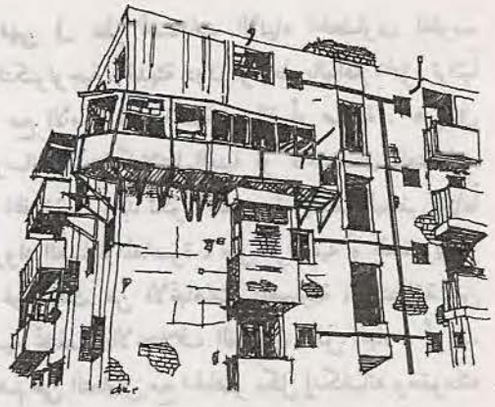

استخدام الشرفات فى المبانى السكنية

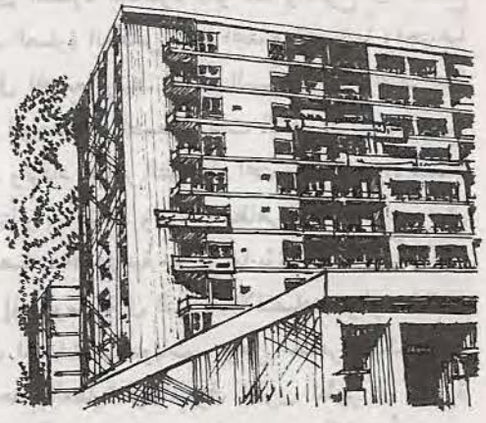

تحويل المبانى السكنية إلى مبانى إدارية

ومفهوم العمارة المعاصرة وملاءمتها لمتطلبات العصر تختلف فى القياس . فالعمارة فى المشرق العربى تبنى على أساس احتياجات الحاضر أكثر منها لمواجهة متطلبات المستقبل ، أو أنها تبنى لمواجهة متطلبات متخلفة سواء فى نظم الإدارة أو فى التأثيث أو التجهيز . وهى هنا تختلف عن العمارة فى الدول المتقدمة التى تتفاعل باستمرار مع متطلبات العصر ، لأنها تتعايش مع تطور هذه المتطلبات سواء كانت هذه العمارة من عمارة العصر أو ما قبلها كما أن العمارة المعاصرة فى المشرق العربى ، باستثناء المناطق الجديدة المتكاملة ، تخضع لقوالب معمارية قديمة أو متوارثة ، وتقام فى ظل لوائح ونظم بناء قديمة أو متوارثة . وهى بذلك تتسم بالتخلف النسبى ، فالقوالب المعمارية لا تتحرك مع الزمن ، وكذلك اللوائح والنظم التى تشكلها . وتلاحظ هذه الظاهرة فى مناطق تقسيم الأراضى الجديدة التى تنمو على المدى الطويل من الزمن ، ومع ذلك فالأنماط المعمارية التى تبنى فيها لا تتغير أو تتطور إلا فى حدود يصعب إدراكها . والحاجة الشديدة إلى البناء فى الدول النامية ، ومنها معظم دول المشرق العربى ، تضغط على إمكانيات التطوير أو المعاصرة ، بحيث لا تسمح لها بالارتقاء أو التقدم ، بل تسيرها فى مسارها التقليدى المتوارث ، دون دراسة أو تقييم لملاءمة ما يبنى من العمارة لمتطلبات العصر مادياً أو معنوياً ، ومفهوم العمارة المعاصرة هنا

الأنماط المعمارية المتكررة فى مناطق الاسكان الجديدة .

يختلف من فكر لآخر . فهى فى نظر أصحاب الانتماء الحضارى للغرب استعمال للمواد المصنّعة والتكنولوجية الحديثة دون ارتباط بالواقع المحلى تراثياً أو اقتصادياً ، أو تتناسب مع الامكانيات المحلية عمالة أو صيانة . هى فى نظرهم تطبيق لقوالب الخرسانات بتشكيلاتها الفنية أو لاستعمال الفتحات الزجاجية الكبيرة فى تباياتها المختلفة .. وقد تكون المعاصرة فى نظر البعض انتماءاً للمدارس المعمارية المختلفة لرواد العمارة المعاصرة ، مثل الوظيفية أو العضوية أو التبسيطية أو التعبيرية أو غير ذلك من الاتجاهات المعمارية ، المنطلقة من اعتبارات وتقديرات شخصية تختلف بالاختلاف الفكرى لكل اتجاه ، أو قد تكون المعاصرة فى نظر غيرهم هى التعايش مع الحاضر بكل إمكانياته ومقوماته ومتطلباته مع الارتباط الفكرى بالماضى من ناحية وبالمستقبل من ناحية أخرى . والمعاصرة فى هذا الرأى هى نظرة متحركة مع الزمن لا تلتزم بقوالب معينة أو بنظريات واتجاهات خاصة ، ولكنها أسلوب للتفاعل المستمر مع الحاضر فى أى زمن مع ربطه بالماضى من جانب وبالمستقبل من جانب آخر .

ترتبط الوحدة والتنوع فى العمارة المعاصرة بالوحدة والتنوع فى المجتمع نفسه ، وذلك من منطلق أن العمارة انعكاس لحياة المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً . والوحدة والتنوع فى المجتمع ترتبط بالنظم السياسية التى تحرك هذا المجتمع ، حيث تزداد مظاهر الوحدة فى المجتمعات ذات الاقتصاد الموجه ، مع كل ما يؤثر عليه أو يتأثر به . وتزداد مظاهر التنوع فى المجتمعات ذات الاقتصاد الحر مع كل ما يؤثر عليه أو يتأثر به أيضاً . وتتوازن مظاهر الوحدة والتنوع فى المجتمعات ذات الوسطية الاقتصادية الاجتماعية مع كل ما يؤثر عليه أو يتأثر به . وهى التجمعات التى تسعى إلى الوسطية فى التوجيه الاقتصادى والوسطية فى الحرية الاقتصادية التى توازن الماديات بالمعنويات . وهى مظاهر تنعكس على المعمار فى كل مجتمع . فوحدة العمارة فى المشرق العربى تظهر فى عمارة الاسكان الشعبى حيث التحكم الكامل فى البناء ، وتختفى فى إسكان الأعلى من المتوسط حيث الحرية فى التشكيل المعمارى المقيد بنظم ولوائح البناء . والوحدة والتنوع ، من ناحية أخرى ، تتأثر بالقيم الاجتماعية للمجتمع . ويظهر ذلك فى عاداته وتقاليده وسلوكياته ومدى انعكاس ذلك على البناء نفسه ، خاصة فيما يرتبط بالمظاهر الخارجية للمبنى ، مثل وضع اللافتات والعلامات المميزة وعناصر الإضاءة واستعمال الألوان ، وكذلك انعكاس السلوكيات المعيشية فى الداخل على الخارج مثل وضع فائض المخزون من المنقولات أو نشر الغسيل أو تربية الطيور وغير ذلك من مظاهر الحياة ، أو ما يضاف على البناء الخارجى من مكملات معيشية مثل المظلات وأحواض الزهور وغيرها من المظاهر والمكملات التى تعكس القيم الاجتماعية على العمارة بعد استعمالها . وغالباً ما لا تكون فى حسبان المعمارى أو صاحب المبنى أثناء مرحلة التصميم أو البناء ، وهذا هو الجانب الانسانى الذى يشكل الصورة الحية للعمارة ، وتظهر فيها أيضاً عوامل الوحدة والتنوع الاجتماعى .

وللوحدة والتنوع فى العمارة أبعاد أخرى يدخل فيها العامل المظهرى خاصة فى العمارة الرسمية ، التى يكون للدولة فيها قرار أو توجيه باختيار موقعها

المميّز ، أو فرض نمط معمارى معين . وهى العمارة التى يؤثر عليها صاحب القرار أكثر منها صاحب الفكر المعمارى نفسه . وكلما تدخلت السلطة فى العمارة فقدت قيمتها التشكيلية أو الفنية ، وكلما خضعت السلطة لرأى المعمارى فى اتخاذ القرار المناسب لأهمية المبنى والغرض منه ، تحتفظ العمارة بكثير من قيمها التشكيلية أو الحضارية . وإذا كانت مثل هذه العمارة الرسمية تمثل كماً قليلاً فى عمارة المدينة أو المكان ، إلا أنها بأهميتها تستحوذ على الاهتمام العام ، وتؤثر على التقييم المعمارى للمنطقة . وتوجيه العمارة الرسمية يعتمد فى المقام الأول على الفكر المختمر لدى متخذ القرار أو صاحب المبنى . وهى غالباً ما تكون العمارة التى تستحوذ على وسائل التأليف والنشر ، وهذه ظاهرة استمرت على مر العصور تسطر تاريخ العمارة . أما العمارة الشعبية فدائماً ما تكون خارج الصورة مختفية تحت هموم الحياة ، وإن كانت فى العديد منها صراحة الواقع وإنسانية الحياة .

الإنسان ومستقبل العماره فى المشرق العربى

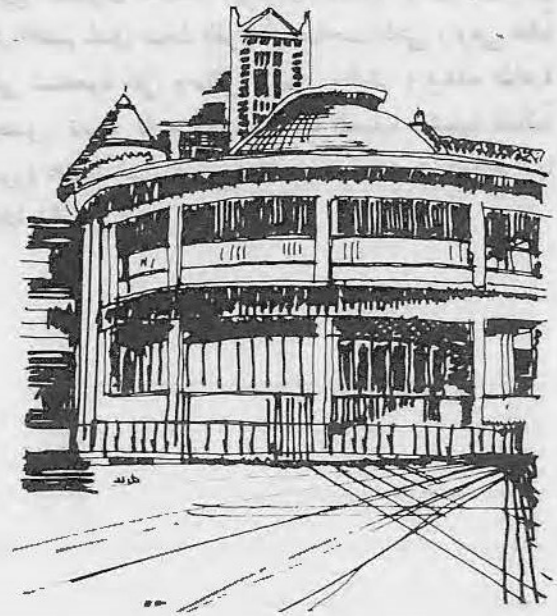

محاولة معمارية غير موفقة فى الطائف ، حيث ظهرت طرز معمارية غريبة عن البيئة أو التراث المحلى .

يرتبط مستقبل العمارة فى المشرق العربى ، ببناء الإنسان العربى ، هناك علاقة قوية بين الانسان والعمارة سواء فى أثناء مرحلة التصميم وإبداء الرغبات الشخصية المتغيرة أو أثناء التنفيذ وإبداء الرغبات الشخصية المتغيرة أيضاً ، فالانسان العربى فى المتوسط لا يستطيع أن يدرك إلا نسبة قليلة من الأبعاد المعمارية والتصميمات المقدمة إليه من المعمارى إلى درجة أن البعض منهم يحرك قلم المعمارى تبعاً لرغباته أو تصوراته الشخصية إلى الدرجة التى تفقد المعمارى سيطرته على التصميم أو التنفيذ ، وغالباً ما تتضح هذه الظاهرة فى المجتمعات العربية الغنية التى لا يكون فيها عنصر التكاليف عاملاً مؤثراً على التصميم أو التنفيذ ، والتى يكون فيها الانسان متشبعاً ببعض المرئيات المعمارية التى تعرض لها فى دول الغرب أو دول الشرق والتى أبهرته وأخذت حيزاً كبيراً من تفكيره وتصوراته حتى وإن تعارضت هذه التصورات مع العوامل المناخية أو الاجتماعية المحلية حتى ظهرت أنماط غريبة من العمارة فى غير محلها البيئى أو الاجتماعى كمسكن بنمط العمارة السويسرية على هضبة صخرية فى قلب مدينة الرياض .. أو مسكناً على الطراز الرومانى فى ضاحية من ضواحى الكويت أو اقتباس نمط العمارة المراكشية من المغرب فى العمارة المحلية بالسعودية . أو أشكال من العمارة الهندية فى بعض مساجد دولة الامارات . وهكذا تظهر أنماط متنافرة من العمارة فى مدن المشرق العربى . وإن دلت هذه الظاهرة على شىء فإنما تدل على ضعف الشخصية الحضارية للانسان العربى خاصة الذى يتعاطف مع حضارات الغرب أو الشرق ، أو يقف ضعيفاً أمام انجازاتها التكنولوجية . الأمر الذى لا يؤثر فقط على المناخ المعمارى الذى يعيش فيه بل يؤثر أيضاً على مأكله وملبسه بل وعلى سلوكياته ومعاملاته ، وهو ما ينعكس فى النهاية على مجموعات متنافرة من التصميمات الداخلية فى الوحدات السكنية ، كما يظهر على تصميماتها الخارجية ، وهذا تعبير واضح عن غياب الشخصية العربية التى فقدت أصلها الحضارى والثقافى .

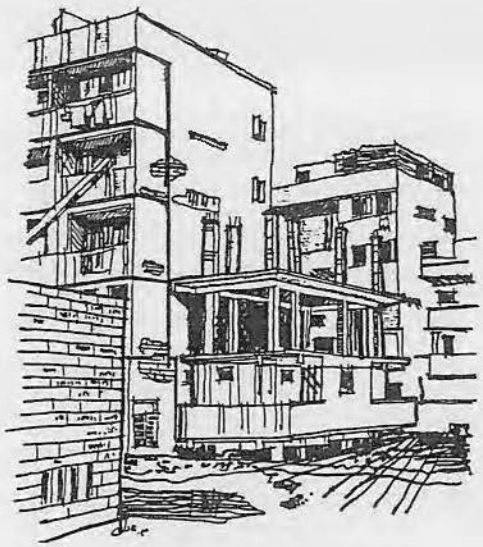

التوسع العشوائى بإضافة أدوار جديدة ملاصقة للمبانى فى المناطق العشوائية فى مصر

كثيراً ما تؤثر الظروف الاجتماعية للأسرة على النمط المعمارى للوحدة السكنية التى تقطنها ، خاصة فى الاسكان الشعبى أو الاقتصادى الذى يبنى للايواء أكثر منه للاقامة ، وغالباً ما يكون التصميم المعمارى محدد بمساحات معينة توفيراً لأكبر عدد من الوحدات السكنية بأقل تكاليف ممكنة . هنا يتصرف الانسان فى مسكنه لمواجهة متطلباته المعيشية المتزايدة ، فإما أن تقفل الشرفات بمواد خفيفة أو تحول بعضها إلى مخازن للمواد الغذائية أو مكاناً لتربية الدواجن .. وقد يندفع البعض إلى بناء غرف جديدة بجوار الوحدة السكنية إذا كانت فى الدور الأرضى أو إقامة أعمدة لغرف جديدة تضاف للوحدات

السكنية فى الأدوار العليا مع فى ذلك من مخالفات قانونية تنظيمه ومالية ، وهكذا يظهر الانفجار السكانى مجسماً على عمارة الاسكان العام ، وفى حالات أخرى تضيق فيها رقعة البناء وتتحدد فيها حقوق الانسان فى التصرف فى الوحدات السكنية التى يبنيها بالبيع أو التأجير يضطر إلى إضافة أدوار عليا إما بأسلوب معمارى وإنشائى مناسب ، وذلك فى المستويات العليا من الاسكان ، أو بمواد خفيفة ورخيصة فى المستويات الدنيا من الاسكان ، وهذه الظاهرة تضيف على أسطح المدينة العربية مدينة أخرى من الاسكان العشوائى يطمس الملامح المعمارية القديمة بما فيها من قيم فنية أو تشكيلية ، وهذه صورة أخرى مجسمة للانفجار السكانى على أسطح العمارة الشعبية الحالية .

يضطر الانسان تحت ضغط الحاجة إلى التصرف بعيداً عن المحددات القانونية أو التشريعية ، فيقيم مسكنه حيث لا تخطيط أو مرافق مستعملاً ما تحت يديه من مواد وطرق للانشاء أو ما فى قدرته من مدخرات أو مساهمة شخصية وذلك فى المستوطنات العشوائية التى تبنى خارج المدن سواء حول القاهرة بمصر أو حول مدينة جده بالسعودية أو بغداد فى العراق أو الخرطوم بالسودان والعمارة العشوائية هنا تعبر تعبيراً صادقاً عن متطلبات الانسان فى البيئة التى يقيم فيها كما تعبر تعبيراً صادقاً عن مستواه الثقافى والحضارى ، فالعمارة العشوائية هنا هى عمارة عضوية وإن تعارضت مع أسس التخطيط والتصميم ، هى تعبير عن الوظيفة فى العمارة أكثر مما تعبر عنه عمارة الاسكان العام فى بعض الدول العربية الذى لا يلبث أن يتحول إلى أطلال معمارية . هنا يمكن أن تكون العمارة بدون معماريين ، إذا ما أتقن بناؤها وحسن استعمالها ، أكثر صدقاً من عمارة المعماريين .

تعتبر العمارة الريفية فى كافة قرى المشرق العربى تعبيراً صادقاً عن المتطلبات المعيشية والبيئية للانسان البسيط ، تنبع مادة البناء من الأرض من المواد المحلية بعد تشكيلها بالوسائل البسيطة السائدة ، والعمارة الريفية أكثر تعبيراً عن الجوانب الحضارية للانسان . وإذا كانت هذه الجوانب الحضارية فى العمارة قد بدأت تقل فى العديد من المناطق الريفية فى المشرق العربى مثل ما فى قرى دلتا النيل فى مصر ودلتا دجلة والفرات بالعراق ، إلا أنها ترتفع فى مناطق عن مناطق أخرى عديدة كما كانت عليه قرى النوبة القديمة على حدود مصر الجنوبية أو ما هى عليه فى قرى اليمن الجبلية ، أو فى المبانى الريفية فى منطقة عسير ونجران فى السعودية ، حيث تعبر العمارة فى كل هذه المناطق تعبيراً صادقاً عن المتطلبات البيئية والمعيشية للانسان ، وكلما بعدت الشقة عن المدينة كلما التزم الانسان بقيمه الريفية والتزمت العمارة الريفية بالتالى بقيمها المعمارية والانسانية ، وكلما قربت المسافة من المدينة كلما زاد التأثير الحضرى على العمران الريفى الأمر الذى افقد العمارة الريفية شخصيتها فى العديد من القرى ، كما تشاهده قرى مصر التى تستقبل العائدين من العمال من الدول النفطية والذين يسعون إلى البناء كلٌ فى قريته بعد أن يتخلص من سكنه الريفى ويشرع فى بناء مستحدث يستمد قيمه المعمارية من القيم المعمارية الضعيفة فى العمارة الحضرية . هنا يبرز نوع آخر من العمارة التى تعبر عن الانسان العربى فى حالة متغيرة فى الفكر والمحتوى الاجتماعى والاقتصادى .

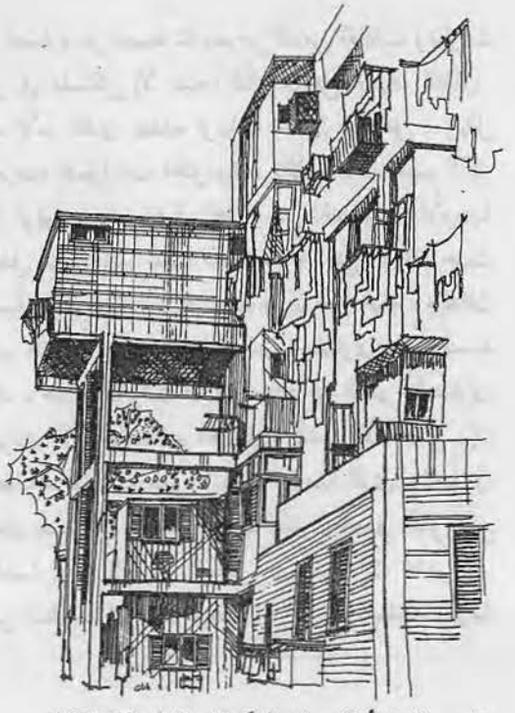

التوسع العشوائى للوحدات السكنية فى المناطق العشوائية فى مصر

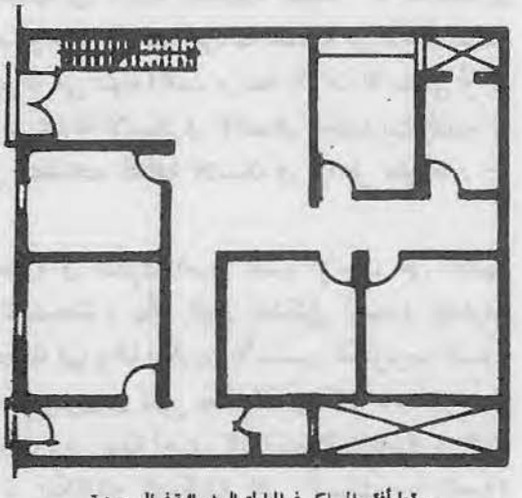

مسقط أفقى للمساكن فى المناطق العشوائية فى السعودية

أحياء الصفيح فى المملكة العربية السعودية

إن تفاعل الانسان مع العمارة هو نتيجة لما يتعرض له من ثقافات وتيارات لحضارات خارجية لا تؤثر فى المسكن إلا نتيجة لتأثيرها على الكيان الثقافى والحضارى للانسان نفسه الأمر الذى يفقده ارتباطه الحضارى المحلى . ويقل هذا التأثير ويزيد بمدى تعرضه للمؤثرات الخارجية ، فالانسان فى مصر أكثر تعرضاً لهذه المؤثرات نظراً لوقوفه عند مفترق الطرق من الحضارات الأوربية والآسيوية والأفريقية ، ويقل هذا التأثير كلما اتجهنا شرقاً حتى العراق حيث لا يزال الانسان مرتبطاً نسبياً بتراثه الحضارى فى عدد من أوجه الحياة ، ولذلك كان المعمارى العراق أقرب انفعالاً وتفاعلاً مع التراث الحضارى عنه بالنسبة للمعمارى فى مصر أو لبنان ، هذا فى الوقت الذى يتحدد فيه التأثير الحضارى الأجنبى على المجتمع السعودى لالتزامه بالقيم الحضارية للدين الاسلامى وإن كان قد تغيرت بعض متطلباته المعيشية فهو لا يزال موحداً للزى وثابتاً فى العادات والتقاليد الأمر الذى يضعه فى مقدمة شعوب المشرق العربى تجاوباً مع أى دعوة لتأصيل القيم الحضارية فى العمارة المعاصرة ، وقد بدأت تظهر أثار هذه الدعوة على العديد من البنايات فى مدن المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية .

إن التحولات المعمارية دائماً ما تعكس التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى يتعرض لها المجتمع ، وتتضح هذه الظاهرة فى عمارة مدينة الكويت التى شاهدت تحولات اقتصادية سريعة من نهاية الأربعينات صحبتها تحولات معمارية من الأنماط التقليدية إلى الأنماط التشكيلية المفتعلة ، ثم شاهدت فى الستينات تحولات اجتماعية وثقافية صحبتها تحولات معمارية من الأنماط المفتعلة إلى أنماط معمارية لها طابع تاريخى سواء أكانت مرتبطة بالتراث الاسلامى أو أى تراث تاريخى آخر يعبر عن محاولة الانسان فى الالتصاق بالحضارات القديمة .. وهكذا تعبر العمارة عن التطلعات الثقافية للانسان فى مراحل تطورها .

كما يتأثر مستقبل العمارة فى المشرق العربى بقدرة الإنسان على التشييد واستعمال مواد البناء المستحدثة ، يتأثر البناء التشكيلى للعمارة بإسلوب التشييد ومواد البناء المستعملة فيها وهما المكونين الأساسيين لتكنولوجيا البناء ، فاستعمال الحجر فى البناء الفرعونى فى مصر بكتله الكبيرة كان عاملاً مؤثراً فى تشكيل العمارة الفرعونية .. ومن جهة أخرى كان استعمال الطابوق فى البناء الآشورى فى العراق له إمكانياته التشكيلية التى اتسمت بها العمارة الآشورية .. ولما تقدمت تكنولوجيا البناء بعد ذلك فى العصور الرومانية واليونانية فى المنطقة ظهر البناء بالحجر فى صور أكثر وضوحاً فى التشكيل مع ما ارتبط بذلك من نظريات فلسفية للعلاقات القياسية فى المساقط الأفقية والرأسية .. حتى بداية العصور الاسلامية حيث شهدت العمارة فى المشرق العربى طفرة جديدة فى تكنولوجيا البناء سواء بالحجر واستعمالاته المختلفة فى تشكيل الأقبية والقباب وما ارتبط بذلك من فنون تشكيلية هندسية نباتية كمكملات للعمارة الاسلامية ، وظهرت تكنولوجيا البناء أيضاً فى بناء الأضرحة كما ظهرت فى بناء الأسواق والقصور ، ودخلت تكنولوجيا البناء بعد ذلك فى العصور المتقدمة عن طريق الخبراء الأجانب سواء بطريقة مباشرة فى

الأعمال التى قامّوا بها فى منطقة المشرق العربى شماله وجنوبه ، أو بطريقة غير مباشرة من خلال التصميمات التى أعدوها .

لقد ارتبطت تكنولوجيا البناء فى منطقة المشرق العربى قبل تأثير الثورة الصناعية التى ظهرت فى أوروبا ، فتقدمت بخبرة الانسان ومهارته ، فهو المصمم والصانع والمزخرف . وبذلك توارثت تكنولوجيا البناء عبر أجيال من البشر تنتقل فيها المعرفة من جيل إلى جيل عن طريق الممارسة والتعايش المستمر مع عمليات البناء ، تتعمق فيها أصول المهنة مع الزمن وليس عن طريق الكتب والمجلات ، من هنا كانت تكنولوجيا البناء فى هذه الفترة مرتبطة بوجدان الانسان وقدراته وثقافته الفنية التى تنتقل من جيل إلى جيل لتؤكد الاستمرارية الحضارية التى لا تقطعها الطفرات المفاجئة فى تطور علوم البناء ، لذلك ارتبطت العمارة بالانسان ارتباطاً وثيقاً إلى حين دخول الآلة فى البناء لتحل محل الانسان فى كثير من الأعمال والمهام وانقطعت بذلك الصلة الوجدانية بين الصانع والمبنى فظهرت المبانى ، بعد تأثير الثورة الصناعية الخاضعة لعمليات ميكانيكية خالية من الروح . حتى ظهرت الاتجاهات المعاصرة تدعو إلى البحث عن الذات فى العمارة المحلية ، تتوازن فيها المادة بالروح ، الأمر الذى يصعب تحقيقه فى هذا الزمان الذى تتطور فيه المنجزات التكنولوجية بسرعة رهيبة ، فما هو الحال بالنسبة للمستقبل وما يصاحبه من تكنولوجيا يعجز الانسان عن تصورها ؟ .

يستقبل المشرق العربى معظم تكنولوجيا البناء من الغرب الذى اندلعت فيه الثورة الصناعية واكتسحت أمامها كثيراً من القيم الانسانية فى البناء ، ومع تدفق التيار المستمر لتكنولوجيا البناء من الغرب لم يستطع المشرق العربى أن يقاومه بحجم كاف من صناعة البناء المحلية . كما لم يستطع أن يتفاعل مع الجديد من علوم البناء فى مجال التعليم أو البحث العلمى . فتكنولوجيا البناء تنتقل إلى المشرق العربى من خلال الشركات الاستشارية التى تصمم ثم شركات المقاولات التى تنفذ ، وكلها تعتمد على التكنولوجيا الحديثة فى البناء حتى سقطت القيادة الفكرية من أيدى المصمم أو المنفذ العربى . كما جرف التيار الفكرى فى المؤلفات والدوريات التى تعرض لعلوم البناء أى فكر محلى يحاول أن يستنبط مادة محلية جديدة للبناء أو أسلوباً محلياً حديداً للتشييد . وهنا يضمر الفكر العربى وتضمر المؤلفات والدوريات كما يضمر عطاء المنظمات المهنية للعاملين فى قطاع البناء والتشييد تخطيطاً وتصميماً وتنفيذاً .

ويرتبط مستقبل العمارة العربية فى المشرق العربى بمستقبل تكنولوجيا البناء فيه ، كما يرتبط بمستقبل الفكر الثقافى والحضارى لمجتمعاته بكل فئاتهم . وإذا كان من الممكن قياس مستقبل تكنولوجيا البناء فى ضوء ما هو متاح من موارد وخبرات وما هو وارد من فكر وعلم ، فإنه من الصعب التكهن بمستقبل الفكر الثقافى والحضارى لمجتمع تتباين فيه الفئات ثقافياً وحضارياً واقتصادياً واجتماعياً . من هنا كانت أهمية تطويع تكنولوجيا البناء لتتجاوب مع متطلبات واحتياجات هذه الفئات المتباينة من البشر . والتطويع هنا يعتبر بداية الطريق

لبناء عمارة المستقبل فى المشرق العربى . والتطويع لا يتطلب بالضرورة تطبيق آخر ما وصل إليه العلم من تكنولوجيا بقدر ما هو إيجاد تكنولوجيا البناء التى تتناسب مع الامكانيات البشرية لفئات المجتمع فكرياً وعلمياً وعملياً ، كما تتناسب مع موارد الدولة مادياً واقتصادياً ، وتتناسب مع بيئة المكان طبيعياً وجغرافياً . من هنا يبدأ البحث عن تكنولوجيا البناء فى دول المشرق العربى . والبداية فى معاهد بحوث البناء ثم تنتقل النتائج إلى المصانع وتنتهى إلى المستهلك ، ثم تخضع للمتابعة والتقويم الذى تعود نتائجه فى البداية إلى معاهد بحوث البناء للمراجعة والتجديد . وذلك حتى لا ترتبط صناعة البناء فى الدول العربية بعربة التكنولوجيا الغربية .

إن تطويع تكنولوجيا البناء للظروف المحلية اقتصادياً وفنياً وتطبيقياً يتطلب العديد من الدراسات والاجراءات التى تضمن استعمالها مع الالتزام بمواصفاتها ومعاييرها الفنية الأمر الذى يتطلب تغييراً جذرياً فى الهياكل التنظيمية والادارية والفنية لأجهزة التشييد فى القطاعين العام والخاص ، ومن ثم فى تنظيم وتدريب وتوظيف العمالة اللازمة لهذه الأجهزة باعتبار صناعة البناء صناعة متحركة تتحرك بتحرك المنشأ نفسه واعتبارها أيضاً صناعة ثابتة فى الادارة والتنظيم والتشغيل . فثبات نوعية الانتاج فى هذه الصناعة وضخامة حجمه يستلزم ثباتاً فى نوعية وحجم العمالة اللازمة لهذا الانتاج . وهنا تختفى العمالة الموسمية أو المؤقتة التى دائماً ما ترتبط بصناعة البناء فى العديد من دول المشرق العربى سواء مع الشركات الكبيرة أو الصغيرة التى تعمل فى عالم البناء والتشييد .

ويتطلب تطويع تكنولوجيا البناء فى المشرق العربى أيضاً تطويراً للمناهج التعليمية فى المعاهد والكليات الفنية والهندسية بحيث ترتبط النظريات التخطيطية والمعمارية والانشائية بالواقع المحلى اقتصادياً واجتماعياً وبيئياً ، الأمر الذى يتطلب جهداً كبيراً فى البحث ثم فى التأليف والنشر حتى تنتقل المعرفة وتستقر النظرية وتستمر وتتخرج الأجيال الفنية والهندسية متشبعة بخصائص ومتطلبات الواقع المحلى ، من هنا يمكن أن تنبت تكنولوجيا البناء التى تناسب الظروف المحلية اقتصادياً وفنياً وتطبيقياً ، ومن ثم تتطور صناعة البناء فى نفس الاتجاه ، الأمر الذى سوف يؤثر بالتبعية على مستقبل العمارة المحلية . هذا مع المتابعة المستمرة لأحدث ما ينتجه الغرب من تكنولوجيا متابعة بحثية وعلمية أكثر منها ملاحقة تطبيقية .

وعلى جانب آخر يتأثر مستقبل العمارة فى المشرق العربى وعلى المدى البعيد بتكوين الإنسان المعمارى العربى الذى يتبلور فى المدارس والكليات أولاً ثم بالممارسة بعد ذلك أو بالبحث العلمى والدراسات الأكاديمية ، ويتأثر بناء المعمارى العربى من داخل المعاهد العلمية بالمناهج العلمية والاتجاهات المعمارية الأكاديمية والتى تختلف باختلاف الخلفية العلمية للأساتذة والموجهين . كما يتأثر بناء المعمارى من خارج المعاهد العلمية بما يشاهده على الطبيعة من أعمال معمارية هى فى الواقع نتيجة تفاعل فكر المصمم وثقافة صاحب العمل وهو تفاعل غير متوازن فى العديد من الدول النامية ومنها دول المشرق العربى هذا بالاضافة إلى ما يقرأه المعمارى أثناء مرحلة الدراسة وما بعدها من مؤلفات

أو دوريات معمارية ومعظمها يعبر عن فكر غريب عن المجتمعات المحلية ثقافياً وبيئياً ، اللهم إلا النذر القليل من المؤلفات العربية والتى لا يمكن تقويمها إلا أنها مجرد ترجمات هزيلة للفكر الغربى ولا يستثنى من ذلك إلا القليل جداً من الكتب والمجلات المعمارية .

لقد بدأ بناء المعمارى فى المشرق العربى كجزء من بناء المهندس واستمر هذا المفهوم فى معظم الجامعات العربية كما هو الحال فى جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية وبغداد ودمشق وحلب والأردن والخرطوم وبيروت ، وإن كان بعضها قد بدأ فى إنشاء كليات لتصميم البيئة تضم أقسام العمارة وتكنولوجيا البناء والتخطيط العمرانى كما هو فى جامعات البترول بالظهران والملك فيصل فى الدمام والملك عبد العزيز بجدة والملك سعود بالرياض . فلا يزال مفهوم البناء العلمى للمعمارى يدور فى فلك العلوم الهندسية حتى أن المعمارى العربى يحمل مسمى المهندس المعمارى ، وهنا يتعرض بناء المعمارى العربى إلى مجموعة من المواد الهندسية والرياضية والكيماوية والميكانيكية التى تفقده قدراً من الثقافة المعمارية بجوانبها الوظيفية والتشكيلية والتراثية .. كما يتعرض بناء المعمارى العربى أيضاً إلى مجموعة متباينة من النظريات المعمارية والتخطيطية المشتقة من الفكر الغربى ورواده فى عالم العمارة والتخطيط العمرانى ، الأمر الذى يساعد على الانفصام الفكرى بين المعمارى العربى فى مرحلة بنائه وبين الواقع البيئى والاجتماعى والاقتصادى الذى يعيش فيه ، وتصبح النظرية لديه خيالاً لا يرتكز على قاعدة من الواقعية .

كما يتعرض بناء المعمارى العربى إلى مجموعة من النظم الادارية التى تراعى بعضها فى بعض الدول العربية استعداد الطالب وقدراته الفنية التى تصلح للتعليم المعمارى بينما لا تراعى هذه النظم فى البعض الآخر هذا الاستعداد أو القدرات ، ويصبح التعليم المعمارى مجرداً من هذه الشروط الأساسية فى التكوين الشخصى لطالب العمارة . من هنا تصبح العملية التعليمية المعمارية قائمة على التلقين أكثر منها على الابتكار ، وتتخرج بذلك أجيال ضعيفة من المعماريين لا يلبثوا أن يدخلوا الحياة العملية فاقدين لأصول المهنة فتخرج عماراتهم فى الطبيعة بسرعة كبيرة تعبر عن أنماط مكررة من الفكر المعمارى الممسوخ الذى يأخذ بشرط تراخيص البناء قبل أن يأخذ بالقيمة المعمارية التى تناسب البيئة المحلية ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، وهنا قد يترك الأمر كله لصاحب الأمر المسئول عن منح تراخيص البناء فى أجهزة البلديات المحلية .

وإذا كان البناء المعمارى يتأثر فى أوله بالعملية التعليمية فهو ينتهى إلى ممارسة المهنة والتنظيمات القائمة عليها ، فتنظيم المهنة المعمارية لا يزال يدور فى إطار المهنة الهندسية كالرى والطرق والمرافق والميكانيكا والكهرباء ، وهكذا تضيع الشخصية المميزة للمعمارى ومن ثم لأعماله المعمارية . إن تنظيم المهنة لا زال يعطى المهندس النقابى حق ممارسة الهندسة المعمارية فتظهر بذلك أنماط غريبة للعمارة العربية لا تتدخل التنظيمات المهنية فى تصميمها أو تخطيطها أو تنفيذها ، اللهم إلا فى أضيق الحدود كما فى مدن جدة أو تونس أو مراكش ،

وهنا يظهر الأثر القوى لتنظيم المهنة على بناء المعمارى بعد فترة التحضير فى الدراسات الجامعية ، إذ يقتصر تنظيم المهنة المعمارية على العضوية وسداد الالتزامات المالية الخاصة بالتأمين مع القليل جداً من النشاط العلمى فى صورة محاضرات عامة . وهنا يمكن أن يقال أن التنظيم المهنى المعمارى لا يزال منعدماً فى دول المشرق العربى إذ لا يزال جزءاً ضعيفاً من التنظيم المهنى الهندسى العام وهنا يكمن الضعف الشديد فى الكيان المهنى للمعماريين فى دول المشرق العربى موضوع هذه الدراسة ، الأمر الذى ينعكس بالتبعية على ضعف الانتاج المعمارى بها . ويترك الفرصة للمعمارى الغربى بقدراته الفنية والتنظيمية ومسانداته الرسمية والسياسية لأن يدخل سوق الانتاج المعمارى فى هذه الدول تاركاً القدر اليسير لأبنائها من المعماريين الوطنيين .

التنظيمات المهنية المعمارية إما أن تأخذ شكل شعب متخصصة فى إطار نقابات المهندسين كما فى مصر والعراق وسوريا والأردن لتختص بالجوانب التنظيمية للمهنة ، بينما هناك بعض الجمعيات الهندسية العلمية تعمل منفصلة عن التشكيلات النقابية وتحاول أن تختص بالجوانب العلمية وإن كان معظمها قليل الفعالية علمياً أو ثقافياً أو مهنياً .. كما فى جمعية المهندسين المعماريين فى مصر المسجلة نظامياً فى وزارة الشئون الاجتماعية كغيرها من الجمعيات العلمية أو الخيرية .. هذا فى الوقت الذى لا توجد فيه مثل هذه الجمعيات فى المملكة العربية السعودية . كما يمارس النشاط العلمى المعمارى فى دول المشرق العربى الآخر فى إطار النشاط العام للجمعيات الهندسية كما فى الكويت ودولة الامارات العربية والسودان ولبنان ويبقى النشاط المهنى المعمارى فى فلسطين مرتبطاً بالنشاط المماثل له فى الأردن حتى الآن ودون فعالية تذكر . وحتى الآن لم يظهر للشعب أو الجمعيات المعمارية أثر يذكر فى تنظيم المهنة خاصة فيما يرتبط بالبناء الفكرى للمعمارى العربى بعد حصوله على المؤهل الجامعى ، فلا نشرات معمارية دورية أو مجلات معمارية أو كتيبات تساعد على الارتقاء بالمستوى الفنى للمهنة كما هو فى معظم الدول المتقدمة فى العالم .

من متابعة التطورات التى طرأت على بناء المعمارى العربى فى النصف قرن الماضى لا يمكن التبصر بتعديلات واضحة فى العوامل المؤثرة على ذلك سواء من الناحية التعليمية أو الممارسة المهنية وإن كانت هذه الصورة تختلف من دولة لأخرى من دول المشرق العربى . فإذا كان التنظيم المهنى مؤثراً فى الكويت ولبنان ودولة الامارات فهو أقل تأثيراً فى مصر والسودان وسوريا واليمن ، وأكثر أثراً فى المملكة العربية السعودية حيث يتم تنظيم المهنة من خلال المؤسسات الحكومية كما فى وزارة التجارة أو الشئون البلدية والقروية ، وتتجه معظم التنظيمات المهنية إلى إعطاء المهندس الوطنى فرصاً أكثر فى الممارسة والانتاج أكثر منها للمكاتب الاستشارية الأجنبية التى اتسع نشاطها فى دول المنطقة سواء بالتقدم المباشر للممارسة عن طريق الوكلاء المحليين أو بالتقدم الغير مباشر عن طريق المعونات المالية والفنية الخارجية . ومع ذلك فالمعمارى لا يزال يعامل معاملة المهندسين المحليين دون تمييز أو اختلاف مهنى بعكس ما هو فى معظم الدول المتقدمة من العالم .

ومع ضعف التنظيمات المهنية للمعماريين العرب ومع الجمود الفكرى فى العمليات التعليمية السائدة فى معظم دول المنطقة خاصة تلك التى تعتبر التعليم المعمارى جزءاً لا يتجزأ من التعليم الهندسى لذلك يضعف الانتاج العلمى بحثاً وتطبيقاً أو تأليفاً ونشراً . فالبحوث المعمارية لا تزال تدور فى قوالب أكاديمية بعيدة عن واقع المجتمع ومتطلباته الحالية والمستقبلية ولا تؤثر تأثيراً مباشراً على بناء المعمارى أو على انتاجه خاصة وإن معظم هذه البحوث لا ترى النور من خلال النشر والتوزيع . فليس فى المشرق العربى بما فيه من أعداد كبيرة من المعماريين وما تظهر فيه من أعداد كبيرة من المشروعات التخطيطية والمعمارية ، ليس فيه دار للتأليف والنشر المعمارى حتى أن معظم ما ينشر عن العمارة المعاصرة فى المنطقة يظهر على صفحات المجلات الأجنبية لأن مصمميها ومخططيها هم من المعماريين الأجانب والاهتمام بنشر أعمالهم جزء من الاهتمام بالسوق الاستشارية المعمارية فى المنطقة ، وأكثر من ذلك فإن سوق البناء فى المشرق العربى لا تزال تعتمد على قدر كبير من انتاج المصانع الغربية الأمر الذى ينقل معها قيماً معمارية وتشكيلية لا تلبث أن تؤثر على الملامح المعمارية المحلية . من هنا فإن مستقبل العمارة العربية فى دول المشرق العربى سوف يتأثر لفترة طويلة من الزمن بما ينتج فى الخارج من مواد وتجهيزات وعناصر معمارية طالما لا تفى صناعة البناء المحلية بكل متطلبات الأسواق المحلية فى المنطقة ، الأمر الذى يتطلب تكاملاً فى صناعة البناء على المستوى العربى لهذه المنطقة وهذا رهن بالعلاقات السياسية بينها .

وهكذا يرتبط مستقبل العمارة العربية فى المشرق العربى ببناء المعمارى العربى علمياً ومهنياً وتنظيمياً ليكون قادراً على الاضطلاع بكامل مسئولية البناء المعمارى فى دول المنطقة بعد أن تستغنى عن المعمارى الأجنبى الذى ظل فترة طويلة من الزمن – أكثر من نصف قرن – يقوم بهذه المهمة دون منافسة من المعمارى المحلى ، وذلك مع الارتقاء بالوعى الفنى والتنظيمى والمهنى للمعمارى المحلى من ناحية والعناية بالبحوث العلمية والمعمارية والارتقاء بمستوى الانتاج لصناعة البناء لتكون قادرة على تغطية السوق المحلى للبناء بكامل متطلباته بحيث تترك آثارها على الملامح المعمارية المحلية من ناحية أخرى . وهكذا ترتبط الجوانب العلمية والمهنية والانتاجية والسياسية فى عمليات بناء المعمارى العربى ومن ثم تحديد مستقبل العمارة فى المنطقة .

قائمة بأسماء المراجع العربية الخاصة بمصر :

١ – د . أحمد فكرى : ◦ **مساجد القاهرة ومدارسها – المدخل** ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
◦ **مساجد القاهرة ومدارسها – الجزء الأول** – العصر الفاطمى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .
◦ **مساجد القاهرة ومدارسها – الجزء الثانى** – العصر الأيوبى ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ م .

٢ – أبو صالح الألفى : **الفن الاسلامى ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه** ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ م .

٣ – بول كازانوفا : **تاريخ ووصف قلعة القاهرة** ، ترجمة د . أحمد دراج ومراجعة د . جمال محرز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة المكتبة العربية رقم ١٤٤ عام ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .

٤ – د . توفيق عبدالجواد : ◦ **تاريخ العمارة – الجزء الثالث** ، دار وهدان للطباعة والنشر ١٩٧٠ .
◦ **تاريخ العمارة والفنون الاسلامية** ، دار وهدان للطباعة والنشر ١٩٧٠ .

٥ – ثروت عكاشة : **القيم الجمالية فى العمارة الاسلامية** ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م .

٦ – د . جمال حمدان : ◦ **شخصية مصر – دراسة فى عبقرية المكان – الجزء الأول** ، ١٩٧٠ .
◦ **شخصية مصر – دراسة فى عبقرية المكان – الجزء الثانى** ، ١٩٨١ .

٧ – جمال الغيطانى : **قاهريات – الأسبلة** ، القاهرة ١٩٨٤ .

٨ – د . حسن باشا ، د . عبد الرحمن فهمى ، عبدالرؤوف على يوسف ، حسين عبد الرحيم عليوه ، محمد مصطفى بخيت :
القاهرة – تاريخها – فنونها – آثارها ، مراجعة د . حسن الباشا ، مؤسسة الأهرام .

٩ – د . حسين مؤنس : ◦ **المساجد** . سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ربيع الأول ١٤٠١ هـ يناير ١٩٨١ م .

١٠ – د . سعاد ماهر : **الفن القبطى** ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ م .

١١ – عادل طاهر : **السياحة – ماضيها – حاضرها – مستقبلها** ، مطابع مؤسسة روز اليوسف .

١٢ – د . عبدالرحمن زكى : **الفن الاسلامى** ، دار المعارف ، سلسلة كتابك ١٩٨٤ .

الأزهر وما حوله من الآثار ، وزارة الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .

قلعة صلاح الدين الأيوبى وما حولها من الآثار ، وزارة الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ .

١٣ – ب . أ كريزويل : **وصف قلعة الجبل** ، ترجمة د . جمال محرز ، مراجعة د . عبدالرحمن زكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – سلسلة العمارة الاسلامية فى مصر ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .

١٤ – د . كمال الدين سامح : **العمارة الاسلامية فى مصر** ، دار المعارف ، سلسلة كتابك ، ١٩٧٧ م .

العمارة فى صدر الاسلام ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٤ م .

١٥ – د . مصطفى العبادى : **مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى** ، مكتبة الانجلو المصرية .

١٦ – نعمت اسماعيل علام : **فنون الشرق الأوسط فى العصور الاسلامية** ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ١٩٧٧ م .

١٧ – وزارة الأوقاف : **مساجد مصر – جزء أول** ، القاهرة ١٩٥٢ .

مساجد مصر – جزء ثانى ، القاهرة ١٩٥٢ .

١٨ – الموسوعة المصرية : **تاريخ مصر القديمة وآثارها – العصر اليونانى الرومانى** ، المجلد الأول ، الجزء الثانى .

١٩ – مجلة عالم البناء : **فندق سميراميس الجديد** صفحة ٢٢ العدد الرابع ، نوفمبر ١٩٨١ م .

الربع – نموذج للاسكان الشعبى فى العمارة الاسلامية ، صفحة ٣٦ ، العدد الرابع ، نوفمبر ١٩٨١ م .

عمارة الصحراء – حى السنادية – الواحات الخارجة ، صفحة ٥٥ ، العدد الرابع ، نوفمبر ١٩٨١ م .

مشروع كايروا بلازا ، صفحة ٢٨ ، العدد السادس ، يناير ١٩٨١ م .

آثار القاهرة الاسلامية – كيف نحافظ عليها ، صفحة ٨ ، العدد السابع ، فبراير ١٩٨١ م .

صيانة المبانى الأثرية ، صفحة ١٦ ، العدد السابع ، فبراير ١٩٨١ م .

بيت الرزاز ، صفحة ٢٨ ، العدد السابع ، فبراير ١٩٨١ م .

الاسكندرية وتطورها عام ٢٠٠٠ ، صفحة ٩ ، العدد ١٤ ، سبتمبر ١٩٨١ م .

المسرح الرومانى ، صفحة ١٧ ، العدد ١٤ ، سبتمبر ١٩٨١ م .

تطور منطقة ميدان المساجد بالاسكندرية ، العدد ١٤ ، سبتمبر ١٩٨١ م .

* **بيت الششيرى بالغورية** ، صفحة ٢٨ ، العدد ١٤ ، سبتمبر ١٩٨١ م .
* **عشر سنوات من الانجاز العمرانى** ، صفحة ٩ : ١١ ، العدد السادس عشر ، نوفمبر ١٩٨١ م .
* **مشروع مدينة ٦ اكتوبر** ، صفحة ٢٦ : ٢٩ ، العدد السادس عشر ، نوفمبر ١٩٨١ م .
* **مدينة السلام – محطة كهرباء أبى قير** ، صفحة ٣٢ العدد السادس عشر ، نوفمبر ١٩٨١ م .
* **التشييد والمقاولات** ، صفحة ٨ ، العدد ٢٠ ، مارس ١٩٨٢ م .

٢٠ – د . محمد عمارة : * **الاسلام والمستقبل** ، الناشر دار الشروق .

قائمة بأسماء المراجع العربية الخاصة بالمملكة العربية السعودية والخليج :

١ – د . حازم محمد ابراهيم : * **تخطيط المدن فى المملكة العربية السعودية** – ١٩٨١ . م . عمر عبد الله قاضى

٢ – محمود بن ضاوى القثامى : * **الآثار فى شمال الحجاز** – الجزء الأول – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٦ .
* **شمال الحجاز** – معجم المواضع والقبائل والحكومات الجزء الثانى – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ .

٣ – د . حسين مؤنس : **المساجد** – عالم المعرفة – الكويت – ١٩٨٠ .

٤ – د. صالح لمعى مصطفى : **المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى** – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٨٠ .

٥ – م. محمد سعيد فارسى : **التكوين المعمارى والحضرى لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية** – رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الهندسة – جامعة الاسكندرية ١٩٨٢ .

٦ – مجلة البناء (مجلة معمارية) : **المسجد** – العدد الأول – فبراير / مارس – ١٩٧٩ .

المرجع العربى الخاص باليمن :

١ – عدنان ترسيس : **اليمن وحضارة العرب** – دار مكتبة الحياة بيروت .

قائمة بأسماء المراجع العربية الخاصة بالعراق :

١ – رفعة جادرجى : **موقع التراث فى العمارة المعاصرة فى العراق** ، مجلة فنون عربية ، العدد الثالث ، دار واسط للنشر – المملكة المتحدة .

٢ – د . عيسى سليمان السيدة / هناء عبدالخالق السيدة / نجلة العزى السيدة / نجاة يونس * **العمارات العربية الاسلامية فى العراق ، الجزء الأول (تخطيط مدن ومساجد) دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ .**
* **العمارات العربية الاسلامية فى العراق ، الجزء الثانى (قصور ومشاهد)** ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ م .

٣ – مجلة عالم البناء : **دراسة فى عمارة العراق** – د . خالد السلطانى الجزء الأول صفحة ٩ – ١٢ – العدد الثامن والستون – أبريل ٨٦ الجزء الثانى صفحة ٨ – ١٣ – العدد السبعون – يونيو ٨٦ .

٤ – مجلة فنون عربية : **تطوير شارع حيفا – بغداد** ، العدد الخامس ١٩٨٢ ، دار واسط للنشر – المملكة المتحدة .

قائمة بأسماء المراجع العربية الخاصة ببلاد الشام :

١ – عبد القادر الريحاوى : **العمارة العربية الاسلامية ، خصائصها ، وأثارها فى سوريا** – منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى – دمشق ١٩٧٩ .

٢ – عمر عبد السلام تدمرى .
- **تاريخ وأثار ، مساجد ومدارس طرابلس فى عهد المماليك** – طرابلس ١٩٧٤ .
- **تاريخ طرابلس السياسى والحضارى عبر العصور** الجزء الأول – طرابلس ١٩٧٨ ، الجزء الثانى المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ١٩٨١ .

٣ – فيليب حتى :
- **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** ، الجزء الأول ترجمة جورج حداد وعبدالمنعم رافق . راجعه جبرائيل جبور – دار الثقافة – بيروت ١٩٧٢ الطبعة الثانية .
- **تاريخ لبنان** ، ترجمة أنيس فريحه ، مراجعة نيقولا زيادة – دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة .
- **تاريخ العرب** – مراجعة ادوارد جرجى وجبرائيل جبور – دار غندور – بيروت ١٩٧٤ – الطبعة الخامسة .

٤ – كارل بروكان : **تاريخ الشعوب الاسلامية** ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٧ – الطبعة السابعة .

٥ – محمد أسعد طلس : **الآثار الاسلامية والتاريخية فى حلب** – مطبوعات مديرية الآثار العامة – دمشق ١٩٥٦ .

٦ – محمد كرد على : **خطط الشام** ، ٦ أجزاء – دار العلم للملايين بيروت – ١٩٦٩ – ١٩٧٧ – الطبعة الثانية .

قائمة بأسماء المراجع العربية الخاصة بالسودان :

١ – السمحون : **نبتة ومروى فى مملكة كوش** – معهد الدراسات الأفريقية – ١٩٦٨ .

٢ – حسن أحمد ابراهيم : **رحلة محمد على باشا إلى السودان (١٨٣٨ – ١٨٣٩)** – معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية – ١٩٨٠ .

٣ – حسن نجيلة : **ذكريات فى البادية** – الطبعة الثالثة – دار مكتبة الحياة بيروت – ١٩٧١ .

٤ – عادل مصطفى أحمد : **مشكلات المستوطنات البشرية فى الوطن العربى** – ندوة أنماط البناء فى العالم العربى – اتحاد مجالس البحث العلمى العربية – بغداد – ١٩٨٣ .

٥ – عبدالله حامد العبادى : **تخطيط المدن فى السودان بين الحاضر والمستقبل** – وزارة الحكومة المحلية – ١٩٧٤ .

٦ – محمد ابراهيم أبو سليم : **الأرض فى المهدية** – شعبة أبحاث السودان – ١٩٧٠ .

٧ – محمد سعد محمد سالم : **أضواء على حضارة كرمة** – جامعة الخرطوم – ١٩٧٠ .

٨ – كلية الهندسة : **تقارير دراسات قرى البشاقرة والكريبة أم القرى** – جامعة الخرطوم – ١٩٦٨ .

• Yemen:

1. KIRKMAN J. : **City of Sanaa** - World of Islam Festival, 1976.
2. SEYEANT R.B, LEWCOCK, R. : **Sanaa an Arabian Islamic City** - Published First 1983.
3. : **Final Report of the Airphoto Interpretation Project of the Swiss Technical Co-operation Service** - Carried out for the Central Planning Organization Sanaa - (Zurich April 1978).

• Sudan:

1. AGRAA, O ET AL : **Human Settlements in Gezira Sudan** -Heritage Publishers - India 1981.
2. AGRAA, O. AHMED, A.M. HAYWOOD, I. KEIR: O. : **Popular Settlements in Greater Khartoum** -I.I.E.D. London Forthecoming.
3. AHMED, ADIL MOUSTAFA : **Community Facilities Gezira, Sudan** - Sudan Notes and Record. Vol. 60 pp. 86-93 (1979).
   An Introduction to The Study of Traditional Building Methods and Form in Sudan - Symposium on "Housing, The French Sudanese Experience". -Khartoum 1980.
4. CRAWFORD, O.G.S. : **The Fung Kingdom of Sennar** - Gloucester 1951.
5. EL-BUSHRA S. : **An Atlas of Khartoum Conurbation** -Khartoum University Press; - 1976.
6. GREENLAW, J.P. : **The Coral Buildings of Suakin** - Oriel Press - London 1976.
7. HAKIM, AHMED : **New Perspectives in the Sudanese** -Post Sudannesco. Khartoum. Dec. 1983. pp.1-6
8. HAYWOOD, I AHMED, A.M. : **Land Use Planning in the Sudan** -Miami, Forthcoming. In Patricio, N International Handbook on Land Use Planning Greenwood Publishers Miami.
9. MCLEAN, W.H. : **The Planning of Khartoum and Omdurman** -Town Planning Conference - Oct. 1910.
10. NORBURG—SCHULZ C. : **Genius Loci** -Acedemy Editions -London 1980.
11. REHFISCH, F. : **A Sketch of the Early History of Omdurman** -Sudanese and Records Vol 45 - 1964.
12. WENZEL, M. : **Housing Decoration in Nubia -Duckworth** -London 1965.
    Africa in Antiquity, The Arts of Ancient Nubia and the Sudan. - The Brooklyn Museum 2 Vol. -New York 1978.

• Iraq

1. BURCKHARDT, TITUS : **Art of Islam - Language and Meaning,** World of Islam Festival Trust 1976.
2. CONTACUZINO; SHERBAN : **Baghdad Resurgent"** Mimar, Architecture in Development Vol. No. 6 (October - December 1982): P.56 - 71. Concept Media - Singapore
3. D. HOAG, JOHN : **Islamic Architecture** Harry N. Abrams, Inc., Publishers, New York. (1977).
4. KULTERMANN, UDO : **"Contemporary Arab Architecture: The Architectes of Iraq"**
   Mimar: Architecture in Development Vol No.5 (September 1982) P.54 - 61.
5. MICHELL; GEORGE : **Architecture of the Islamic World. Its History and Social Meaning**
   Thames and Hudson Ltd., London (1978).
6. ROGERS MICHAEL : **The Spread of Islam,** Elsevier - Phaidon (1976).

• List of References

• Egypt

1. ABU LUGHOD J.L. : **Cairo, 1001 Years of the City Victorious-** Princeton University Press, U.S.A., 1971.
2. ILBERT, R. : **Heliopolis, Le Caire (1905-1922)** -Centre national de la recherche scientifique - centre régional de publication. Marseille.
3. NAWRATH A. : **Egypt, The Land Between Sand and Nile.**
4. MEINECKE. : **Islamic Cairo; Architectural Conservation and Urban Development of the Historic Center** -German Institute of Archaeology, June 1980.
5. MINISTRY OF CULTURE : **Cairo, The Life History of 1000 Years** - Egyptian Publishing Organization.
6. SMITH W.S. : **The Art and Architecture of Ancient Egypt.**

• Syria & Lebanon

1. ANTONIUS : **Architecture in Lebanon** (Beirut, Khayat 1965).
2. ASMAR, M. : **Expression de la conscience libanaise** (Beyrouth) Cenacle 1946-1962.
3. BURCKHARDT, T. : **Art of Islam, Language and Meaning.** World of Islam Festival Publishing Company Ltd., (London 1967).
4. ECOCHARD, M+ CLAUDE LE COEUR : **Monographies architecturales** Inst. Français, de Damas, 2 vol., (Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1942-43).
5. GRABAR, O. : **Die Entstehung der Islamischen Kunst.** (Dumont Buchverlag Koln, (1977).
6. Cerswell K.A.C : **Early Muslim Architecture,** 2 Vol. (Oxford 1932-1940).
7. MICHELL, GEORGE : **Architecture of the Islamic World, its History and Social Meaning** (London 1978).
8. RAGETTE, F. : **Architecture in Lebanon. The Lebanese House during the 18th and 19th centuries (Beirut 1974).**
9. RICHMOND, E.T. : **Moslem Architecture** (London 1926).
10. RIVOIRA, G.T. : **Moslem Architecture: its origins and development.** Translated from the Italian by G. Mcn. Rushforth, (London 1918; reprint. 1975).
11. SALADIN, H. : **Manuel d'art Musulman** I. L'architecture (Paris 1907).
12. SALAM LIICHY HAYAT : **The Architecture of the Mamluks in the City of Tripoli.** The Aga-Khan Program for Islamic Arahitecture (Harvard Uni. 1983).
13. SAUVAGET, J. : **Les monuments historiques de Damas** (Beyrouth, Imp. Cath. 1932).
14. SINJAB, K. : **Das Syrische Wohnhaus Des 17-19 Jhd.** (Unpubl. Disst. TH Aachen, BRD (1965).
15. THOUMIN, R. : **Maison syrienne dans la plaine hauranaise, Le bassin du Barada et sur les plateaux du Qalamun,** Documents d'etudes orientales, Inst. Français de Damas II (Paris, Librairie Ernest Leroux 1932).

• Saudi Arabia and the Gulf

1. MAHMOUD BODO RASH : **The Tent Cities of the Hajj** - Institute of Light Weight Structure IL - Stuttgart 1980.
2. TALIB KAIZER : **Shelter in Saudi Arabia** - Academy Editions 5T Martius Press - London 1984.
3. : **The Kingdom of Saudi Arabia** - Stacey International - London 1977.

رقم الإيداع : ٥٢٩٥ / ٨٦

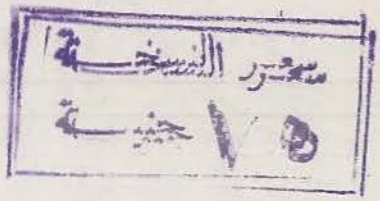

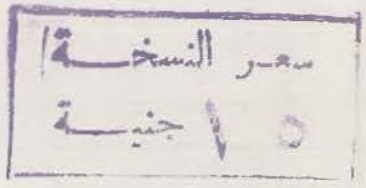

International Press
٥ شارع حال الشامد - مدينة الصحفيين ت ٣١٧٤٢٥٩

Center of Planning and Architectural Studies

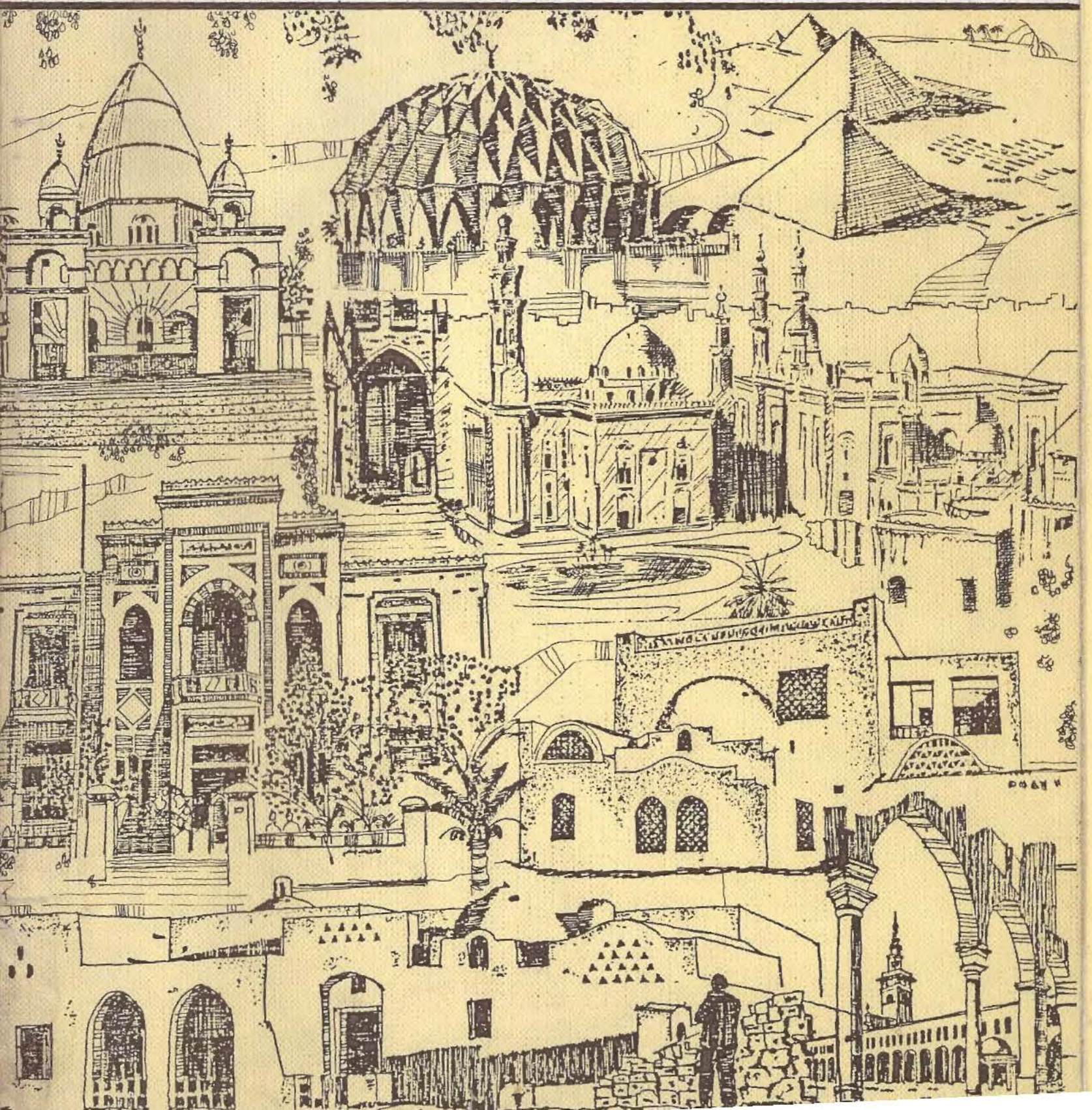

المنظور التاريخى للعمارة فى المشرق العربى

يعتبر هذا الكتاب قراءة جديدة لتاريخ المشرق العربى وذلك بهدف تسجيل تاريخ النظرية المعمارية فى المنطقة على مر العصور . وقد تناول الكتاب العوامل المشكلة للعمارة فى مصر منذ الدولة القديمة مروراً بعصر الفتح الإسلامى وحتى العصر الحديث ثم الخصائص البيئية التى شكلت عمارة الجزيرة العربية ثم عمارة العراق وعمارة الشام . ثم عرض لتباين الأنماط المعمارية على أرض السودان ، ثم تناول الكتاب بعد ذلك عوامل الوحدة والتنوع فى العمارة المعاصرة ومستقبلية الانسان والعمارة فى المشرق العربى .

من مطبوعات مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية التى صدرت حتى الآن :

تأصيل القيم الحضارية فى بناء المدينة ، والكتاب محاولة للبحث عن المداخل المعمارية لتأصيل القيم الحضارية فى العمران العربى المعاصر من خلال المشروعات المعمارية .

الإسكان فى المدينة الإسلامية : ويتضمن ابحاث ندوة الاسكان فى المدينة الإسلامية (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) انقرة - لحساب منظمة المدن والعواصم الإسلامية .

الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن : وهو جامع لبحوث ندوة الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدينة العربية ، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) بالاشتراك مع أمانة مدينة جده .

• تحت الطبع :

كلمات صحفية فى الشئون العمرانية : جامع للمقالات التى نشرت للكاتب فى مختلف الصحف والمجلات على مدى خمسة وثلاثين عاما تناقش موضوعات العمارة والتخطيط والاسكان فى مصر .

المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية ، وهو يناقش النظرية المعمارية الغربية بهدف البحث عن النظرية المحلية من خلال القيم الإسلامية .